# كتاب
# دليل الفالحين
## لطرق رياض الصالحين

الجزء الاول

تأليف

العالم العلامة مفسر كلام الله تعالى وخادم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
محمد بن علان الصديقي الشافعي الاشعري المكي المتوفى سنة ١٠٥٧هـ رحمه الله تعالى

« وقد وضع »

بأعلى كل صفحة ما يخصها من كتاب « رياض الصالحين » للامام الرباني العارف بالله تعالى شيخ الاسلام والمسلمين وملاذ الفقهاء والمحدثين، ابي زكريا يحيي محيي الدين النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ تغمده الله تعالى برحمته

« عنيت بنشره »
الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل ذكره رياض الصالحين ، ومناجاته غذاء ارواح الفالحين والخضوع بين يديه والتضرع اليه عز العارفين ، والتخلق بالاخلاق المحمدية والاخلاف النبوية شأن العالمين العاملين ، أحمده سبحانه على نعمه . واسأله المزيد من فضله وكرمه ، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ القاصد من فضله سؤله وأمله وتنيله من بحر جوده ماقصده وامله ، ويعطيه بها من انوار العرفان ما أشرق قلبه ونوره وكمله ، واشهد ان سيدنا ونبينا ووسيلتنا الى ربنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، وصفيه وحبيبه وخليله ، المؤيد بانواع المعجزات الباهره . المكرم بالمكرمات الباطنة والظاهره ، الذي لا تحصى نعوته الشريفة ومناقبه ولا تعد ولا تحصر آياته المنيفة ومواهبه

فأن فضل رسول الله ليس له     حد فيعرب عنه ناطق بفم

صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه . وعلى آله واصحابه ، واتباعه ووارثيه العلماء العاملين واحزابه ، صلاة وسلاما دائمين متلازمين دائبين بدوام ملك الله تعالى وامداده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ، كلما ذكره ذاكر ، وغفل عن ذكره غافل . اداء لبعض حقوق سيد عباده آمين

وبعد فهذا مادعت اليه الحاجة من وضع تعليق لطيف ، على نهج منيف ، على كتاب (رياض الصالحين) تأليف شيخ الاسلام ، علم الائمة الاعلام ، أوحد العلماء العاملين ، والاولياء الصالحين ، عين المحققين ، وملاذ الفقهاء والمحدثين ، وشيخ الحفاظ ، وامام أرباب الضبط المتقنين ، شيخ الاسلام والمسلمين ، الشيخ ابي زكريا يحيي محيي الدين بن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

---

شرف النواوي الشافعي، تغمده الله برحمته واسكنه بحبوح جنته، وأعاد علىَّ وعلى المسلمين من بركته، لما انه قد جمع ما يحتاج اليه السالك في سائر الاحوال، واشتمل على ما ينبغي التخلق به من الاخلاق، والتمسك به من الاقوال والافعال. مغترفا له من عباب الكتاب والسنة النبوية، ناقلا لتلك الجواهر من تلك المعادن السنية، ولم اقف على كتاب تعليقه، تكون كالدليل للسالك اليه، فاستخرت الله تعالى بالروضة الشريفة النبوية، عند سيد المرسلين. وحبيب رب العالمين، وخاتم الانبياء والمرسلين، وامام الخلائق أجمعين صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه، في وضع هذا التعليق عليه. ليكون كالرامز اليه. والمسئول من الله سبحانه ان يعين على اتمامه. والسداد في تحرير أحكامه، وان يجعله مصونا من الخطأ والخطل، محفوظا من الزيغ والزلل، خالصا لوجهه الكريم، ذخيرة معدة عند سيدنا ونبينا وشفيعنا سيد المرسلين، عليه افضل الصلاة والتسليم والله المعين وبه استعين، وسميته دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين

قال المصنف رحمه الله تعالى:

(بسم الله الرحمن الرحيم) أي أؤلف والاسم مأخوذ من السمو وهو العلو والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد. والرحمن الرحيم صفتان بنيتا للمبالغة من رحم كعلم بعد نقله إلى باب فعل كشرف أو تنزيله منزلة اللازم والمراد من الرحمة في حقه تعالى لاستحالة قيام حقيقتها به من الميل النفساني، غايتها، وهو ارادة الاحسان والتفضل. أو نفس الاحسان مجازا مرسلا. من اطلاق اللازم وارادة الملزوم. فعلى الاول تكون صفة ذات، وعلى الثاني تكون صفة فعل (الحمد لله) الحمد

الواحد القهّار، العزيزِ الغفار، مكوّر الليلِ على النّهار

اللفظي لغة الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم. وعرفا فعل ينبىء عن تعظيم المنعم لكونه منعما على الحامد أو غيره فبينهما عموم وخصوص وجهى، وجملة الحمد لله خبرية لفظا انشائية معنى، وقيل خبرية لفظا ومعنى، وقيل يجوز أن تكون موضوعة شرعا لانشاء الحمد، وهى مفيدة لاختصاصه بالله تعالى سواء أجعلت أل فيه للاستغراق كما عليه الجمهور أم للجنس كما عليه الزمخشرى أم للعهد كما أجازه بعضهم، واللام فى لله للاختصاص. وبدأ بالبسملة ثم بالحمد له اقتداء بالكتاب العزيز، وعملا بمقتضى خبر «كل امر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم — وفى رواية بالحمد لله، فهو أبتر» واشارة الى انه لا تعارض بين الابتداءين. اذ الابتداء حقيقى وهو مالم يسبق بشىء البتة واضافى وهو ماسبق بغير ما التصنيف بصدده، أو يقال الابتداء امر عرفى يعتبر ممتدا الى الشروع فى المقصود فيسع أمرين فأكثر (الواحد) أي ذاتا وصفة وفعلا فلا شريك له فى شىء منها (القهار) اي الذى قهر الخلائق وقسرهم بقدرته الازلية، فلا يكون سوى مراده، فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن بوجه من الوجوه (العزيز) اي الذى لا يغالب فى حكمه، ولا يدافع فى امره، ولا يمانع فى مراده، (الغفار) أى الستار على ذنوب العصاة بعدم المؤاخذة بها، وفى التصدير بهذه الاسماء ايماء الى أنه ينبغى ان يكون الرجاء والخوف للانسان أى حال الصحة بمثابة جناحى الطائر، وذلك انه أشار الى مقام الخوف بذكر الاسماء الثلاثة، والرجاء بالاسم الاخير. والحكمة فى المبالغة فى المقام الاول ان من شأن النفس لاسيما عند عدم رياضتها الميل الى المخالفات والمنهيات، فصدر بذكر مايدل على مقام الخوف والتحذير من بطشه سبحانه، ليكون قائدا للعبد الى ابواب مولاه واحسانه، وسببا للازجار عن المخالفات (مكور الليل على النهار) قال الواحدى فى الوسيط: أى يدخل هذا

تذكِرةً لاولى القلوب والابصار وتبصرةً لذوى الالباب والاعتبار الذى أيقظَ

---

على هذا والتكوير طرح الشيء على الشيء. واكتفى بذكر تكوير الليل عن ذكر مقابله. وانما اقتصر عليه لشرفه، لانه موسم الخيرات للسالكين، ومحل الاشتغال بالذكر والصلاة والمناجاة مع رب العالمين (تذكرة) مفعول له علة للتكوير او حال منه (لذوي القلوب) اى لاصحاب القلوب العظيمة (والابصار) فى مفردات الراغب: البصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التى فيها ولقوة القلب المدركة ويقال لها بالمعنى الاخير بصيرة أيضا اهـ وعلى كل فالعطف هنا من عطف المغاير: أما على الاولين فواضح، وأما على الاخير فان البصر والبصيرة اسمان لقوة القلب المدركة لا للقلب، واتى به دون البصائر ليكون اللفظ شاملا لكل ذلك بناء على مذهب امامنا الشافعي رضى الله عنه من جواز استعمال المشترك فى معانيه، ومراعاة للسجع المستلذ فى السمع (وتبصرة) هو كالتبصير مصدر لبصر المضاعف كتقدم تقدمة وتقديما (لذوى الالباب) جمع لب أى العقول ويجمع على ألبّ كبؤس على أبؤس ونعم على أنعم. قال فى القاموس: ويجمع على الب. (والاعتبار) والمراد منهم الذين يتفكرون فى الآلاء ويعرفون انها لم تخلق عبثا وان له سبحانه فى كل مغنى معنى وما أحسن قول من قال:

لا تقل دارها بشرقىّ نجد كل دار للعامرية دار

ولها منزل على كل ماء وعلى كل دمنة آثار

فيستدلون بالآثار على عظيم الاقتدار. ويعرفون بما يرد عليهم من الاحوال انه لهم بذلك متعرف (الذي ايقظ) اى نبه من سنة الغفلة، ففيه استعارة مكنية يتبعها استعارة تخييليه، شبه الغفلة بالنوم بجامع انتفاء الكمال فى كل منهما وقد ورد فى الحديث: مثل الذى يذكر الله والذى لا يذكر الله مثل الحى والميت. والتشبيه

من خَلقهِ مَن اصطفاه فزهّدهم فى هذه الدار، وشغلهم بمراقبته وادامة الافكار

المضمر فى النفس استعارة مكنية واثبات الايقاظ الذي هو من لوازم المشبه به استعارة تخييلية ( من خلقه ) اى مخلوقاته وهو بيان لمن فى قوله ( من اصطفاه ) من الصفوة بتثليث الصاد وهو الخلوص اي اختاره ( فزهدهم فى هذه الدار ) اى فى الدنيا يعنى لما ايقظهم ادركوا حقيقة الدنيا وانها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فزهدوا فيها واعرضوا عن زهراتها واخذوا منها قدر الضرورة ، وجعلوا ماوصل اليهم من ذلك من غير تطلع اليه مقدما بين ايديهم وعند مولاهم ذخيرة ( وشغلهم ) بتخفيف الغين المعجمة وتشديدها للمبالغة ( بمراقبته ) اى بدوام نظر أنه سبحانه وتعالى ناظر لاعمالهم محيط باقوالهم وافعالهم فاقبلوا على احسان العمل ، وحفظوا أنفسهم من الزيغ والزلل ، اذ لا يقع العصيان الا مع الغفلة المعترية للانسان (ومداومة) وفى نسخة وادامة (الافكار) اي التفكر فى مصنوعاته والاستدلال بذلك على الوهيته وعظيم قدرته قال تعالى « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض » الاية . وفى الحديث « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذات الله » وجاء بلفظ « تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره » وفى الحديث ايضا مرفوعا كما فى الكشاف « بينما رجل مستلق فى فراشه اذ رفع رأسه الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفرلى فنظر الله اليه فغفر له ، فقال صلى الله عليه وسلم لاعبادة كالتفكر » وقيل « الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة » وقد روى « ان يونس عليه السلام كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل اهل الارض » قالوا وانما كان ذلك التفكر فى امر الله

وملازمة الاتعاظ والادّكار ، ووفقهم للدؤب فى طاعته والتأهب لدار القرار ، والحذر مما يسخطه

---

الذى هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه فى اليوم مثل عمل اهل الارض انتهى ما فى الكشاف. قال ابن عباس وابو الدرداء «فكرة ساعة خير من قيام ليلة» قال السرى السقطى «فكرة ساعة خير من عبادة سنة ماهو الا ان تحل اطناب خيمتك فتجعلها فى الجنة» كذا فى شرح رسالة ابن ابى زيد لداود (وملازمة الاتعاظ) اصله الايتعاظ بياء تحتية ساكنة بعد الهمزة المكسورة وبعدها تاء الافتعال فقلبت الياء تاء فوقية وادغمت فى تاء الافتعال على القاعدة فى ذلك اى انهم كلما نزل بهم فقد شيء من مال أو انسان اتعظوا بذلك ونظروا الى أن ما آل الجميع الفناء وان ما نزل بأخيك كأنه قد نزل بك فالسعيد من اتعظ بغيره واقبل على ما فيه فى المعاد انواع خيره (وملازمة الاذكار) بالمعجمة والمهملة واصله اذتكار بمعجمة ثم فوقية فابدلت الفوقية لما فى التلفظ بها بعد الذال المعجمة من الثقل ذالا معجمة أو مهملة(١) وأدغم فيها فاء الفعل، والاذكار هو الذكر بعد النسيان والتنبه بعد سنة الغفلة (ووفقهم) من التوفيق وهو خلق القدرة على الطاعة فى العبد وهو عزيز ولذا لم يذكر فى القرآن الا فى قوله تعالى «وما توفيقى الا بالله» واما قوله تعالى «ان اردنا الا احسانا وتوفيقا» وقوله تعالى «يوفق الله بينهما» فمن مادة الوفاق (للدأب) اى المداومة والاجتهاد (فى) مزاولة(٢) (طاعته والتأهب) اي الاستعداد (لدار القرار) اى الدار الآخرة (والحذر) بالجر عطفا علي الدأب او على التأهب . قولان فى مثله الراجح منهما الاول ما لم تقم قرينة علي خلافه (مما يسخطه) اي يكون سببا لسخطه سبحانه من المخالفات والعصيان وفى مفردات الراغب: السخط من الله تعالى انزال العقوبة اهـ . وهو بيان

---

(١) بالمعجمة قليل ، قرىء فهل من مذكر . ش (٢) زاوله مزاولة وزوالا عالجه وحاوله وكالبه . اهـ قاموس .

ويوجبُ دار البوار، والمحافظة على ذلك مع تغاير الاحوال والاطوار، احمدُه

---

للمراد منه اذا وصف به البارى سبحانه ( ويوجب دار البوار ) كالمفسر للسخط ثم الذى يوجب النار هو الموت على الكفر والعياذ بالله تعالى ، وفى نسبة الايجاب اليه تجوز فى الاسناد اذ الموجب لذلك بذلك هو الله سبحانه اما باقى العصيان فالصغائر المتصلة بحقوق الله تعالى مكفرة بصالح العمل ومنه اجتناب الكبائر ، والمتعلقة بحق العباد لا بد من ارضاء مستحقها والكبائر لا يكفرها الا التوبة او فضل الله سبحانه ( و ) وفقهم (للمحافظة على ذلك ) اى المذكور من الدأب فى الطاعة والحذر مما يوجب السخط ( مع تغاير الاحوال ) اى اختلافها ظرف وقع حالا من المحافظة يعنى ان تغاير الاحوال اى اختلافها بالخصب والجدب والرخاء والشدة والفراغ والشغل بالتجارة ونحوها من مزاولة أعمال النفس والعيال لم يؤثر فى سلوكهم واقبالهم على عبودية مولاهم من امتثال اوامره واجتناب زواجره اجلالا له سبحانه قال الله تعالى : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » وقال صلى الله عليه وسلم « ليذكرن الله قوم على الفرش الممهدة » وقال الشاعر :

فلو قطعتنى اربا فأربا  لما حن الفؤاد الى سواكا

والاحوال جمع حال يجوز تذكير لفظها وتأنيثه بأن يقال حالة وتذكير معناها وتأنيثه والارجح تأنيث معناها فيقال حال حسنة ، قال الراغب فى مفرداته : الحال ما يختص به الانسان وغيره من اموره المتغيرة فى نفسه وجسمه وشأنه ، والحول ماله من القوة فى احد هذه الاصول الثلاثة (و) تغاير (الاطوار ) اى الاختلاف فى الخلق والخلق كما يفهم من مفردات الراغب (احمده ) اى اصفه بجميع صفاته اذ كل منها جميل ورعاية جميعها ابلغ فى التعظيم قيل وهو أبلغ من الاول (١) لانه حمد بجميع الصفات

---

١) اى من قوله الحمد لله الواحد القهار الخ ع

أبلغ حمدٍ وأزكاه، وأشمله وأنماه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله البرّ الكريمُ

برعاية الابلغية وذلك بواحد منها وهي المالكية(١) وان لم تراع الابلغية بان يراد الثناء بعض الصفات فذلك البعض اعم من هذه الواحدة لصدقه بها وبغيرها الكثير فالثناء بهذا ابلغ فى الجملة ايضا نعم الثناء بالاول من حيث تفصيله اى تعيينه اوقع فى النفس من هذا، وقيل بل التحقيق ان الحمد بالاول ابلغ وافضل ومن ثم قدم بل اخذ البلقينى من ايثار القرآن الحمد لله رب العالمين بالابتداء به انه ابلغ صيغ الحمد. وعلى الاول فاثر القرآن الجملة الاسمية لان الحمد فيه لمقام التعليم والتعيين فيه اولى وجمع بين الحمد بالجملتين تأسيا بحديث «ان الحمد لله نحمده» وليجمع بين مايدل على دوام الحمد واستمراره وهو الاول وعلى تجدده وحدوثه وهو الثانى «ابلغ حمد» اى انهاه من حيث الاجمال لا التفصيل لعجز الخلق عنه حتى الرسل حتى اكملهم نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال «لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك» (واشمله) اعمه (وازكاه) انماه (واكمله، واشهد) اي اعلم وابين (ان لا اله) أي لا معبود بحق (الا الله) بالرفع وجوز فيها النصب وقد بسطت الكلام فى ذلك فى باب فضل الذكر من شرح الاذكار للمصنف رحمه الله تعالى واتى بها لحديث أبى داود والترمذى الصحيح «كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء» اى القليلة البركة (البر) بفتح الموحدة قال فى النهاية هو العطوف على عباده ببره ولطفه. والبر والبار بمعنى واحد وانما جاء فى اسم الله تعالى البرّ دون البار (الكريم) قال البيضاوى: هو من صفات الذات والله تعالى لم يزل ولا يزال كريما ومعناه تقدسه عن النقائص والصفات المذمومة والنفيس يقال له كريم ومنه كرائم الاموال، وقيل الكريم الدائم البقاء الجليل الذات الجميل الصفات، وقيل

١) لعل الصواب ان يقول. وذلك ببعضها وهو ما ذكر من الوحدانية والقاهرية الخ وربما ظن الشارح. أن المصنف قال الحمد لله رب العالمين فرتب عليها قوله وهي المالكية، والخطب سهل. ع

الرءوفُ الرحيم ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه

---

هو من صفات الافعال،وعليه فقيل هو من ينعم قبل السؤال ولايحوجك الى وسيلة ولا يبالى من اعطى ولا ما اعطى،وقيل غيرذلك مما ذكرت بعضه ثمة( الرءوف الرحيم) الرأفة شدة الرحمة فهو أبلغ من الرحيم ،وأخر والقياس يقتضى الترقي من الادنى للاعلى مراعاة للسجع،وقيل الفرق بين الرأفة والرحمة ان الرأفة احسان مبدؤه شفقة المحسن والرحمة احسان مبدؤه فاقة المحسن اليه ثم الرحمة لكونهاعطفانفسانيايستحيل قيامها به تعالى المراد بها غايتها كما تقدم قريبا .قال ابن حجر الهيتمى —وهو مرادى اذا اطلقت لفظ ابن حجر — فى شرح المشكاة : الرأفة باطن الرحمة، والرحمة من اخص اوصاف الارادة بناء على انها صفة ذات أي ارادة الانعام ـومنه كشف الضر ودفع السوء ـ بنوع من اللطف،والرأفة بزيادة رفق ولطف،وفى الاتيان بهذه الاسماء فى هذا المقام ايماء الى ان التوفيق الى سلوك مقام العبودية والخروج عن اوصاف البشرية من محض عطاء و كرم البر الكريم ورأفة ورحمة الرءوف الرحيم قال تعالى «ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء »وقال من قال: لولا تعرفهم ما كنت تعرفهم( واشهد أن محمدا) علم منقول من اسم مفعول المضعف سمي به نبينا صلى الله عليه وسلم مع انه لم يؤلف قبل اوان ظهوره بالهام من الله لجده عبد المطلب،اشارة الى كثرة خصاله المحمودة ورجاء ان يحمده اهل الارض والسماء وقد حقق الله تعالى رجاءه قيل وكما اشتملت ذاته على كمال سائر الانبياء والمرسلين اشتمل اسمه الشريف بحساب الجمل على عدة الرسل بناء على انهم ثلاثمائة واربعة عشر (١) (عبده ) قدم لانه اسنى

---

١) كيفية ذلك ان تبسط حروفه هكذا ميم حاميم ميم دال ثم يحسب ذلك بالجمل الصغير فيكون المجموع ثلاثمائة واربعة عشر . ع

ورسولهُ ، وحبيبهُ وخليلهُ

---

أوصافه ومن ثم ذكر فى افخم مقاماته: أسرى بعبده. نزل الفرقان على عبده. فأوحى الى عبده. قال صلى الله عليه وسلم «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أى لا افتخر بالسيادة انما فخرى بعبوديته سبحانه وتعالى. ذكره العارف ابو العباس المرسى (ورسوله) هو من البشر ذكر أوحى اليه بشرع وامر بتبليغه، فان لم يؤمر فنبى فحسب، وهو افضل من النبى اجماعا لتميزه بالرسالة التى هى على الاصح خلافا لابن عبد السلام افضل من النبوة فيه. وزعم تعلقها بالحق يرده أن الرسالة فيها ذلك مع التعلق بالخلق فهو زيادة كمال فيها (وحبيبه) الاكبر كما يشهد به حديث «ألا وانا حبيب الله ولا فخر» اذ محبة الله للعبد المستفادة من قوله تعالى «يحبهم ويحبونه» على حسب معرفته به، وأعرف الناس بالله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم فهو أحبهم له واخصهم باسم الحبيب. وسيأتى الكلام على المحبة ان شاء الله تعالى فى قوله فى الحديث القدسى «قال الله تعالى: ومن عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، ولا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتي احبه» الحديث وحبيب فعيل بمعنى مفعول من احبه فهو محب او من حبه يحبه بكسر الحاء فهو محبوب (وخليله) الاعظم كما يؤذن به حديث «لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر خليلا» وهو فعيل بمعنى مفعول أيضا من الخلة بالفتح وهي الحاجة او بالضم وهى تخلل المودة فى القلب لا تدع فيه خلاء الا ملأته وقد خالل قلبه صلى الله عليه وسلم من أسرار الهيبة ومكنون الغيوب والمعرفة والاصطفاء مالم يدع ان يطرق قلبه نظر لغيره. هكذا قال ابن حجر ثم اقتصاره على كون فعيل فيه بمعنى مفعول لعله لكونه أنسب بمقام الادب، واشرف لكونه المختار للخلة التي هي غاية الارب، والاَّ ففى النهاية: الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل وقد يكون بمعنى مفعول من الخلة بضم اوله الصداقة والمحبة التى تخللت القلب فصارت فى

خلا له اى باطنه وقيل هى تخلل المودة فى القلب بحيث لاتدع فيه خلاء الاملأته او من الخلة بالفتح وهى الحاجة والفقر اهـ ثم الذى رجحه جمع متأخرون كالبدر الزركشى وغيره ان الخلة ارفع لانها نهاية المحبـة وغايتها قال ابن القيم : وظن ان المحبة ارفع من الخلة وأن ابراهيم خليل ومحمدا حبيب غلط وجهل ، وما احتج به لان المحبة ارفع من الخلة من نحو حديث البيهقى «انه تعالى قال له صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء يا محمد سل تعط فقال يارب انك اتخذت ابراهيم خليلا فقال ألم اعطك خيرا من هذا ، الى قوله واتخذتك حبيبا » وان الحبيب يصل بلا واسطة بخلاف الخليل قال تعالى فى نبينا «فكان قاب قوسين او ادنى »وفى ابراهيم «وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض » والخليل قال «لاتخزنى »والحبيب قيل له «يوم لايخزى الله النبى »وغير ذلك انما يقتضى تفضيل ذات محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابراهيم عليه السلام مع قطع النظر عن وصفى المحبـة والخلة ، وهذا لا نزاع فيه ، انما النزاع فى الافضلية المستندة الى أحد الوصفين،والذى قامت عليه الادلة ان استنادها الى وصف الخلة الموجودة فى كل من الخليلين افضل ، فخـلة كل منهما أفضل من محبته ، واختصا بها لتوفر معناها السابق فيهما اكثر من بقية الانبياء ، ولـكون هذا التوفر فى نبينا اكثر منه فى ابراهيم كانت خلته أرفع من خلة ابراهيم صلى الله عليهما وسلم اهـ (الهادى )أى الدال (الى صراط ) قال الراغب :الصراط الطريق المستقيم اهـ فيكون قوله (مستقيم ) اما اطنابا او جرد لفظ الصراط واريد منه مطلق الطريق وفيه اقتباس من قوله تعالى « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » وليس شرط الاقتباس ايراد اللفظ القرآنىّ من غير تغيير بل يحصل وان وجد التغيير نقله الحافظ السيوطى فى اوائل حاشيته على تفسير البيضاوى وقوله (و الداعي الى دين قويم )هى الشريعة

صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه وعلى سائرِ النبيينَ، وآلِ كلٍّ وسائرِ الصالحين
(أما بعد)

---

الحنيفية السمحة التى جاء بها صلى الله عليه وسلم الى أمته اشرف الامم، اطناب لان ماقبله بمعناه أو من عطف العام على الخاص لان الهداية الدلالة بلطف والدعوة تشمل ذلك وغيره (صلوات الله وسلامه عليه) الصلاة منه تعالى رحمة مقرونة بتعظيم ولفظها مختص بالمعصوم من نبى وملك تعظيما لهم وتمييزا لمراتبهم عن غيرهم، والسلام هو تسليمه اياه من كل آفة ونقص، والجملة خبرية لفظا انشائية معنى، واتى بالصلاة بعد الحمد لخبر «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علىّ فهو اقطع ابتر ممحوق من كل بركة» وسنده ضعيف لكنه فى الفضائل وهي يعمل فيها بذلك، وخبر «من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتاب صلت عليه الملائكة غدوة ورواحا مادام اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الكتاب» نازع ابن القيم فى رفعه قال والاشبه أنه من كلام جعفر بن محمد لا مرفوع (وعلى سائر) أى باقى من السؤر بالهمز بقية نحو الطعام (النبيين) مر تعريف النبي وأنه أعم من الرسول (وآل كل) أى كل واحد من النبيين فحذف المضاف اليه لدلالة السياق عليه واصل آل أول بفتح الواو تحركت الواو وانفتح ماقبلها فقلبت ألفا، وقيل اهل لتصغيره على أهيل، والصحيح جواز اضافته الى الضمير، وآل نبينا صلى الله عليه وسلم عند الشافعى مؤمنو بنى هاشم والمطلب هذا بالنسبة لنحو الزكاة دون مقام الدعاء ومن ثم اختار الازهرى وغيره من المحققين انهم هنا كل مؤمن تقى لحديث فيه . وآل ابراهيم اسماعيل واسحاق وغيرهما من المسلمين من ذريته (وسائر الصالحين) وهم القائمون بحقوق الله وحقوق العباد فدخل الصحابة كلهم لثبوت وصف الصلاح والعدالة لجميعهم ودخل غيرهم ممن اتصف بذلك جعلنا الله منهم (أما بعد) كلمة يؤتى بها للانتقال من

اسلوب الى آخر واتى بها تأسيا به صلى الله عليه وسلم نأنه كان يأتى بها فى خطبه ونحوها كما صح عنه بل رواها عنه اثنان وثلاثون صحابيا والمبتدىء بها قيل داود عليه السلام فهي فصل الخطـاب الذى اوتيه لانها تفصل بين المقدمات والمقاصـد والخطب والمواعظ . قال العلقمي فى حاشية الجامع الصغير وبهـذا قال كثير من المفسرين وقيل قس بن ساعدة . وقيل كعب بن لؤى وقيل يعرب بن قحطان وقيـل سحبـان بن وائل. وعليها ففصل خطاب داود هوالبينة على المدعى واليمين على من انـكر وقال المحققون فصل الخطاب الفصل بين الحق والباطل. و يجوزفى دالها الضم والفتح منونا وغير منون ووجوه ذلك لاتخفى. لـكنهامنونا تكون على لغة من يقف على المنون المنصوب بالسكون وهم ربيعة، ولكون اما نابت عن اسم شرط هو مهما الجيبت بالفاء اذ التقدير مهما يكن من شىء بعد ما تقدم من الحمد والصلاة والسلام ( فقد قال الله تعالى ) عما لايليق بشأنه وهى جملة فى محل الحال اللازمة ان ابقيت على خبريتها ، والا فاستئنافية مسوقة لانشاء الثناء عليه سبحانه ( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون )قال الـكواشى فى تفسيره الكبير : او ما تعالى الى انه لم يخلق الخلق ولم يرسل رسله عبثا وانما خلقهم لامر عظيم هوتوحيده وطاعته مع غناه عن ذلك تفضيلالهم وتشريفا ثم هذا خاص بأهل الطاعة من الفريقين و يؤيده انه قرىء «وماخلقت الجن والانس من المؤمنين» وقيل عام معناه ماخلقتهم الا لآمرهم بالعبادة لقوله « وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » وقيل المعنى ما خلقت السعداء من الفريقين الا لعبادتى والاشقياء منهما الا لمعصيتى ، وقيل الا ليعبدون ليعرفون لانه لولم يخلقهم لم يعرفوا وجوده كقوله « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » وأصل العبادة الخضوع والتذلل ، والمعنى الا ليخضعوا و يتذللوا ، وكل مخلوق خاضع ذليل لقضاء الله

ما أُريدُ منهم من رِزقٍ وما أُريدُ أن يُطعِمونِ، وهذا تصريحٌ بأنهم خلقوا للعبادَة فحقَّ عليهم الاعتناء بما خلقوا له والإعراض

---

تعالى . وقيل الا ليعبدون ليوحدون ، فالمؤمن يوحده فى كل حال والكافر يوحده فى الضراء، لقوله تعالى «فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين» وقال بعضهم الا ليعرفون و يعبدون على بساط المعرفة ليتبرءوا من الرياء والسمعة . وقال ابن عطاء : الا ليعرفون وما يعرفه حقيقة من وصفه بما لا يليق به اهـ وللزمخشرى فى كشافه فى هذه الآية رمز الى دسيسة اعتزالية نبهت عليها فى شرح الاذكار (١)

ولما كلفهم خدمته اخبرهم انه قد كفاهم مؤنة ما يحتاجون اليه فقال تعالى ( ما اريد منهم من رزق) اى ما اريد ان يرزقوا أنفسهم ولا احدا من خلقى (وما أريد ان يطعمون) يعنى انفسهم ولا احدا من خلقى ونسب الاطعام الى الله لان الخلق عيال الله سبحانه، ومن اطعم عيال احد فكأنما أطعمه (وهذا) اي القول المدلول عليه بقوله قال الله تعالى ( تصريح بأنهم خلقوا للعبادة) اى فقط كما يفيده الاستثناء اى خلقوا لذلك لا لجمع الدنيا والارزاق ونحوها مما يحتاج اليه فان الله تعالى قد كفاهم مؤنة ذلك ولذا عقب هذه الآية بقوله كما تقدم « ما اريد منهم من رزق» (فحق) اى وجب وفى نسخة بتنوينه اى فواجب فيكون خبرا لقوله الاعتناء( عليهم الاعتناء بما خلقوا له ) والاعتناء توجيه العناية الى ما خلقوا له من معرفة الله تعالى واداء حق العبودية ( والاعراض ) اى التولى يقال اعرض عن كذا ولى مبديا عرضه قال تعالى «واعرض عن الجاهلين » كذا فى مفردات الراغب

---

١) قال فى الكشاف اى وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها فأن قلت لوكان مريدا للعبادة لكانوا كلهم عبادا ، قلت انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين لا مضطرين اليها لانه خلقهم متمكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ، ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم الخ .

عن حظوظ الدنيا بالزّهادة فانّها دارُ نفاد، لا محلُّ إخلاد، ومركَبُ عُبور لا منزلُ حُبور

( عن حظوظ الدنيا ) اى الترفهات المتاذة الزائدة على مابه القوام من دار تكنه وثوب يستر عورته وجريش الخبز والما قال صلى الله عليه وسلم «لاحق لابن آدم الا فى ثلاثة طعام يقيم به صلبه وثوب يوارى به عورته و بيت يكنه فما زاد فهو حساب » اورده الغزالي فى الاحياء وقال العراقى فى تخريج احاديثه رواه الترمذى وقال وجاف (١) الخبز والماء بدل قوله طعام يقيم به صلبه وقال صحيح اما حقوق الدنيا مما ذكر فالاعراض عنه ليس بمطلوب لكن من غير ان يشغله ذلك عن القيام بفريضة الوقت ( بالزهادة ) مصدر كالزهد وسيأتى تعريفه (فانها) اى الدنيا ( دار نفاد ) اي فناء قال الله تعالى ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ( لامحل اخلاد ) عدل اليه عن خلود للسجع (٢) (ومركب عبور لا منزل حبور ) اى أنها مركب يتوصل بها الى الدار الآخرة وليست منزل الفرح والسرور قال صلى الله عليه وسلم كن فى الدنيا كانك غريب أو عابر سبيل» وأخرج الترمذي وغيره حديثا فيه انه صلى الله عليه وسلم قال: مالى وللدنيا ؟

---

١) لفظ الحديث ليس لابن آدم حق فيها سوى هذه الخصال بيت يكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء ا ه . والجلف بكسر فسكون الغليظ اليابس من الخبز او الخبز غير المأدوم اوحرف الخبز وفى رواية وجلف بكسر ففتح وهو جمع جلفة وهى الكسرة . وفى رواية وجرف بكسر الجيم وفتح الراء وهى جمع جرفة وهى الكسرة ايضا . قال الصاغاني ليست الاشياء المذكورة بخصال ولكن المراد إكنان بيت وموارة ثوب وأكل جرف وشرب ماء فحذف ذلك كقوله تعالى واسأل القرية ا ه ملخصا من تاج العروس . ع

٢) الخلود بالضم الدوام والبقاء ، والخلد بضم فسكون دوام البقاء ، وإخلاد المرء الى صاحبه : ميله وركونه اليه ، واخلاد المرء بالمكان اقامته فيه وخلد الله فلانا تخليدا وأخلده اخلاداً جعله خالدا ع

ومشرَعُ الفصامٍ ،لا موطنُ دوام ، فلهذا كان الا يقاظُ من أهلها هُمُ العبَّاد ، وأعقلُ الناسِ فيها هم الزهَّاد . قال الله تعالى،« إنما مثلُ الحيوةِ الدُّنيا كماءٍ أنزَلناهُ منَ السّماء فاختلَط به نباتُ الارض ممَّا يأكلُ الناسُ والأنعامُ حتى اذا أخذَتِ الارضُ زُخرُفَها وازَّيَّنَتْ

---

ماانافى الدنياالا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها (ومشرع انفصام) اى انقطاع (لا موطن دوام) ولا يخفى مافى عبارته من الاستعارات وذلك أنه شبه الدنيا اولا بالمركب الذى يتوصل به الى المكان المراد بجامع ان كلا منهما يوصل لمابعده فالدنيا لايوصل بها الى الآخرة الا بالعبور فيها والمرور منها لسبقها عليها . والبلدالمراد لا يوصل اليه الابركوب نحو الدابة وثانيا بالمشرع اى محل الماء بجامع الورود لكل واطلق عليها اسم المشبه به ففيه تشبيه بليغ ( فلهذا ) اى ماذكر (كان الأيقاظ ) جمع يقظ بكسر القاف .فى النهاية رجل فطن و يقظ و يقظان اذا كان فيه معرفة وفطنة اه ( من اهلها ) اى الدنيا ( هم العباد ) واعلاهم فيها ارباب العرفان بالله( واعقل الناس فيهاهم الزهاد) قال الدميرى فى منظومه رموز الكنوز

وا كيس الناس واعقل الورى  هم الذين زهـدوا فيما ترى
اذ نبذوا الدنيـا لعلمهم بها  ورغبوا فى أختها لقربهـا

( قال الله تعالى ) مبينا حال الدنيا فى زوالها وسرعة تحولها وانتقالها ( انمـا مثل الحيوة الدنيـا كماء انزلنـاه من السماء فاختلط به ) أى اختلط بسبب المطر ( نبات الارض ) واشتبك بعضه فى بعض . ومحل ( مما يأ كل الناس والانعام) حال من نبات أوصفة له ( حتى اذا اخذت الارض زخرفها ) زينتها وحسنها وظهر الزهر (وازينت ) بالزهر والنبات.وقرىء وأزينت مخففـة

وظَنَّ أهلُها أنهم قادِرُون علَيها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمْسِ، كذلكَ نُفصِّلُ الآياتِ لقومٍ يتفكَّرُونَ» والآياتُ في هذا المعني كثيرةٌ ولقد أحسن القائل

---

وازيانت كابياضت ( وظن اهلها أنهم قادرون عليها )متمكنون من تحصيل ثمارها (أتاها أمرنا) قضاؤنا( ليلا أو نهارا) أى فى أحدهما( فجعلناها ) أي فجعلنا زرعها (حصيدا) اى محصودا( كأن لم تغن) (١) لم تقم( بالامس) بالزمان الماضى لااليوم الذي قبل يومك فقط،وقرىء يغن بالتحتيه ذكره الكواشي فى التفسير الصغير( كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) قال البيضاوى الآية فى الاصل العلامة الظاهرة وتقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل،واشتقاقها من أىّ لانها تبين أيا من أي .او من أوي اليه واصلها(٢) أية او أوية كتمرة فأبدلت عينها على غير قياس أو ايية او اوية كرمكة(٣) فأعلت أو آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا. اه (والآيات فى هذا المعنى كثيرة)منها قوله تعالى «واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح»(ولقد احسن القائل)

---

١) فى البيضاوى كأن لم تغن اى لم يغن زرعها اى لم ينبت(٢) يؤخذ من شرح القاموس أن الاية وزنها فعلة بفتح فسكون واصلها اية بالتشديد قلبت الياء الفا لانفتاح ما قبلها وهو قلب شاذ، أو وزنها فعلة بالتحريك وأصلها أوية قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، أو وزنها فاعلة وأصلها آيية حذفت الياء الثانية ففتحت الاولى وأما ماقيل من ان المحذوف هو الياء الاولى فقد رد عليه الفراء وقال انه خطأ . ع

٣) بفتحات . وهى الفرس ، والبرذونة التى تتخذ النسل . ع

إنَّ لله عبـاداً فُطَنا ... طلّقوا الدّنيا وخافوا الفِتَنَا
نظـروا فيهـا فلمّا عَلِمُوا ... أنهـا ليسَتْ لحَيٍّ وَطَنـا

فى بيان سرعة فناء الدنيا ( ان لله عبادا ) عظيمين كما يؤذن به التنوين ( فطنا ) بضم الفاء وفتح الطاء المهملة جمع فطن من له عقل ونظر فى العواقب (طلقوا الدنيا ) كناية عن الزهد فيها وترك الاشتغال بشأنها (وخافوا الفتنا ) بكسر الفاء وفتح الفوقية جمع فتنة وهى الامتحان والاختبار كما فى النهاية ، وفى مفردات الراغب: الفتنة تستعمل فى ادخال الانسان النار أو فيما يحصل عنه العذاب وفى الاختبار جعلت الفتنة كالبلاء فى أنهما يستعملان فيما يعترى الانسان من شدة ورخاء وهما فى الشدة أظهر معنى واكثر استعمالا اه . والحاصل أن الفتن المترتبة على الاشتغال بالدنيا ومخالطتها كثيرة كالشره وجمع المال من غير اعتبار حله والضنة به (١) ومنع الحق الواجب فيه والتكبر والعجب (نظروا فيها )أى نظروا فى الدنيا بعين البصيرة فعرفوا سرعة زوالها وتحولها وانتقالها كأنك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل (فلما علموا ) بجلاء البصيرة أى شهدوا ذلك وصار لهم حالا ومذاقا، وإلا فكل عاقل يعلم ان الدنيا دار زوال وانتقال لكن حجبت بصائرهم غشاوة الغفلة فمالوا الى لذاتها مع علمهم بحقيقة ذاتها (أنها ليست لحى وطنا ) أي دارا يتوطن فيها على الابد لان الانسان فى هذه الدار كالمسافر المرتحل وقد سبق حديث « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وقال الشاعر فى المعنى

الا انما الدنيا كمنزل راكب ... أقام عشيا وهو بالصبح رائح

والوطن الحقيقى هو الدار الآخرة التى لانهاية لآخرها بارادة الله تعالى وقدرته كما جاء فى الحديث «ياأهل الجنة خلود بلا موت و ياأهل النار خلود بلا موت »

١) اى البخل

جَعَلُوها لُجَّةً    واتَّخَذُوا    صالِحَ الاعمال فيها سُفُنا

فاذا كان حالُها ما وصفتُه، وحالُنا وما خُلِقنا له ماقدَّمتُه، فحقٌ على المكلَّف أن يذْهَب بنفسِه مذْهَبَ الاخيار، ويسلكَ مسلكَ أُولى

---

قال بعضهم هذا هو المراد من حديث «حب الوطن من الايمان» أى فينبغى لكامل الايمان ان يعمر وطنه بالعمل الصالح والاحسان ( جعلوها لجة ) فى النهاية لجة البحر معظمه والمراد أنهم جعلوها بمثابة البحر الذي يتوصل بالعبور فيه الى المقصد ،ففى العبارة تشبيه بحذف الاداة (واتخذوا صالح الاعمال) من اضافة الصفة لموصوفها (فيها) اى فى اللجة (سفنا) فيه ان العمل الصالح بمثابة المركب الذى يعبر به لجة البحر وقد جاء فى الحديث ان صاحب العمل الصالح يركبه يوم القيامة قال تعالى« يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا » كما أن العمل السيء يركب صاحبه قال تعالى« وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم »( فاذا كان حالها ماوصفته ) من الزوال وسرعـة التحول والانتقال (وحالنا وما خلقنا له) عطف تفسير لما قبله وفى نسخـة بحذف العاطف قبلهما فيكون حالنا مبتدأ أولا وماموصولا اسميا مبتدأ ثانيا وقوله (ماقدمته) خبراً عنه وهو وما قبله خبر الاول، أو يكون ماتابعا لحالنا وما بعده خبراً عما قبله ، والمراد من قوله ماقدمته اى من القيام بأعباء العبادة (فحق) اى واجب بناء على تنوينه وهو كذلك بالقلم بضبط محدث اليمن الشيخ سليمان العلوى ، أو فحق اى وجب وثبت (على المكلف ) البالغ العاقل سمى بذلك لانه مأمور بما فيه كلفة ( ان يذهب بنفسه مذهب الاخيار )وأن ومدخولها خبر، أوفاعل حقّ ، والاخيار هم القائمون بما امروا به والتاركون لما نهوا عنه جمع خير أوخير على الحذف للتخفيف كأموات جمع ميت أوميت كذا فى اعراب الهمدانى المسمي بالعقد الفريد(ويسلك مسلك اولى) اى اصحاب لاواحد له من لفظه بل من معناه وهو ذو،وكتبت الواو

النّهى والابصار ويتأهّبَ لِما أشرتُ اليه، ويهتمّ لما نبهتُ عليه وأصوبُ طريقٍ له فى ذلك ، وأرشدُ ما يسلكهُ من المسالك ، التأدّبُ بما صحّ عن نبيّنا

---

بعد همزته حال النصب والجر فرقا بينه وبين الى الجارة وحملت حالة الرفع عليهما (النهى) بضم النون جمع نهية بالضم اى العقول والالباب ، سميت بذلك لانها تنهى صاحبها عن القبيح (والابصار) جمع بصر بمعنى البصيرة اى القلب. فى مفردات الراغب : يقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر نحو : فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، وجمع البصر ابصار وجمع البصيرة بصائر ، ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة (ويتأهب) من الاهبة (لما أشرت اليه) من أداء العبودية ، والاعراض عن أعراض الدنيا الدنية، (ويهتم) أى يعتنى بهمته (بما نبهت عليه) من الذهاب مذهب الاخيار ، وسلوك مسلك اولى النهى والابصار ، (واصوب طريق له فى ذلك) أى فى تحصيل ذلك ، وفيه رمز الى ان طرق المشايخ وان كان فيها بعض محدثات كالخلوات وبعض الاعمال هى صواب ايضا لما فيها من رياضة النفوس ومجاهدتها حتي تدخل زمام العبودية ، وللوسائل حكم المقاصد . (وأرشد ما يسلكه من المسالك) جمع مسلك مكان السلوك (التأدب بما صح عن نبينا) صلى الله عليه وسلم لو قال بما جاء لكان أعم لان الحديث الحسن كالصحيح فى الاحكام وغيرها ، والضعيف يتأدب به فى فضائل الاعمال ويؤخذ به فى الترغيب والترهيب، ويمكن أن يقال ماذكر من الضعيف وان عمل به فيما ذكر الا ان العمل بما صح اصوب وأرشد ، وتظهر ثمرة ذلك عند تعارض صحيح وضعيف ، فالتعبد بالصحيح هو الاصوب والارشد، والضعيف فيما يعمل به فيه من الصواب والرشاد، والحسن داخل فيما صح بأن يراد به مايقابل الضعيف. والادب قال الحافظ السيوطى فى التوشيح :

هو استعمال ما يحمد قولا وفعلا ، وقيل الاخذ بمكارم الاخلاق ، وقيل الوقوف مع المستحسنات، وقيل تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك. يقال إنه مأخوذ من المأدبة وهى الدعوة الى الطعام سمى به لانه يدعى اليه اهو الحديث الصحيح بالمعنى الشامل للحسن ما اتصل سنده بنقل العدل الضابطه عن مثله وسلم من العلة والشذوذ، او بنقل المغفل او كثير الخطأ وجاء من طرق اخرى ( سيدالاولين ) حتى جميع الانبياء والمرسلين(و) سيد ( الآخرين وأكرم السابقين )من الخلق(واللاحقين) منهم ، اى اجمعهم لانواع الخير والشرف والفضائل فهوسيد الخلائق وأكرمهم كلهم بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد الناس يوم القيامة » رواه البخارى وقوله صلى الله عليه وسلم « انا سيد العالمين » رواه البيهقي، والعالمون وان اختص بالعقلاء على الاصح فهم افضل سائر الانواع من المخلوقات ، فأذا فضل هذا النوع فقد فضل سائر الأنواع بالضرورة، وقوله «انا سيد ولد آدم ولافخر و بيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى آدم فمن دونه الا تحت لوائي » رواه الترمذي . ومن آخر هذا وصدر الاولين علمت أفضليته على آدم . فقوله أنا سيد ولد آدم اما للتأدب مع آدم أولانه علم فضل بعض بنيه عليه كابراهيم عليه السلام فاذا فضل نبينا الافضل(١) من آدم فقد فضل آدم بالاولى ولا ينافى التفضيل بين الانبياء قوله تعالى « لا نفرق بين أحد من رسله » ولا ما فى الاحاديث الصحيحة من قوله صلى الله عليه وسلم: لاتفضلونى. وفى رواية لاتخيرونى. على الانبياء وفى اخرى لاتخيروا بين الانبياء، ولا تفضيل(٢) نبينا عليهم قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه « من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب » وذلك لان عدم التفرقة بينهم انما هى فى الايمان بهم وبما جاءوا به . واما النهى فاما عن

١) الافضل مفعول فضل والمراد به ابراهيم عليه السلام . ع

٢) أى ولا ينافى تفضيل الخ . ع

صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين، وقد قال الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى » وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

تفضيل فى ذات النبوة او الرسالة لانهم فيها سواء أو عن تفضيل يؤدى الى تنقيص بعضهم او إلى خصومة او على التواضع منه أو قبل علمه بتفضيله عليهم وإن استبعد بان راويه ابو هريرة وما اسلم الا سنة سبع فيبعد انه لم يعلمه الا بعد هذا . واجاب جمع كمالك وامام الحرمين عن خبر يونس بماحاصله أن تفضيل نبينا بالامور الحسية كالشفاعة الكبرى وكونه تحت لوائه سائر الانبياء والاسراء به الى فوق سبع سموات مع النزول بيونس الى قعر البحر معلوم بالضرورة فلم يبق الا النهى بالنسبة الى القرب من الله تعالى لتوهم التفاوت فيه بين من هو فوق السموات ومن فى قعر البحر فبين صلى الله عليه وسلم أنهما حينئذ بالنسبة الى القرب من الله تعالى على حد سواء لتعاليه تعالى عن الجهة والمكان علوا كبيرا ففيه ابلغ رد على الجهوية والمجسمة(١) واعلم ان فى حديث «انا سيد العالمين» ابلغ رد على المعتزلة وان وافقهم الباقلانى والحليمى فى تفضيلهم الملائكة على الانبياء ، واستدلوا بما هو مردود . ومعنى تفضيل البشر عليهم أن خواصهم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم جبريل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون . وخواصهم افضل من عوام البشر اجماعا بل ضرورة . وعوام البشر وهم الصلحاء دون الفسقة كما قال البيهقي وغيره أفضل من عوامهم وقوله (صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين) فيه الصلاة على سائر الانبياء . صلى الله عليه وسلم « صلوا على انبياء الله ورسله فانهم بعثوا كما بعثت » رواه الطبرانى (وقد قال تعالى : وتعاونوا على البر ) اتباع الامر (والتقوي) اجتناب النهى . قاله الكواشى ( وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)

---

١) الجهوية القائلون بأن لله جهة والمجسمة القائلون بأن الله جسم . غ

أنه قال « واللهُ فى عَونِ العبدِ ما كانَ فى عون أخيه » وأنه قال « من دَلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعِله » وأنهقال « من دَعا إلى هُدًى كان له من الاجرِ مثلُ أجُورِ من تَبِعَه لا يَنقُصُ ذلك من أجُورهم شيئا

---

أنه قال ) أي من جملة حديث رواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعا وأخرجه الترمذى والنسائي وابن ماجه و ابن حبان فى صحيحه وغيرهم وما اعترض به على الحديث بأن فى سنده من هو مردود غير مقبول . (والله فى عون العبد ما كان )العبد اى مدة كونه ( فى عون اخيه ) بقلبه أو بدنه او ماله أو غيرها . قيل وهذا اجمال لا تسع بيانه الطروس فانه مطلق فى سائر الاحوال والازمان وفيه ان العبد إذا عزم على معاونة اخيه فينبغى الا يجبن عن انفاذ قوله وصدعه بالحق ايمانا بأن الله فى عونه، وأن يأمل الاعانة بدوام هذه الاعانة ،فانه صلى الله عليه وسلم لم يقيدها بحالة خاصة بل أخبر بانها دائمة بدوام كون العبد فى عون اخيه ( و ) صح ايضا (انه) صلى الله عليه وسلم (قال : من دل على خير فله مثل أجر فاعله) شك بعض رواته فقال : او قال عامله، رواه مسلم وابو داود من حديث أبى مسعود البدرى . وابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود : ورواه البزار من حديث انس مختصرا بلفظ : الدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان . ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب (و ) صح ايضا(انه)صلى الله عليه وسلم (قال : من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ) رواه احمد ومسلم واصحاب السنن الاربعة كما فى الجامع الصغير للسيوطي. وفى مصباح الزجاجة له ايضا قال البيضاوي أفعال العباد وان كانت غير موجبة ولا مقتضية للثواب والعقاب بذواتها الا ان الله تعالى اجرى عادته الالهية بربط الثواب والعقاب بها ارتباط المسببات بالاسباب وليس للعبد تأثير فى صدور الفعل عنه بوجه . فكما يترتبان على ما يباشره ويزاوله

وأنه قال لعليّ رضي الله عنه « فوالله لأَن يَهْدِيَ اللهُ بك رجلاً واحدا خيرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعَم » فرأيت أن أجمعَ مختصرا من الأَحاديث الصحيحةِ

---

يترتب كل منهما أيضا على ماهو سبب فى فعله كالارشاد اليه والحث عليه . ولما كانت الجهة التي بها استوجب المتسبب الاجر والجزاء غير الجهة التي استوجب بها المباشر لم ينقص أجره من أجرم شيئا . وقال الطيبي :الهدى فى الحديث مايهتدى به من الاعمال وهو بحسب التنكير مطلق شائع فى جنس مايقال له هدى يطلق على القليل والكثير فأعظمه هدي من دعا الى الله وادناه هدى من دعا الى اماطة الاذى عن طريق المسلمين .ومن ثم عظم شأن الفقيه الداعى المنذر حتى فضل واحد منهم على الف عابد لان نفعه يعم الاشخاص والاعصار الى يوم القيامة اه وسيأتى فى هذا المعنى مزيد ان شاء الله تعالى (و )صح أيضا( انه) صلى الله عليه وسلم (قال لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه ) يوم خيبر (فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم )رواه الشيخان .وحمر النعم بفتح النون والمهملة اى الابل الحمر أنفس أموال العرب.وهذا الخطاب باعتبار مااستقر عندهم من نفاسة ذلك وكرمه .والا فلا مناسبة بينه وبين الثواب المترتب على الهداية . وفى الحديث « لموضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها»( فرأيت ) الفاء فصيحة اى أنه ورد الامر بالتعاون على البر والتقوى فى الكتاب والسنة .فرأيت (ان اجمع مختصرا ) بوزن اسم مفعول مفعول أجمع ويقال له الموجز وهو ماقل لفظه وكثر معناه . ويجوز ان يقرأ بصيغة اسم الفاعل فيكون حالا من فاعل أجمع ويكون قوله (من الاحاديث الصحيحة ) ظرفا لغوا متعلقا بأجمع وعلى الاول فهو ظرف مستقر صفة مختصرا اي مختصرا كائنا من الاحاديث . والاحاديث قال فى المفاتيح جمع احدوثة وهو مايحدث به والحديث

مشتملاً على ما يكونُ طريقا لصاحبه الى الآخرة ، ومحصّلاً لآدابه

مثله ويجوز أن يكون جمع حديث على غير قياس . وفى الكشاف الاحاديث
تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اﻫ وتعقبه
ابو حيان فى النهر بأن افاعيل ليست من صيغ اسم الجمع وانما ذكرها اصحابنا فيما شذ
من الجمع كقطيع واقاطيع واذا حكموا على عباديد(١) بأنه جمع تكسير لا اسم جمع وهو لم
يلفظ له بواحد فأحاديث احرى ، فالصواب انه جمع تكسير لما ذكرنا اى من
احدوثة وهو ما يتحدث به الناس على جهة الغرابة والتعجيب اﻫ والحديث المراد هنا
ما يسمى بعلم الحديث رواية ، وحده كما فى شرح البخارى للكرمانى علم يعرف به
اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعاله واحواله قلت وكذا تقريره وما أضيف
اليه من وصف ككونه ليس بالطويل ولا بالقصير وايام كاستشهاد عمه حمزة رضى
الله عنه باحد وكذا تعرف به اقوال وافعال من دونه من صحابى وتابعى كما ذكره
شيخ الاسلام زكريا وغيره، فكان عليه ذكره لان الحديث يطلق على ذلك فهو
غير جامع ،وتعقب السيوطى هذا التعريف أيضا بأنه غير مانع لشموله علم الاستنباط
اﻫ قال الكرمانى وموضوعه ذات النبى من حيث انه نبى .قال الشيخ زكريا: هذا
مبنى على تعريفه المقتضى لحصر الحديث فى المرفوع . أما على القول بأنه أعم منه
ومن الموقوف فينبغى ان يعمم الموضوع ليشمل ذلك وغايته الفوز بسعادة الدارين
ومراده من الصحيحة المقبولة .فتشمل الحسن ولو لغيره والضعيف المقبول فى مواطنه
(مشتملا على ما ) أي الذى (يكون طريقا ) أى موصلا ( لصاحبه ) أى المختصر
(إلى ) تحصيل (نعيم الآخرة ) ان لاحظته العناية وذلك هو الهدي (ومحصلا لآدابه)

---

١) يقال صار القوم عباييد وعباديد وذهبوا عباييد وعباديد . أى متفرقين
لا واحد له ،ولا يقع الا فى جماعة ،ولا يقال للواحد عبديد .ع

الباطنةِ والظاهره، جامِعا للترغيبِ والترهيبِ وسائرِ أنواعِ آدابِ السالكين من أحاديثِ الزُّهد ورياضاتِ النّفوسِ وتهذيبِ الاخْلاق، وطهاراتِ القلوب وعلاجِها، وصيانةِ الجوارحِ وإزالةِ اعوجاجها،

---

أى الصاحب، والآداب جمع أدب وسبق تعريفه قريبا، أى محصلا لما ينبغي له استعماله مما يحمد قولا وفعلا (الباطنة) من نحو الاخلاص والصدق وسائر الاخلاق الحميدة (والظاهرة) من نحو اقامة الشرائع وترك المحرمات والاتيان بالمندوبات (جامعا للترغيب) فى الاعمال الصالحة بذكر ماجاء فى فضلها وثوابها من كتاب اوسنة ويعبر عنها بالتبشير (والترهيب) من الاعمال المحرمة والاخلاق الرديئة بذكر ماجاء فيها من وعيد أو ذم او نحوه ويعبر عنه بالنذارة (وسائر انواع آداب السالكين) من قطع العلائق وترك العوائق والاقبال على الخالق (من احاديث الزهد) أى الواردة بطلبه وبيان فضله (ورياضات النفوس) أى ماترتاض وتنخلع بمزاولته عن طبعها الذميم ووصفها القبيح من المجاهدات وقطع المألوفات والمعتادات من الحظوظ والشهوات، فأن النفس قبل رياضتها بمثابة الدابة الحرون لاتزداد بالعلف الا إباء وامتناعا عن مراد سيدها، وبعد تأديبها وتهذيبها لاتزداد بذلك الا انقياداً للمراد، ووفاقا له على سلوك طريق السداد (وتهذيب الاخلاق) أى تنقيتها واختيار جيدها من رديئها . والاخلاق جمع خلق بضم الخاء المعجمة واللام و باسكانها أيضا اسم للمعانى المدركة بالبصيرة . وعرف بأنه ملكة تصدر عنها الافعال بسهولة، فان كانت حسنة فخلق حسن والا فسيئ (وطهارات القلوب) من أدناسها كالعجب والكبر ونحوهما من الاخلاق المذمومة (وعلاجها) من امراضها من نحو الغفلة وغلبة الاهتمام بشأن الدنيا (وصيانة الجوارح) أي صونها عما لايجوز لها مزاولته ومحاولته من الاعمال (وإزالة اعوجاجها) وذلك لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وصلاح

وغيرِ ذلك من مقاصدِ العارفين ، وألتزِم فيـه ألاَّ اذكُر إلا حديثـا صحيحا من الواضِحات، مضـافا إلي الكتب الصحيحةِ المشهورات، وأصدِّرَ الابوابَ من القرآنِ العزيز بآياتٍ كريمات،

---

الظاهر عنوان صلاح الباطن ، فمن تحلى ظاهره بحلى الشريعة ، وتطهر باطنه بمياه الطريقة ، فقد فاز بالحقيقة (وغير ذلك من مقاصد العارفين ) كالاقبال على الخالق وقطع العلائق وترك العوائق والاشتغال به فى كل حال وطلب مرضاته فى سائر الاحوال فمن وجد مولاه لم يفقد شيئا (وألتزم فيه ) أى فى هذا المختصر (ألا أذكر إلا حديثا صحيحا ) أى مقبولا فشمل الحسن ولو لغيره كما تقدم ( من )الاحاديث (الواضحات ) المعنى أي فى الجملة ، ووضوحها لان المصنف قصد عموم النفع، بكتابه حتي للعوام (مضافا الى الكتب الصحيحة المشهورات )وهى الصحيحان، وأكثر ماهنا منهما ، والسنن لابى داودوالترمذي والنسائى وابن ماجه وكذا مستدرك الحاكم (وأصدر الابواب) أى أجمل صدرها وبدأها (من القرآن العزيز) هو كلام الله تعالي المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقصد الإعجاز بقدر أقصر سورة منه المتعبد بتلاوته، ومن عزته العجز عن الاتيان بقدر أقصر سورة منه (بآيات كريمات)أى يجيء بها مناسبة للباب لتكون كالدليل وتعود بركتها على باقى مسائل الباب والآيات جمع آية بالمدلغة بمعنى العلامة واصطلاحا طائفة من كلمات القرآن المتميزة بفصل أى هو آخر الآية الذى يقال فيه الفاصلة، وفى أصل آية ستة اقوال (١) قيل إنه بفتحات وقيل بوزن كلمة تحركت الياء فيهما وانفتح ماقبلها فقلبت الفاوقيل غير ذلك وقد بسط ذلك ابن الصائغ فى شرح البردة وكريمات أى نفيسات ومنه

---

١) وقد مر ما فى شرح القاموس

وأوَشّحَ ما يحتاجُ الى ضبطٍ أو شرحِ معنًى خفى بنفائسَ من التنبيهات،
واذا قلتُ فى آخر حديثٍ متفقٌ عليه فمعناه رَواه البُخاريّ ومُسلم.
وأرجو إن تمّ هـذا الكتابُ

---

كرائم الاموال (واوشح مايحتاج) من الكلمات (الى ضبط) لحروفه نحو بالفوقية أو بالتحتية وبيان ماقديشتبه من الحركات (أوشرح معنى) للفظ (خفى) الغموض دلالة اللفظ عليه بأن يكون ذلك اللفظ مصروفا عن ظاهره لمقتض أو بأن يكون فيه غموض بحيث يعسر فهم معناه من مبناه الا للعارف او نحو ذلك (بنفائس) جمع نفيسة وهو مايرغب فيه من علم أو مال أو نحو ذلك والظرف متعلق بأوشح، وقوله (من التنبيهات) جمع تنبيه وهو لغة الإيقاظ واصطلاحا إعلام بمايؤخذ مما قبله اجمالا وهو فى محل الصفة لنفائس، وفى العبارة تشبيه مايعقب به متن الحديث من ضبط مبنى أو بيان معنى بالوشاح وهو كما فى النهاية شىء ينسج عريضا من اديم وربما رصع بالجواهر والخرز تشد به المرأة بين عاتقها وكشحها اهـ ففى العبارة استعارة تبعية مصرحة، وذكر النفائس ترشيح . وقوله من التنبيهات تجريد (واذا قلت فى آخر حديث) أي عقبه (متفق عليه فمعناه رواه البخارى ومسلم) لا اتفاق (١) الائمة، قال ابن الصلاح لكن يلزم من اتفاقهما اتفاق الائمة عليه لان الامة اتفقت على تلقيهم لما روياه بالقبول (وأرجو) من الرجاء ضد اليأس فهو تجويز وقوع محبوب على قرب واستعماله فى غيره كما فى «مالكم لاترجون لله وقارا» أى لاتخافون عظمته مجاز يحتاج إلى قرينة (إن) عبر بها مع أن المناسب للرجاء إذا اشارة إلى انه مع رجائه ملاحظ لمقام الخوف المقتضى للتردد فى التمام اللازم للمرجو (تم هذا الكتاب) الحاضر ذهنا

---

١) أى وليس معناه اتفاق الائمة. ع

أن يكون سائقا للمُعْتَنِي به الى الخيرات، حاجزاً له عَنْ أنواع القبائح والمُهلكات،وأنا سائلٌ أخاً انتفَع بشيء منهْأن يدْعُوَ لى ولوالدىَّ ومشايخى

---

وإن تقدم على وضع الخطبة كما ذكره المحققون وتقدمها يدل عليه صنيعه فى مواضع وقد تم ولله الحمد (أن يكون سائقا) اسم فاعل من السوق (للمعتني ) أى لصاحب العناية (به الى الخيرات ) وهى فعل العبادات والتقرب اليه سبحانه بأنواع الطاعات (حاجزا له ) أى مانعا للمعتنى به (عن انواع القبائح ) والرذائل كالسرقة واخلال المروءة ( والمهلكات ) اى الموقعة لصاحبها فى الهلاك والعذاب كالعجب والكبر والرياء ونحو ذلك،لما اشتمل عليه هذا الكتاب من الترغيب والترهيب ومن أحاديث طهارات القلوب وعلاجها (وأنا سائل أخا انتفع بشيء منه ان يدعو لي ولوالدي ) سأل المصنف من الاخوان وهم المؤمنون الدعاء له ولمن ذكر معه ليفوزوا بالقيام بسنة الدعاء للأخ بظهر الغيب وليحصل لهم من الفضل مثل ما دعوا به كما ورد فى حديث ابى الدرداء المرفوع ، وفى قوله سائل مالا يخفى من مزيد التواضع والتنزل ، وفى حذف المدعو به تعميم .وأهم ما يدعى به غفران الذنوب ورضاء علام الغيوب (ومشايخى ) جمع واحده شيخ والمراد بالشيوخ هنا من أخذ عنهم المصنف وإن لم يبلغوا سن الشيوخة ويجمع شيخ على شيوخ واشياخ وشيخان وشيخه بكسر الشين المعجمة وفتح التحتية وسكونها ومشيخة بوزن مسبعة وقد نظم ابن مالك بعض هذه الجموع وزاد غيرها فقال:

شيخ شيوخ ومشيوخاء مشيخة  شيخان أشياخ أيضاً شيخة شيخه

وزاد فى القاموس شيوخ ومشيخة بكسر الشين فيها ومشيخاء، وفى النوادر للحيانى هؤلاء مشيخة بفتح الياء وضمها وبه يصير له اثنا عشر جمعا واختلف فى أشاييخ فقيل جمع شيخ وقيل جمع اشياخ كأنابيب جمع انباب وقد بسطت الكلام فى

وسائرِ أحبابِنا والمسلمين أجمعين، وعلى الله الكريم اعتمادِي، وإليه تفويضي واستنادِي وحسبيَ اللهُ ونعم الوكيل

---

هذا المقام فى حاشيتى على شرح الشيخ خالد الازهرى على الاجرومية (وسائر احبابنا) أى باقيهم والاحباب بتكرير الموحدة جمع حبيب كشريف واشراف وضبطه نفيس الدين سليمان بن ابراهيم العلوي بالقلم بتشديد الموحدة بعدها مدة ثم همزة مكسورة. اى من أحبنا ومن احببناه فى الله تعالى بناء علي جواز اطلاق المشترك على معنييه معا (وسائر المسلمين) تعميم لان الدعاء كلما كان أعم كان أتم وقوله (اجمعين) تأكيد للاحاطة والشمول (وعلى الله الكريم) أى لا على غيره كما يؤذن به تقديم ماحقه التأخير (اعتمادى) هذا وقد جعل الرضى الاستعلاء فى نحو هذا من الاستعلاء المجازي، واللائق بالادب عدم التعبير بالاستعلاء مطلقا وان يقال معنى على فى ذلك ونحوه لزوم التفويض الى الله سبحانه. فمعني عليه اعتمادي لزمت تفويض امري الى الله تعالى واللفظ قد يخرج بشهرته فى الاستعمال فى الشيء عن مراعاة اصل المعنى، ذكره بعض المحققين (واليه) لا إلى غيره (تفويضى واستنادى) فى النهاية يقال: فوض اليه الامر، اذا رده اليه وجعله الحاكم فيه اهـ (وحسبى الله) أى محسبى وكافىّ خبر قدم على مبتدئه وهو الاسم الكريم لافادة ماذكر وللاهتمام. وقوله (ونعم الوكيل) معطوف إما على حسبي الخبر من باب عطف الجملة على المفرد، والمخصوص على هذا بالمدح هو الاسم الكريم، أو على جملة حسبي الله من غير تقدير شيء فى الجملة المعطوفة بناء على كون تلك انشائية معنى إذ هى لانشاء التوكل فيكون من عطف انشائية على مثلها، او مع تقدير مبتدأ هو هو حذف اختصارا. ولا حاجة علي هذا لتقدير «مقول» فى جانب الخبر لان الاصح كما قال ابن مالك جواز وقوع الجملة الطلبية خبرا من غير اضمار قول. وتقدير المبتدا فى الجملة المعطوفة بناء على بقاء

ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العزيزِ الحكيم .
بسم الله الرحمن الرحيم (بابُ الاخلاص

جملة حسبي الله على وضعها وهي الخبرية افظاً ومعنى فيكون من عطف خبرية على مثلها والمخصوص على هذا محذوف كما علم مما ذكر (ولا حول) بفتح اللام ويجوز الرفع على اهمال لا لتكررها (ولا قوة) بهما او بالنصب عطفا على محل حول اذا عملت لا فيه . والمعني كما جاء في حديث ابن مسعود مرفوعا «لا حول عن معصية الله ولا قوة على طاعة الله الا بعون الله» اخرجه البزار (الا بالله العزيز الحكيم) هذا هو الوارد في ختم هذه الكلمة في الصحيح دون ما اشتهر من ختمها بالعلي العظيم وان جاء في رواية كما يؤذن به بعض نسخ الحصن الحصين . والعزيز الذي لا يغالب في مراده والحكيم من يضع الاشياء في مواضعها على ما سبق في علمه

بسم الله الرحمن الرحيم

أي اشرع في مقصود الكتاب مستعينا باسم الله الواجب الوجود المنعم الوهاب

## (باب الاخلاص)

الباب لغة الفرجة التي يتوصل بها من خارج الى داخل وبالعكس ، والوجه. قيل وهو انسب لان الباب لا يناسب بالمعنى الاول الا ان كان اسما للجزء الاول من الطائفة المخصوصة من الكلام وليس كذلك بل هو اسم للجميع ، وكونه بمعنى الوجه اوجه للاختلاف بين معنى كل باب وغيره كاختلاف الوجوه لكن يصدعنه جمعهم له على ابواب دون بابات الذي هو جمع باب بمعني الوجه، وعرفا طائفة مخصوصة من الكتاب مشتملة على فصول ومسائل غالبا ، وسيأتي انه يجوز فيه الرفع والنصب

وإحضار النيةِ فى جميع الأعمالِ والأقوال والأحوالِ البارزةِ والخفيَّه )

قال الله تعالي « وما أُمِروا إلا ليعبُدوا الله مخلصين له الدينَ حُنفاءَ

ويُقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوةَ

---

بل والجر على وجه الاصح خلافه . والاخلاص بكسر الهمزة مصدر أخلص ، قال الراغب فى مفرداته : الاخلاص التعرى عما دون الله تعالى . ا هـ ، وقال الاستاذ أبو القاسم القشيري: الاخلاص افراد الحق سبحانه وتعالى فى الطاعات بالقصد، وهو ان يريد بطاعته التقرب الى الله تعالى دون شئ آخر من تصنع لمخلوق واكتساب محمدة عند الناس اومحبة مدح من الخلق او معني من المعانى سوى التقرب الى الله تعالى . قال و يصح أو يصلح ان يقال : الاخلاص تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين (واحضار النية فى جميع الاعمال والاقوال والاحوال البارزة ) اى الظاهرة (و ) الاعمال والاقوال والاحوال ( الخفية ) والنية واجبة اول كل فعل شرعي لتوقف صحته عليها ، ودوام استحضارها الى آخره سنة محبوبة ، واما التروك كترك نحو الزنى فلا يتوقف عليها، نعم لابد فى حصول الثواب من قصد الترك على وجه الامتثال، وإنما وجبت النية فى الصوم مع انه من باب التروك لانه ملحق بالافعال إذ القصد منه قمع النفس عن معتاداتها وقطعها عن عاداتها * (قال تعالى ) اي عما لا يليق بشأنه سبحانه (وما امروا) اى اليهود والنصارى فى التوراة والانجيل ( الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ) اى موحدين لا يعبدون سواه، قال بعضهم : الاخلاص تصفية العمل عن شوائب الكدر ( حنفاء ) مائلين عن جميع الاديان الى دين الاسلام او حنفاء حجاجا ( ويقيموا الصلوة ) اى المكتوبة فى اوقاتها (ويؤتوا الزكوة) عند وجوبها ، ومخلصين وحنفاء حالان من الضمير فى يعبدوا ، والمعنى وما امروا فى كتابهم الا ليعبدوا الله بهذا الوصف

وذلك دِينُ القيمة »

وقال تعالى « لن يَنالَ اللهَ لَحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم »

(وذلك دين القيمة ) اى الملة المستقيمة او دين الجماعة القيمة او الهاء للمبالغة ،وعن الخليل ان القيمة جمع القيم ،والقيم والقائم واحد،أوالمراد بدين القيمةدين الملائكة او ملة ابراهيم ،وقرىء وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة كذا فى التفسير الكبير للكواشى ،وقال الحافظ السيوطى فى الاكليل : قوله تعالى «وما أمروا الخ » استدل به على وجوب النية فى العبادات لان الاخلاص لا يكون بدونها اهـ

(وقال تعالى(١) لن تنالوا البر) ى لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير ،ولن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضى والجنة وقوله (حتي تنفقوا مما تحبون ) اى من المال أو مايعمه وغيره كبذل الحياة ومفاداته للناس والبذل فى طاعة الله والمهجة فى سبيله، روى انها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال: يارسول الله ان أحب اموالى بيرحاء فضعها حيث اراك الله تعالى. فقال : بخ بخ ذاك مال رابح أو رائح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين .وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله أسامة فقال زيد انما اردت ان أتصدق بها فقال عليه الصلاة والسلام « ان الله تعالى قد قبلها منك» وذلك يدل على أن انفاق احب الاموال على أقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب ،وقوله ( وماتنفقوا من شىء ) محبوب أوغيره ( فان الله به عليم )فيجازيكم بحسبه(وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ) قال القرطبي : قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يلطخون البيت بدماء البدن فاراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فنزلت هذه الآية ، والنيل لايتعلق بالبارىء تعالى لكنه عبر به تعبيرا مجازيا عن القبول، والمعنى لن يصل اليه ، وقال ابن عباس لن يصعد اليه، وابن عيسى لن يصل اليه لحومها

١) هذه الآية ساقطة في بعض نسخ المتن والشرح . ع

وقال تعالى « قل ان تُخفوا ما فى صدوركم أو تُبدوه يعلمْه الله »

وعن امير المؤمنين أبى حفص عمرَ بنِ الخطاب بن نُفَيلِ بنِ عبدِ العُزّى بن رِياح بن عبدِ اللهِ بن قُرْطِ بن رَزَاح

---

ولا دماؤها ولكن يصل اليه التقوى منكم، أى ما أريد به وجه الله فذلك الذى يقبله ويرفع اليه ويسمه (١) ويثيب عليه ومنه الحديث « انما الاعمال بالنيات » اهـ

(وقال تعالى: قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله) فهو العالم بخفيات الصدور وما اشتملت عليه قال تعالى « واسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق » فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا يغيب عنه شيء سبحانه لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة ، وفى الآيات تنبيه للموفق على الاخلاص وتحذير له من الرياء ولا يغتر بخفائه ظاهرا فان الله تعالى عالم بخفيات الامور ، لا تخفى عليه وساوس الصدور ،

( وعن أمير المؤمنين ) أول من لقب به من الخلفاء أما اول من لقب به مطلقا فعبد الله بن جحش فى سرية وقد بينت مستند ذلك فى أواخر شرح الاذكار (أبى حفص ) بالحاء المهملة وهو الاسد كناه به صلى الله عليه وسلم كما فى الفتح المبين ، وكنى به لكمال شجاعته ومزيد صلابته (عمر بن الخطاب بن نفيل ) بضم النون وفتح الفاء وسكون التحتية ( بن عبد العزى ) بضم العين المهملة وتشديد الزاي بعدها الف مقصورة ( بن رياح ) بكسر الراء بعدها تحتية وبعد الالف حاء مهملة (بن عبد الله) كذا هو فى أسد الغابة ، وفى نسخة من التهذيب للمصنف بدل عبد الله هذا عدى (بن قرط ) بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة (بن رزاح) بفتح الراء قيل وقد تكسر

---

١) أى سماع قبول . ش

بن عَدِيّ بن كعب بن لؤَى بن غالب القرشيّ العَدَوى رضىَ الله عنه قال سمعتُ رسولَ الله صلى عليه وسلم يقولُ

---

وبعدها زاى وبعد الالف حاء مهملة (بن عدى) بفتح المهملة وكسر الثانية وتشديد التحتية (بن كعب) بسكون المهملة بعدها موحدة (بن لؤى) بضم اللام وفتح الهمزة تصغير اللأى قال فى المواهب اللدنية: وهو الثور، وفى كعب يجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم (بن غالب القرشى العدوى رضى الله عنه) اشار المصنف الى طريق النسبة الى القبائل وذلك أنه يبدأ بالاعم قبل الاخص فيقال القرشى الهاشمى ليحصل بالثانى فائدة اذ لو ذكر الاول بعد الثانى بأن قيل الهاشمى القرشى لخلا عن الفائدة: اذ يلزم من كونه هاشميا كونه قرشيا بخلاف العكس ذكره المصنف فى تهذيبه وغيره، قال: فأن قيل كان ينبغى ألا يذكر الاعم بل يقتصر على الاخص، فالجواب انه قد يخفى على بعض الناس كون الهاشمى قرشيا، ويظهر هذا الخفاء فى البطون الخفية كالاشهلى من الانصار: اذ لو اقتصر على الاشهلى لم يعرف كثير من الناس أنه من الانصار أم لا، فذكر العام ثم الخاص لدفع هذا التوهم، قال وقد يقتصرون علي الخاص وقد يقتصرون على العام، وهذا قليل اهـ. روي لعمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا، وقال أبو نعيم أسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المتون سوي الطرق مائتي حديث ونيفاً كذا فى التلقيح لابن الجوزى، اتفق الشيخان منها على ستة وعشرين، وانفرد البخاري باربعة وثلاثين، ومسلم باحدوعشرين، وقدا عرضنا عن بسط تراجم الرجال فى هذا الكتاب طلبا للايجاز، وحذراً من الاسهاب، لاسيما وقد ترجمنا معظم من ذكر من الصحابة هنا فى شرح الاذكار، واقتصرنا هنا على ذكر عدة مرو ياته وزمن وفاته، وبعض يسير من بيان حالاته، لعموم حاجة المحدث لذلك والله الموفق (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول) الجملة

المضارعية بدل اشتمال من مفعول سمعت أو حالية تبين المضاف المحذوف قبله ، أي كلامه . وأتى به مضارعا بعد سمع الماضي : إما حكاية لحاله وقت السماع ، أو لاحضار ذلك في ذهن السامع . وماذكر من أن ثمة مضافا محذوفا والجملة بعده تبين المحذوف هو المشهور ، وقيل ان سمع يتعدي لمفعولين فلا محذوف بل أولهما رسول وثانيهما الجملة ، واعترض بأن محل تعديتها لهما اذا كانت فيما يظن ، وأجيب بمنع الحصر. ثم الحديث المذكور لم يرو من طريق صحيح عنه صلى الله عليه وسلم الا من حديث عمر رضي الله عنه وان رواه نحو عشرين صحابيا ، فهو وان اجمعوا على صحته غريب باعتبار اوله مشهور باعتبار آخره ، وليس بمتواتر لفقد عدد التواتر في بعض طبقاته (انما) هي لتقوية الحكم المذكور بعدها اتفاقا ، ولذا وجب كونه معلوما للمخاطب أوفي منزلته ، ولافادة الحصر وضعا حقيقة على الاصح عند جمهور الاصوليين خلافا لجمهور النحاة . والحصر وبمعناه القصر إثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما عداه لورودها لذلك في كلامهم غالبا والأصل الحقيقه وجواز غلبة المجاز خلاف الاصل ، والقصر في الخبر من قصر المسند اليه ويعبر عنه بالموصوف على المسند ويعبر عنه بصفته ، وهو اضافي لخروج بعض الاعمال عن اعتبار النية فيها ، وفي الخبر حصر آخر هو عموم المبتدا اذ هو جمع محلى بأل التى للاستغراق لا للماهية اذ المفتقر للنية أفراد العمل لا ماهيته من حيث هي ماهية اذ لا وجود لها في الخارج ، ورواية انما العمل المبتدأ فيها مفرد محلي بأل المذكورة فيفيد العموم وخصوص الخبر على حد صديقي زيد لعموم المضاف لمعرفة وعلى هذا فجمع بينهما في هذه تأكيدا وسقطت انما في رواية صحيحة اكتفاء عنها بهذا الحاصر (الاعمال) هي حركات البدن فتدخل فيها الاقوال ويتجوز بها عن حركات النفس وأوثرت على الافعال لئلا تتناول فعل القلب

بالنيات ،

---

غير المحتاج للنية كالتوحيد والاجلال والخوف لصراحة القصد به ، والنية لئلا يلزم التسلسل او الدور المحال ، وأل فى الاعمال: قيل للعهد الذهنى أى غير الاعمال العادية لعدم توقف صحتها على النية، وقيل للاستغراق كما تقدم الا أنه اضافى والعموم مخصوص لخروج جزئيات من الاعمال عن الاحتياج الى النيـة بأدلة مقررة كالواجب غير المتوقف على النية من نحو قضاء دين وكف عن محرم، والمتوقف على النية حصول الثواب فى ذلك ، وهو غير ما الكلام فيه اذ هو هل تلزم النية فى صحة الترك بحيث يعدى بتركها ، والتحقيق كما تقدم انه لا تلزم النية فيه وأن المجرد منها لا ثواب فيه ، وانما يحصل بالكف الذى هو فعل النفس ، وهو ان يقصد الترك بقصد امتثال أمر الشارع فيـه . ولا تجب النية فى عمل اللسان من نحو قراءة وذكر وأذان اذ ليس شىء عادى من ذلك حتى يميز بالنية عنـه ، وصرح الغزالى بحصول ثواب الذكر اللسانى ولو مع الغفلة ، نعم تجب فى قراءة منذورة ومثلها كل ذكر نذره ليتميز الفرض من غيره (بالنيات) الباء فيه قيل للسببية والتقدير وجود الاعمال شرعا مستقر أو ثابت بسببها ويصح كونها للملابسة وكونها للمصاحبة ، قال بعض المحققين فعلى الاول هي جزء من العبادة وهو الاصح وعلى الثانى شرط ، وفيه نظر، بل كل منهما محتمل للشرطية والركنية اذ كل منهما يقارن المشروط والماهية ويكون سببا فى وجودهما ، وايضاحه ان ركن الماهية لكونه جزأها مغاير لها مغايرة الجزء للكل فتصدق عليه المصاحبة كما تصدق عليه السببية ، وأما السببية فصادقة مع الشرطية وهو واضح لتوقف المشروط على الشروط ومع الركنية لانه بترك جزء من الماهية تنتفى الماهية اهـ . الا أنها اذا كانت للمصاحبة تشعر باعتبار وجوب استصحابها الى الآخر لانه الظاهر من المعية وهذا حال الشروط ، بخلافها على الملابسة فان هذا

وانّما لكل امرىء ما نوى

الاشعار منتف عندها ، وقال الكازرونى فى شرح الاربعين الباء فيه للاستعانة اه
ثم قيل لابد من تقدير مضاف للمحصور وهو المسند اليه فقدره الاكثرون بالصحة
أى انما صحة الاعمال بالنيات وقدره آخرون بالكمال وقالوا تقديره انما كمال
الاعمال وقد بينت دليل القولين ورد الثانى وتأييد القول الاول فى شرح الاذكار
والاقرب كما قال بعض المحققين وقال انه التحقيق، انه لاحاجة لتقدير فى الخبر وليس
فيه دلالة اقتضاء بل اللفظ باق علي مدلوله من انتفاء الاعمال حقيقة بانتفاء النية
لكن شرعا اذ الكلام فيه،والتقدير انما وجودها كائن بالنية فاذا انتفت انتفى العمل
ونفى الحقيقة انما ينتفى بانتفاء شرطها أو ركنها فيفيد مذهبنا من وجوبها فى كل عمل
الا ماقام الدليل على خروجه ،والعام المخصوص حجة فى غير ماخص منه اه والنية
بالتشديد مصدر او اسم مصدر لغة القصد وشرعا وهو المراد هنا خلافا لبعض
المحققين قصد الشىء مقترنا بفعله الا فى الصوم والزكاة للعسر فان تراخى الفعل سمى
عزما ،ثم هى بالجمع فى هذه الرواية عند الشيخين ،قال الحافظ السيوطى فى التوشيح :
فى معظم الروايات بالنية مفردا قيل ووجهه أن محلها القلب وهو متحد فناسب
افرادها بخلاف الاعمال فانها متعلقة بالظواهر فناسب جمعها اه.وهذه حكمة للافراد
والا فهو الاصل لانها مصدر وجمعت فى هذه الرواية باعتبار انواعها من الوجوب
تارة وغيره أخرى(وإنما لكل امرىء مانوى) الجملة السابقة لبيان ان الاعمال لايعتد
بها شرعا الا بالنية الموجدة لها ،وهذه الجملة لبيان ان جزاء العامل على عمله بحسب
نيته من خير أوشر وبيان ان العمل لايجزى الا ان عينت نيته ،قلت فتختص حينئذ
بما يعتبر فى نيته التعيين من نحو صلاة الفرض والنفل المرتب،أو تعم مطلق العبادة
المعتبر فيها النية ويراد ان الذى له من عمله الموجود شرعا بالنية هو ماقصده به من وجه

الله سبحانه فيثاب او الرياء للعباد فيمنع الثواب، وقيل مفاد هذه الجملة امتناع النيابة فى النية الشامل لها الجملة الاولى ، وصحة نية الولى عن الصبى والاجير عن المحجوج عنه لمعنى يخصه هو عدم تأهل المنوي عنه لها فيهما، وقيل هذه الجملة مؤكدة للاولى تنبيها على سر الاخلاص، وفيه ان تنبيهها على ذلك يمنع اطلاق كونها مؤكدة فعلم سر تأخير هذه الجملة وأنهما متغايرتان ، وأنه لولا تعقيب تلك بهذه لأوهمت تلك صحة النية بلاتعيين وانه يلزمها الثواب. و«ما» فى ما نوى إما موصولة او موصوفة او مصدرية أى مايحصل لكل امرىء أى انسان الا الذي نواه اوشىء نواه او منويه والقصر فى هذه الجملة عكسه فى الاولى أى قصر المسند فى المسند اليه «لطيفة» قد لمح العلامة تاج الدين السبكى الى معنى هذه الجملة بقوله فى مدح المصنف نفع الله بهما

لقيت خيراً يانوى ووقيت من ألم النوى

فلقد نشا بك عالم لله أخلص مانوي

وعلى سواه فضله فضل الحبوب على النوى

(فمن كانت هجرته )هو تفصيل لبعض الاجمال فيما قبله، والتقدير: اذا تقرر ان لكل امرىء منويه من طاعة وغيرها فلا بد من مثال يجمع الاعمال كلها أمرها ونهيها وذلك الهجرة اذ هى متضمنة لذلك : أما الكف عن المنهى فظاهر، ومن ثم قال صلي الله عليه وسلم « المهاجر من هجر مانهى الله عنه » واما الامر فلانه لايتم بل لايمكن الاتيان به إلا بهجره دواعى النفس والهوى، ولتضمن الهجرة هذا الامر العام آثر صلى الله عليه وسلم ذكرها مفردا لها بالفاء الداخلة على الجزاء إن جعلت من شرطية او الخبر إن جعلت موصولة لمشابهة الموصول للشرط فى العموم اوتضمنه

إِلَى اللّٰهِ ورسولِهِ فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لِدُنيا

---

له .والهجرة لغة الترك وشرعا مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام خوف الفتنة ، ووجوبها باق .وخبر « لاهجرة بعد الفتح » المراد لاهجرة بعد فتح مكة منها لانها صارت دار الاسلام وحقيقتها مفارقة مايكرهه الله الى غيره للحديث المذكور وكانت اول الاسلام اما من مكة الى الحبشة اومنها ومن غيرها الى المدينة والمراد بها هنا مفارقة الوطن الى غيره سواء مكة وغيرها ،ولا يضر فى التعميم كون الحديث له سبب خاص كما سيأتى بيانه لان صورة السبب لاتخصص لكنها داخلة قطعا ( الى الله ورسوله ) أى قصداً ونية فهو كناية عن الاخلاص والظرف هنا وفيما يأتى متعلق بهجرة ان جعلت كان تامة أو بمحذوف هو خبرها إن قدرت ناقصة (فهجرته الى الله ورسوله ) ثوابا وخيرا فالجزاء كناية عن شرف الهجرة وكونها بمكانة عنده تعالي أوعن كونها مقبولة مرضية ،فلا اتحاد بين الشرط والجزاء لانهما وان اتحدا لفظا اختلفا معنى وهو كاف فى اشتراط تغاير الجزاء والشرط والمبتدأ والخبر ،وذكرت وجوها أخر لهذا التكرار فى شرح الاذكار، والمراد بكان هنا وفيما يأتى أصل الكون لابالنظر لزمن مخصوص او وضعها الاصلي من المضي او هنا من الاستقبال لوقوعها فى حيز الشرط وهو يخلص الماضى للاستقبال ويقاس به الآخر للاجماع على استواء الازمنة فى الحكم التكليفي إلا لمانع (ومن كانت هجرته لدنيا) اللام للتعليل او بمعنى إلى لقوله فهجرته الى ماهاجر اليه ،واستظهر الاول،وحكمة التغاير فى التعبير هنا باللام وثمة بإلى افادة أن من كانت هجرته لاجل تحصيل ذلك كان هو نهاية هجرته لا يحصل له غيره والدنيا بضم اولها وحكى كسره جمعها دنى من الدنو أى القرب لسبقها علي الآخرة او لدنوها الى الزوال. قال المصنف الاظهر أنها كل المخلوقات من الجواهر والاعراض الموجودة قبل الدار الآخرة وقد تطلق علي كل جزء منها

يصيبُها، أو امرأةٍ ينكحُها، فهجرتُه الى ماهاجر إليه»

---

مجازا ثم المراد منها عرضها ومتاعها ،فالتعبير بها مجاز مرسل من تسمية الشيء باسم محله كقوله تعالى «فليدع ناديه» (يصيبها) حال مقدرة أى قاصداً أصابتها،وفى ذكر المصيبة عندذكر الدنيا لطيفة ونصيحة ( او ) كانت هجرته لاجل (امرأة ينكحها) اى يتزوجها كما فى رواية، من باب عطف الخاص علي العام اشعارا بأن النساء أعظم ضررا قال صلى الله عليه وسلم « ماتركت بعدى فتنة اضر علي الرجال من النساء » وتنبيها على سبب الحديث وإن كان لايخصص كما تقدم،وسببه كما فى التوشيح للحافظ السيوطي مارواه سعيد بن منصور فى سننه بسند على شرطهما عن ابن مسعود قال من هاجر يبتغي شيئا فانما له مثل أجر رجل هاجر ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فقيل له مهاجر أم قيس :وفى فتح الاله: السبب مارواه الطبرانى بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود قال « كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت ان تتزوجه حتي يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر ام قيس» قيل واسمها فتيلة( ١ )بوزن قبيلة ولم يعين اسمه ستراعليه وان كان مافعله مباحا لما يأتى،وعلى هذا فذكر الدنيا إما زيادة على السبب تحذيرا من قصدها،اولان أم قيس انضم لجمالها المال فقصدهما مهاجرها،اولان السبب قصده نكاحها وقصد غيره دنيا(فهجرته الى ماهاجر اليه) الظرف متعلق بمحذوف خبر المبتدا اويصح تعلقه بنفس المبتدا فيكون خبره محذوفا،أى فهجرته قبيحة إذ ليست من الله فى شيء وذلك حظه ولا نصيب له فى الآخرة وايراد الموصول لافادة التحقير وذم فاعل ماذكر كما يشعر به السياق مع كون مطلوبه مباحا لانه أظهر قصد الهجرة الى الله وأبطن خلافه وهذا ذميم،والحكمة فى اتحاد الشرط والجزاء لفظا فى الاولى التبرك بذكر الله ورسوله والتعظيم لهما بتكراره وبكونه ابلغ فى الهجرة اليهما اذ

---

١ ) الذى فى الشبرخيتى : قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية . ش

من سعى لخدمة ملك تعظيما له اجزل عطاء ممن سعي لينال كسرة من مأدبة وتركه فى الثانية اظهار عدم الاحتفال بامرها والتنبيه على ان العدول عن ذكرها ابلغ فى الزجر عن قصدها فكأنه قال الى ما هاجر اليه وهو حقير مهين لايجدى، وأيضا فأعراض الدنيا لاتنحصر فأتى بما يشملها وهو ماهاجر اليه بخلاف الهجرة الى الله ورسوله فانه لاتعدد فيها فأعيدا بلفظهما تنبيها على ذلك ، وقال ارباب الاشارات من العارفين : «انما الاعمال بالنيات» يتعلق بما وقع فى القلوب من انوار الغيوب والنية جمع الهم فى تنفيذ العمل للمعمول له ، وألا يسنح فى السر ذكر غيره ، وللناس فيما يمشقون مذاهب : فنية العوام فى طلب الأعراض مع نسيان الفضل ، ونية الجهال التحصن عن سوء القضاء ونزول البلاء ، ونية اهل النفاق التزين عند الله وعند الناس ، ونية العلماء اقامة الطاعات لحرمة ناصبها لا لحرمتها ، ونية أهل التصوف ترك الاعتماد على ما يظهر منهم من الطاعات ، ونية اهل الحقيقة ربوبية تولد عبودية (١) «وانما لكل امرىء مانوى» من مطالب السعداء وهى الخلاص عن الدركات السفلى والفوز بالدجات العليا ، وهى المعرفة والتوحيد والعلم والطاعة والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته، أومن مقاصد الاشقياء ، وهى مايبعد عن الحق «فمن كانت هجرته» أى خروجه من مقامه الذى هو فيه سواء كان استمداده الذى جبل عليه أومنزلا من منازل النفس «الي الله» لتحصيل مراضيه «ورسوله» باتباع أمره واخلاقه «فهجرته الى الله ورسوله» فتخرجهم العناية الالهية من ظلمات الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء «ومن كانت هجرته الى دنيا» أى لتحصيل شهوة الحرص على المال والجاه والخيلاء وغيرها ، فيبقى مهجورا عن الحق فى اوطان الغربة ، له نار الفرقة ، نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ، لا نار الجحيم التى لا تحرق الا الجلد ولا تخلص الى القلب ، انتهى كلامهم ، نقله الكازرونى فى شرح

---

١) عبارة العلقمى نقلا عن الطيبي : ونية اهل الحقيقة فى ربوبية تولدت عن عبودية . ش

متفقٌ على صحته . رواه اماما المحدثين ابو عبد الله محمدُ بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبة الجُعْفي البخاريّ

---

الاربعين للمصنف (متفق عليه) ثم فسره بقوله رواه الى آخره ،و كذا رواه أبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان فى صحيحه وابن خزيمة وابن الجارود والطحاوى فى شرح معانى الآثار والبيهقى فى السنن ،ووهم ابن دحية فى زعمه أن مالكا أخرجه فى الموطأ كذا فى شرح عمدة الاحكام للقلقشندى ومن خطه نقلت (رواه اماما المحدثين) باثبات الف التثنية خطا وحذفها لفظا لالتقاء الساكنين أي المقتدى بهما ورعا وزهدا واجتهادا فى تخريج الصحيح وايداعه دون غيره كتابيهما، حتى اتم بهما فى ذلك الائمة الذين حذوا حذوهما (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة) بضم الميم وكسرها (بن بردزبة ) بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فمهملة مكسورة بعدها زاى ساكنة فموحدة فهاء تأنيث، وهو بالعربية الزراع .قال فى فتح البارى : كان بردزبة المذكور مجوسيا ، وكان فى بخارى وال يقال له اليمان الجعفى ، فأسلم المغيرة بن بردزبة علي يديه ، فمن ثم قيل للبخارى الجعفى ،واما ابراهيم بن المغيرة فلم نقف على شيء من أحواله ،والظاهر أنه لم ينظر فى العلم ،واما اسماعيل فذكر له ابنه ترجمة فى تاريخه وقال انه سمع من مالك وحماد بن زيد وابن المبارك ، وذكره كذلك ابن حبان فى الطبقة الرابعة من ثقاته،وزاد : روي عنه العراقيون اه (الجعفى ) اى مولاهم لما ذكر من ان جده المغيرة اسلم على يد اليمان بن اخنس الجعفى فنسب اليه ولاء فأشار المصنف الى انه يقدم النسب الى القبيلة ولو ولاء علي النسب الى البلاد عند الجمع ،وعبارة التهذيب للمصنف اذا جمع بين النسب الى القبيلة والبلد قدم النسب الى القبيلة . انتهت (البخاري) ولد ثالث عشر شوال سنة ١٩٤ أربع وتسعين ومائة ، وكتب عن ابن حنبل ويحيي بن معين

وأَبو الحسين مُسلمُ بنُ الحجّاج بنِ مُسلِمٍ القُشيرىّ النّيسابُورىّ، رضى الله عنهما فى كتابيهما اللذينِ هما أصحّ الكتب

---

وخلائق يزيدون على الف ، وروى عنه مسلم خارج صحيحه وأبو زرعة والترمذى وابن خزيمة والنسائى ، ومناقبه جمة ذكرت جملة منها فى شرح الاذكار ، توفى ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ ست وخمسين ومائتين ، ودفن بخرتنك (١) قرية على فرسخين من سمرقند ، ومن مناقبه ماحكى أنه عمى صبيا فرأى فى نومه ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، فتفل فى عينيه اودعا له فأبصر ، فمن ثم لم يقرأ كتابه فى كرب الافرج . ثم الحديث المذكور فى سبعة مواضع من صحيح البخارى (وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى) نسبة الى قشير بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة قبيلة كبيرة ، وقشير ايضا بطن من أسلم ، منهم سلمة بن الاكوع رضى الله عنه (النيسابوري) نسبة الى نيسابور أحسن مدن خراسان وأجمعها للخيرات . قال الاصفهانى فى لب الالباب . قيل لها ذلك لان سابور لما رآها قال يصلح أن يكون ها هنا مدينة ، وكانت قصبا فأمر بقطع القصب وان تبنى مدينة ، فقيل نيسابور ، والنى القصب اهـ . ولد الامام مسلم سنة ٢٠٤ اربع ومايتين ، ومات فى رجب سنة ٢٦١ احدى وستين ومائتين وأخذ عن احمد وحرملة وخلائق ، روى عنه جماعة منهم من هو فى درجته كأبى حاتم الرازى والترمذى فروى عنه حديثا واحدا وابن خزيمة وخلائق (فى كتابيهما) المشهورين بالصحيحين المعروفين بذلك كنار على علم (اللذين) بلامين وفتح الذال المعجمة مثنى الذى وكتب بلامين فرقا بينه وبين الذين الجمع (هما أصح الكتب) بلا شك ولا مرية كما اطبق عليه من بعدهما لاسيما

---

١) بكسر فسكون ففتح فسكون

المحدثون ، حيث جعلوا الصحيح سبعة أقسام ، اعلاها ما خرجاه، فما انفرد به البخارى فما انفرد به مسلم، فما كان على شرطهما، فما كان على شرط البخارى، فما كان على شرط مسلم ، فما صحيحه معتبر وسلم من المعارض، وقول الشافعى لا أعلم كتابا بعد كتاب الله اصح من موطأ مالك انما كان قبل ظهورهما، فلما ظهرا كانا بذلك أحق ، والجمهور على ان ما أسنده البخارى فى صحيحه دون التراجم والتعاليق واقوال الصحابة والتابعين أصح مما فى مسلم ، لانه كان اعلم منه بالفن اتفاقا مع كون مسلم تلميذه وخريجه ؛ ومن ثم قال الدارقطنى : لولا البخارى ماراح مسلم ولاجاء ، هذا وان لم يلزم منه ارجحية المصنف (١) الا انها الاصل ، قال الحافظ ابن حجر فى نكته على كتاب ابن الصلاح بعد ذكر نحو ما ذكرنا . هذا من حيث الجملة، اما من حيث التفصيل فيترجح كتاب البخارى على كتاب مسلم بأن الاسناد الصحيح مداره على اتصاله وعدالة الرواة ، وكتاب البخارى اعدل رواة واشد اتصالا، وبيانه ان الذين انفرد لهم بالاخراج دون مسلم اربعمائة وخمسة وثلاثون رجلا المتكلم فيه بالضعف منهم نحو الثمانين ، والذين انفرد مسلم بهم ستمائة وعشرون رجلا المتكلم فيهم بالضعف منهم مائة وستون رجلا ، ولا شك ان من سلم من التكلم فيه رأسا أقوى ممن تكلم فيه وان لم يعول على ماتكلم به فيه ، على ان المتكلم فيهم فى البخارى لم يكثر من تخريج احاديثهم بخلاف مسلم ، وايضا فأكثرهم شيوخه الذين هو اعرف بهم من غيره لكونه لقيهم وخبرهم وخبر حديثهم ، واما المتكلم فيهم فى مسلم فأكثرهم من المتقدمين الذين لم يخبرهم ، وايضا فالبخاري غالبا انما يخرج للمتكلم فيه فى المتابعات والشواهد بخلاف مسلم ، وأما مايتعلق بالاتصال فمسلم كان مذهبه بل نقل فيه الاجماع فى أول صحيحه ، ان الاسناد المعنعن له حكم الاتصال اذا تعاصر

---

(١) بفتح النون المشددة . ع

المصنفة

وعن أُم المؤمنين أُم عبدِ الله عائشةَ رضي الله عنها

---

المعنعن والمعنعن عنه وان لم يثبت اجتماعهما ، والبخارى لايحمله على الاتصال حتي يثبت اجتماعهما ولو مرة واحدة ، ومن ثم قال النووي : وهذا المذهب مما يرجح به كتاب البخارى قال : وان كنا لانحكم على مسلم بعمله بهذا المذهب فى صحيحه لكونه يجمع طرقا كثيرة يبعد معها وجود هذا الحكم الذى جوزه ا ه . وجمعه لتلك الطرق هو الغالب ، وفيما لم يجمع فيه طرقا جلالته قاضية بأنه انما جرى على الاحوط من ثبوت الاتصال انتهى ( ١ ) ملخصا مع يسير زيادة . وقوله ( المصنفة ) اقتفى به أثر الامام الشافعى رضى الله عنه فى قوله : بعد كتاب الله ، ليحترز بذلك عنه ايضا

(وعن أم المؤمنين ) أي فى الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح ، دون نحو النظر والخلوة ، وكذا سائر أمهات المؤمنين ، وهو صلى الله عليه وسلم أب للمؤمنين فى الرأفة والرحمة ، والمراد من نفي أبوته فى الآية ابوة النسب والتبنى (أم عبد الله) كناها صلى الله عليه وسلم بابن اختها أسماء « عبد الله بن الزبير » وقيل بسقطها منه ، واسمها (عائشة) الصديقة بنت ابى بكر الصديق عبد الله ، بن أبي قحافة عثمان (رضى الله عنها ) وعن ابيها وجدها ، تزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين ، بعد تزوجه بسودة بشهر وقبل الهجرة بثلاث سنين ، ودخل بها فى شوال منصرفه ( ٢ ) من بدر سنة ثنتين من الهجرة وهى بنت تسع سنين ، وتوفى صلى الله عليه وسلم وهى بنت ثماني عشرة سنة ، وعاشت بعده صلى الله عليه وسلم أربعين سنة وتوفيت سنة سبع أو ثمان وخمسين لثلاث عشرة بقيت من رمضان بعد الوتر ، وصلى

---

١) اى كلام الحافظ بن حجر ٢) بضم الميم وفتح الراء اى زمان انصرافه

قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يغزو جيشٌ الكعبةَ فاذا كانوا ببَيْداء مِن الارض يخْسَفُ بأوّلهم وآخرهم»

---

عليها أبو هريرة لامارته على المدينة حينئذ من قبل مروان، روي لها ألف حديث ومائتان وعشرة، وقيل الف وعشرة، اتفقا على مائة واربعة وسبعين، وانفرد البخاري بأربعة وستين ومسلم بثمانية وستين (قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو جيش الكعبة) فى رواية مسلم: عبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه، فقلنا له: صنعت شيئا لم تكن تفعله، قال: العجب أن أناسا من أمتي يؤمون هذا البيت لرجل من قريش. وزاد فى رواية أخري: أن أم سلمة قالت ذلك ايام ابن الزبير، وفى أخرى: أن عبد الله بن صفوان أحد رواة الحديث عن أم سلمة قال: والله ما هو هذا الجيش. قال القرطبي: وقد ظهر ما قال فان الجيش المرسل الى ابن الزبير لم يخسف به اه قال العاقولي والاولى إجراء الحديث على اطلاقه وعدم تقييده بأحد، والكعبة مأخوذة من كعبته ربعته، والكعبة كل بيت مربع. كذا فى القاموس، وفى كلامهم ان ابراهيم بنى الكعبة مربعة، ولا ينافيه اختلاف بعد ما بين أركانها لانه قليل لا ينافى التربيع، وهذا أعنى كون سبب تسميتها كعبة تربيعها أوضح من جعل سببها ارتفاعها كما سمى كعب الرجل بذلك لارتفاعه وأصوب من جعله استدارتها إلا أن يريد قائله بالاستدارة التربيع مجازا أو يكون أخذ الاستدارة فى الكعب سببا لتسميته، لكنه مخالف لكلام أئمة اللغة (فأذا كانوا ببيداء) فى رواية مسلم بالبيداء قال القرطبي: والبيداء أرض ملساء لاشيء فيها. وفى الصحاح: البيداء المفازة والجمع بيد وهل هي بيداء المدينة أولا؟ فيه خلاف (من الارض) فى محل الصفة لبيداء (يخسف بأولهم وآخرهم) زاد الترمذى فى حديث ضعيف ولم ينج أوسطهم، وزاد مسلم فى حديث حفصة: يخسف بأوسطهم ثم ينادى اولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذى يخبر عنهم، واستغنى بهذا

قالت: قلت «يارسول الله كيف يُخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقُهم ومن ليس منهم؟» قال: «يخسفُ بأولهم وآخرهم ثم يُبعثون على نيّاتهم» متفق عليه هذا لفظ البخاري

---

عن تكلف الجواب عن حكم الاوسط بأن العرف يقضي بدخوله فيمن هلك ولكونه آخراً بالنسبة للاول وأولا بالنسبة للاخير فيدخل (قالت) عائشة متعجبة من وقوع العذاب على من لا إرادة له في القتال الذي هو سبب العقوبا (قلت يارسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم) أي بجملتهم (وفيهم أسواقهم) كذا للبخارى بالمهملة والقاف جمع والمعنى أهل أسواقهم اوالسوقة منهم (و) فيهم (من ليس منهم) أى من خرج بقصد القتال وإنما وافقهم فى صحبة الطريق (قال) صلى الله عليه وسلم مجيبا عما سألت عنه بأن العذاب يقع عاما لحضور آجالهم، ثم يبعثون على نياتهم. وقد روى الشيخان عن ابن عمر مرفوعا رضى الله عنهما «إذا انزل الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم» (يخسف بأولهم وآخرهم) أى بجملة القوم تابعهم ومتبوعهم لشؤم الاشرار (ثم يبعثون) ويعاملون عند الحساب (على نياتهم) فيعامل كل بقصده من الخير أو الشر. وفى الحديث أن من كثر سواد قوم فى المعصية مختاراً أن العقوبة تلزمه معهم، وفيه ان الاعمال تعتبر بنية العامل، وفيه التحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم الا لمن اضطر إلى ذلك (متفق عليه) ورواه أيضا غيرهما (وهذا) المذكور (لفظ البخارى) ولمسلم الفاظ وهى بنحو ماذكر، فمن الفاظه. فقلنا: إن الطريق تجمع الناس. قال: «نعم فيهم المستنصر لذلك» أي للمقاتلة «والمجبور» بالجيم والموحدة أى المكره «وابن السبيل» أى سالك الطريق معهم وليس منهم. فقال «يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم».

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم « لاهجرةَ بعد الفتح

---

( وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم: لاهجرة ) أى من مكة ( بعد الفتح[١] ) أى فتحها وجاء فى حديث للبخارى مرفوعا «لاهجرة بعد فتح مكة» وكان فى رمضان سنة ٨ من الهجرة، وذلك ان الهجرة أى مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام كانت واجبة على من بمكة فيجب على من اسلم بها ان يهاجر منها الى المدينة لكونها كانت دار كفر فلما فتحت صارت دار إسلام، أما الهجرة من المواضع التى لا يتأتى إقامة أمر الدين فيها فهى واجبة اتفاقا وعلى ذلك يحمل حديث « لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار » قال الخطابى: كانت الهجرة على معنيين أحدهما انهم اذا أسلموا واقاموا بين قومهم أوذوا فأمروا بالهجرة ليسلم لهم دينهم ويزول عنهم الاذى والآخر الهجرة من مكة الى المدينة لان أهل الدين بالمدينة كانوا قليلين ضعيفين، فكان الواجب على من اسلم أن يهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حدث حادث استعان بهم فى ذلك، فلما فتحت مكة استغنى عن ذلك اذ كان معظم الخوف من أهلها، فأمر المسلمون أن يقيموا فى أوطانهم ويكونوا على نية الجهاد مستعدين لان ينفروا اذا استنفروا، قال المصنف: يتضمن الحديث على هذا القول معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ان مكة تبقى دار إسلام لا يتصور منها الهجرة،

---

١) قال العلماء: الهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام باقية الى يوم القيامة وأولوا هذا الحديث تأويلين: احدهما، لاهجرة بعد فتح مكة لانها صارت دار إسلام فلا يتصور منها الهجرة، والثانى وهو الاصح، ان الهجرة التى بها يمتاز أهلها امتيازا ظاهرا انقطعت بفتح مكة ومضت لاهلها الذين هاجروا قبل فتحها، لان الاسلام قوى وعز بها عزا ظاهرا . م

ولكن جهادٌ ونيةٌ ، وإذا استُنفِرتم فانفروا » متفق عليه . ومعناه : لا هجرة من مكة لأنها صارت دارَ إسلام

وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الانصاريّ

---

قال وقيل معنى الحديث لاهجرة بعد الفتح فضلها كفضل الهجرة قبل الفتح، قال تعالى «لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل » الآية اه (ولكن جهاد ونية) قال الطيبي: كلمة لكن تقتضي مخالفة ما بعدها لما قبلها، أي المفارقة عن الاوطان المسماة بالهجرة المطلقة انقطعت لكن المفارقة بسبب الجهاد باقية مدى الدهر وكذا المفارقة بسبب نية خالصة لله تعالى كطلب العلم والفرار بدينه ونحوه، وقال المصنف: تحصيل الخير بسبب الهجرة قد انقطع بالفتح ، ولكن حصلوه بالجهاد والنية (وإذا استنفرتم) اى طلبكم الامام للخروج الى الجهاد ، ويحتمل العموم اى اذا استنفرتم الى الجهاد ونحوه (فانفروا) بكسر الفاء على الافصح ويجوز ضمها وبالاول جاء القرآن : اى اخرجوا (متفق عليه) ورواه ابو داود وزاد بعضه الامام احمد وابن حبان وابو عوانة والدارمي وابن الجارود وقال الترمذي انه حسن صحيح. نقله العز بن فهد في الاربعين التي خرجها في الجهاد (ومعناه لاهجرة من مكة) أي بعد الفتح واجبة : لانها انما وجبت منها اولا لكونها كانت دارا للكفر وقد زال بفتحها فلا يجب منها (لانها صارت دار اسلام) اومعناه كما يؤخذ من كلام الخطابي : لاهجرة الى المدينة واجبة على من آمن وأمن على دينه بعد الفتح . لانها انما وجبت اولا لكون المسلمين بالمدينة يومئذ كانوا قليلين ، فكان الواجب على من أسلم الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعانة له ، واستغني عن ذلك بعد فتح مكة لان معظم الخوف كان من اهلها

(وعن ابي عبدالله جابر بن عبد الله الانصاري) الخزرجي السلمي بفتح اللام لنسبته الى سلمة بن سعد روى عنه انه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع

رضى الله عنهما قال: كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال «إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم، حبسهم المرضُ»

عشرة غزوة ولم اشهد بدراً ولا أحداً، منعنى ابى، فلما قتل ابى لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة قط . وعنه قال: اناوأبى وخالى من أصحاب العقبة وكان ابوه يومئذ احد النقباء .وكان جابر من اصغرالصحابة سناً، وكان من ساداتهم وفضلائهم المتحفين بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف وخمسمائة واربعون حديثا اتفقا منها على ستين وانفرد البخارى بستة عشر ومسلم بمائة وستة وعشرين، توفى بالمدينة بعد ان كف بصره سنة ثلاث وسبعين وهو ابن اربع وتسعين سنة، وصلى عليه ابان ابن عثمان وكان والى المدينة وجابر آخر الصحابة موتا بالمدينة ( رضى الله عنهما ) اشار الى انه ينبغى لكل من ذكر صحابيا ابوه صحابى، اى وقد ذكره، ان يقول رضى الله عنهما ( قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة ) هي غزوة تبوك كما صرحت به رواية البخارى الآتية، وفى النهاية غزا يغزو غزوا فهو غاز، والغزوة المرة من الغزو والاسم الغزاة اى بفتح الغين وجمع الغازى غزاة بضمها وغزى وغزيّ وغزاء كقضاة وفسق وحجيج وفساق اه (فقال : إن بالمدينة لرجالا ماسرتم مسيرا) أى سيراً أو فى مكان سير، فهو مصدر ميمي أو اسم مكان (ولاقطعتم واديا ) فيه اشارة الى قوله تعالى «ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولامخمصة فى سبيل الله» الى قوله «ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ماكانوا يعملون» (إلا كانوا معكم ) أى شركوكم فى الأجر كما فى الرواية الثانية «وكان لهم مثل أجركم مضاعفا» لصحة نيتهم فى مباشرة كل ماباشره إخوانهم المجاهدون (حبسهم ) أى منعهم (المرض)

وفى رواية « إلاشِركوكم فى الاجر» رواه مسلم . ورواه البخارى عن أنس رضى الله عنه قال « رجعنا من غزوة تَبوك مع

---

فلصحة النية أعطاهم الله مثل اجر المباشر . كذا فى المفهم (وفى رواية إلاشركوكم) بكسر الراء (فى الأجر) بدل قوله إلا كانوا معكم .قال المانولى فى شرح المصابيح: هذا دليل على انهم شركا فى الاجر وعلى التساوى أيضا لأنه اذا قال الرجل لصاحبه هذا لى ولك حمل على المساواة ، ولذلك تجعل الدار بينهما نصفين إلا انه يستدل بقوله تعالى «لا يستوى القاعدون » الآية على ترجح جانب الغازى على جانب القاعد ، فيحمل ذلك على القاعد من غير عذر ، والتساوى المفهوم من الحديث على القاعد بعذر فلا معارضة بين الآية والحديث. وسيأتى زيادة تحقيق فى هذا المقام (رواه مسلم، ورواه البخارى عن انس) عدل المصنف عن قوله متفق عليه مع أنهما روياه لكن باختلاف يسير فى لفظه ، وذلك الاختلاف لا يضر فى اطلاق الاتفاق، لاختلاف صحابى الحديث عندها وقد اختلف فى مثل ذلك هل هو مما اتفقا عليه، وبه قال الجوزى ، وقال جمهور المحدثين لا يطلق اتفاقهما الا على ما اتفقا على إخراج إسناده ومتنه معا . نقله الحافظ ابن حجر فى نكته على كتاب ابن الصلاح (قال رجعنا من غزوة تبوك ) بفتح الفوقية وهى فى طرف الشام من جهة القبلة ، بينها وبين المدينة النبوية نحو اربع عشرة مرحلة ، وكانت غزوته صلى الله عليه وسلم تبوك فى سنة تسع من الهجرة وهى آخر غزواته ، قال الأزهرى :أقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضعة عشر يوما . والمشهور ترك صرف تبوك للتأنيث والعلمية وفى رواية فى صحيح البخارى فى حديث كعب بن مالك ، أي الآتى فى باب التوبة « لم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوكا » بالصرف فى جميع النسخ باعتبار إرادة الموضع ( مع

النبي صلى الله عليـه وسلم فقال «ان أقواما خَلَفنا بالمدينة ما سلكنا شِعْبـا ولا واديا إلا وهم معنا حبسهم العُذر »

وعن ابى يزيد مَعْن بن يزيد بن الاخنس رضى الله منهم ـ هو وأبوه وجده صحابيون ـ

---

النبي صلى الله عليه وسلم) أى صحبته (فقال : ان اقواما) أى رجالا : بدليل الرواية السابقة ،ولان القوم مختص بالرجال ، قال تعالى «لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم،ولا نساء من نساء »الآية،وقال الشاعر:أقوم آل حصن أم نساء . (خلفنا) بسكون اللام أي وراءنا ، وفى نسخة بتشديدها من التخليف أى خلفناخلفنا (بالمدينة ) علم بالغلبة على دار هجرته صلى الله وسلم (ماسلكنا شعبا ) بكسر الشين المعجمة .أى الطريق فى الجبل كماقاله ابن السكيت،وقيل الفرجة النافذة بين الجبلين (ولا واديا ) هو الموضع الذي يسيل فيه الماء كذا فى مفردات الراغب ( إلا وهم معنا ) بفتح العين والجملة حالية (حبسهم العذر ) ستئناف بيانى جوابا عن السؤال المقدر من حصول مثل ثواب المجاهد لهم مع قعودهم ،وقد جاء السؤال مصرحا به فى رواية أبي داود عن أنس ولفظها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لقدتركتم بالمدينة أقواماً ماسرتم مسيرا ولا أنفقتم من نفقة ولاقطعتم من واد إلا وهم معكم » قلوا « يارسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ » قال صلى الله عليـه وسلم «حبسهم العذر » والعذر بضم المهملة وصف يعرض للمكلف يناسب التسهيل عليه

(وعن أبى يزيد معن ) بفتح الميم وسكون المهملة آخره نون (بن يزيد بن الاخنس) بمعجمة فنون فمهملة ( رضى الله عنهم ) أتى بضمير الجمع وعال الاتيان به كذلك بقوله (هو وأبوه وجده صحابيون )اى وما كان كذلك فينبغي أن يؤتى عند ذكرهم بالترضى عليهم بصيغة الجمع. والصحابي على الصحيح من اجتمع بالنبى صلى الله

قال : كان أبي يزيدُ أخرج دنانير يتصدقُ بها فوضعها عند رجل فى المسجد، فجئتُ فأخذتها فأتيتُه بها فقال والله ما اياك أردت فخاصمته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لك مانويت يايزيد ولك ماأخذت يامعن » رواه البخارى

وعن أبى اسحاق سعد بن أبى وقاصٍ مالكِ بن أهَيب بن عبد مناف

---

عليه وسلم حال حياته مؤمنا به ولو لحظة ومات على الايمان .قيل وقد شهدت الثلاثة بدرا،قال الكرمانى ولم يتفق ذلك لغيرهم ، وقيل لم يشهدها معن. نزل معن الكوفة ثم مصر ثم الشام وقتل بمرج راهط سنة أربع وستين فى دولة مروان . ذكره ابن الجوزى فى التلقيح فيمن له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة احاديث،وقال قال البرقى له حديثان اه انفرد البخارى بالرواية عنه عن مسلم للحديث الآتى وروى عنه أبو داود( قال ) أى معن من جملة حديث( كان ابى ) الاولى « وكان ابى » بالواو تنبيها على انه بعض حديث(يزيد)بالرفع عطف بيان لابى او بدل منه(اخرج دنانير يتصدق بها ) ظاهره صدقة تطوع (فوضعها عند رجل فى المسجد)اى واذن له ان يتصدق بها على المحتاج اليها ( فجئت ) الرجل(فأخذتها)اي باختيار منه (فأتيته أي ابى (بها )اى مصاحبا لها (فقال والله مااياك اردت )بهذه الدنانير المتصدق بها ( فخاصمته )منتهيا (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ) صلى الله عليه وسلم ( لك مانويت ) اى ثوابه (يايزيد )لانك نويت التصدق بها على محتاج،وابنك محتاج وان لم تنوه ( ولك ماأخذت يامعن)لكونك قبضتها قبضاصحيحا(رواه البخارى)

وعن ابى اسحاق سعد ابن ابى وقاص ) بتشديد القاف اخره مهملة (مالك) بالجر على العطف على ابى او بدلا منه ويجوز قطعه عنه مرفوعا بتقدير هوومنصوبا بتقدير اعني ( بن اهيب ) بضم الهمزة وفتح الهاء وسكون التحتية( بن عبدمناف

ابن زُهرةَ بن كلابِ بن مُرة بن كعب بن لؤيّ القرشيّ الزّهريّ رضى الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضى الله عنهم

---

بفتح الميم (بن زهرة) بضم الزاي (بن كلاب) بكسر الكاف. يحتمل ان يكون منقولا عن جمع كاب، وان يكون منقولا عن مصدر كالب. وفى المواهب اللدنية سئل اعرابى لم تسمون ابناءكم بشر الاسماء نحو كلب ذئب وعبيدكم بأحسنها نحو مرزوق رباح فقال: انا نسمى ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا. يريد أن الابناء عدة للاعداء وسهام فى نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء وكلاب هذا تجتمع فيه نسب ابى النبى صلى الله عليه وسلم وأمه واسم كلاب حكيم وقيل عروة (بن مرة) بضم الميم وتشديد الراء (بن كعب) وهو أول من جمع يوم العروبة كانت يجتمع اليه قريش فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والايمان به (بن لؤي) بضم اللام وفتح الهمزة وتقدم ما يتعلق به أول الباب (بن غالب القرشى الزهرى رضى الله عنه) أسلم سعد قديما، وسبب اسلامه مذكور فى شرح الاذكار، وكان من المهاجرين الاولين شهد بدرا وما بعدها، وكان يقال له فارس الاسلام (وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنة) رضى الله عنهم وقد جمع اسماءهم غير واحد كالحافظ زين الدين العراقى فقال:

وأفضل اصحاب النبى مكانة ومنزلة من بشروا بجنان

سعيد زبير سعد عثمان عامر علىّ ابن عوف طلحة العمران

وأحد الستة اصحاب الشورى كان يحرس النبى صلى الله عليه وسلم فى مغازيه، وجمع له النبى صلى الله عليه وسلم ابويه فقال «فداك ابى وامى أيها الغلام الحزور. اللهم سدد رميته وأجب دعوته». ثم قال لهم هذا خالى فليأت كل رجل بخاله

قال « جاءني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَعُودني عامَ حَجةِ الوِداع من وجع اشتدَّ بي فقلتُ: يارسولَ الله إني قد بلغ بي من الوجع ماترَى

---

وفى هذا المقام فى شرح الاذكار بسط فراجعه ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالشفاء من جرح كان به فشفي. وهو أول من اراق دما فى الاسلام وأول من رمى بسهم فى سبيل الله واخباره فى الشجاعة والشدة فى دين الله واتباع السنة والزهد والورع واجابة الدعوة والصدق والتواضع شهيرة . روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم مائتان وسبعون حديثا وفى التلقيح لابن الجوزى مائتان واحدى وسبعون حديثا وقال ابو نعيم اسند مائة حديث ونيفا سوي الطرق وقال البرقى الذي حفظ عنه نحو من سبعين حديثا اه اتفقا على خمسة عشر حديثا وانفرد البخارى بخمسة عشر ومسلم بثمانية عشر. توفى فى قصره بالعقيق على سبعة أميال من المدينة وحمل علي اعناق الرجال الي المدينة وصلى عليه والى المدينة مروان بن الحكم وازواج النبي صلى الله عليه وسلم ، قيل وكان آخر المهاجرين موتا بالمدينة ، ولما حضرته الوفاة دعا بخلق جبة له فقال كفنونى فيها فانى كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وكنت أخبؤها لهذا اليوم . وكانت وفاته سنة . ثمان او خمس وخمسين وله بضع وستون او سبعون اوثمانون او تسعون سنة ( قال جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى ) فيه عيادة الكبير أتباعه ففيه التواضع ولين الجانب ( عام حجة الوداع ) سميت بذلك لانه صلى الله عليه وسلم ودعهم فيها وهو بكسر الواو ويجوز فتحها ، وتسمى بحجة البلاغ لانه صلى الله عليه وسلم قال لهم فيها هل بلغت وبحجة الاسلام لانها الحجة التي حج فيها المسلمون وليس فيها مشرك ( من وجع اشتد بى ) وفى رواية لهما اشفيت منه على الموت اى قاربته واشرفت عليه ( فقلت يارسول الله ) انى ( قد بلغ بى من الوجع ماترى ) فيه جواز ذكر المريض مايجده لغرض صحيح من نحو

وأنا ذو مالٍ ، ولا يرثُني إلا ابنة لى . أفأتصدقُ بثلثي مالى ؟ قال لا .
قلت : فالشطرُ يا رسولَ الله ؟فقال : لا قلت: فالثلثُ يا رسول الله ؟ قال:
الثلثُ ، والثلث كثير ـ أو كبير ـ

---

مداواة او دعاء صالح أو وصية او استفتاء عن حالة وكراهة ذلك محمولة على ما كان على وجه التسخط ونحوه لكونه قادحا فى أجر مرضه ( وانا ذو مال ) فيه دليل على اباحة جمع المال لان هذه الصيغة لاتستعمل فى العرف الا لمال كثير ( ولا يرثنى ) من الولد او خواص الورثة والافقد كان له عصبة ، وقيل معناه لايرثني من اصحاب الفروض (إلا ابنة لى ) اسمها عائشة ولم يكن له إذ ذاك سواها، ثم جاء له بعد ذلك أولاد . وتعقب الحافظ ذلك فى الفتح ، ثم قال: والظاهر أن البنت المشار اليها هى أم الحكم الكبرى ، وأمها بنت شهاب بن عبد الله بن الحارث ، قال الحافظ : ولم أر من حرر ذلك ( أفأتصدق بثلثى مالى ) يحتمل أنه أراد بالصدقة الوصية ، ويحتمل انه أراد الصدقة المنجزة ، وحكمهما سواء عندنا وعند العلماء كافة لا ينفذ منهما مازاد على ثلث التركة إلا برضى الوارث (قال لا قلت فالشطر) أى فالنصف بالرفع على الابتداء أى أتصدق به أو على أنه فاعل لفعل مقدر أي أفيجوز الشطر ؟ وقال فى فتح البارى هو بالنصب على تقدير فعل أى أسمى أو أعين الشطر ثم قال ويجوز الرفع (قال لا قلت فالثلث) بالرفع او النصب ( قال ) صلى الله عليه وسلم ( الثلث ) بالرفع على تقدير انه فاعل فعل محذوف أى يكفيك الثلث أو خبر مبتدأ محذوف اى المشروع الثلث أو مبتدأ حذف خبره اى الثلث كافيك، وبالنصب على الاغراء أو بفعل مضمر أى أعط الثلث (والثلث كثير ) بمثلثة وعليه اقتصر الشيخ زكريا فى تحفة القاري على البخارى (أو كبير )أى بموحدة وقد حكاه مع ماقبله المصنف فى شرح مسلم روايتين قال وكلاهما صحيح ، قال فى فتح الباري المحفوظ فى اكثر

إنك أن تدر ورثتكَ أغنياءَ خيرٌ من أن تذرهم عالةً يتكففونَ الناسَ وإنك لن تُنفق نَفقة

روايات بالمثلثة ومعناه كثير بالنسبة الى ما دونه قال: وهذا محتمل ان يكون مسوقا لبيان جوز التصدق بالثلث وأن الاولى النقص منه وهو ما يتبادر الى الفهم، ومحتمل أن يكون لبيان أن التصدق بالثلث من الاكمل أى كثير أجره أوكثير غير قليل قال الشافعي وهذا أولى معانيه يعنى أن الكثرة امر نسبى اه. (انك) يجوز فتح الهمزة وهو أوضح لانه علة لما تضمنه قوله والثلث كثير من أنه لاينبغى ان يوصى بالثلث بل ينقص عنه شيئا قليلا ويجوز كسرها استئنافا وفيه الاشارة الى تلك العلة أيضا (أن تذر ورثتك أغنياء) بفتح همزة أن أى لان تذر فمحله جر أو نصب على الخلاف فى ذلك او هو مبتدأ فمحله رفع وخبره (خير) على الاول فهو خبر لان ويجوز كسر همزة إن وصحت به الرواية قال ابن الجوزي سمعناه من رواة الحديث بالكسر فأن فيه شرطية وجوابها جملة صدرها مع فاء الجواب محذوف أى فهو خير وبصحة الرواية اندفع ماقيل حذف ذلك ضرورة (من ان تذرهم) أى تتركهم عالة بتخفيف اللام فقراء (يتكففون الناس) أى يسألونهم ما فى اكفهم، وفى الحديث حث على صلة الارحام والاحسان الى الاقارب والشفقة على الورثة وأن صلة القريب الاقرب افضل من الابعد (وانك لن تنفق نفقة) معطوف على قوله انك ان تذر الى آخره وهما علة للنهي عن الوصية بأكثر من الثلث كأنه قال لاتفعل لانك ان مت تركت ورثتك أغنياء وهو خير لك وان عشت تصدقت وانفقت فالاجر حاصل لك فى الحالين، وعبر بتنفق مع أن اشتراط الاخلاص لايختص به بل يجرى فى كل تصرف مالى اوفعلى تفاؤلا، فأن الانفاق انما يقال فيما صرف فى الخير وغيره يقال فيه حسنى وصنيع. وقال ابن ابى جمرة: نبه بالنفقة على ماسواها من عمل البر

تبتغى بها وجهَ الله الا أجِرتَ عليها ، حتى ما تجعل فى فى امرأتِك .قال فقلت : يا رسول الله أُخلّف بعد أصحابى

---

(تبتغى بها وجه الله )اى ذاته وحده كما دل عليه السياق (إلا أجرت) بالبناللمجهول أى اجرك الله(عليها )وفى نسخة بها لانه من العمل الصالح(حتى ماتجعل فى فى امرأتك) حتى عاطفة ، وما اسم موصول فى محل نصب عطفا على نفقة ويجوز الرفع على أنه مبتدأ ، أى إلا أجرت بالنفقة التي تبتغى بها وجه الله حتى بالشيء الذى تجعله فى فم امرأتك. ففى الحديث ان الاعمال بالنيات و انما يثاب علي عمله بنيته وأن لانفاق على العيال يثاب عليه اذا قصد وجه الله تعالى به ،وفيه ان المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة ويثاب عليه : اذ وضع اللقمة فى فم امرأته انما يكون فى العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ بالمباح ،فهذه الحالة ابعد الاشياء عن الطاعة وأمور الآخرة ومع ذلك فقد أخبر الشارع بأن ذلك يؤجر عليه بالقصد الجميل ، فغير هذه الحالة اولى بحصول الاجر اذا قصد به وجه الله . ويؤخذ منه أن الانسان إذا فعل مباحا من أكل أوشرب وقصد به وجه الله كالاستعانة بذلك على الطاعة وبالنوم علي قيام الليل يثاب عليه ،ووجه عطف جمله « وإنك ان تنفق الخ »على «إنك » الاولى بيان سبب استكثار الثلث ببيان ما يتعلق به فى الدنيا والآخرة ، اى لا تستقل الثلث فأنك إذا أخرجته أثبت الثواب العظيم ،وأبقيت لورثتك ما يصونون به وجوههم عن ذل السؤال ومع ذلك تكون قد تداركت به مافرطت ، كما فى حديث «إن الله أعطى عبده ثلث ماله فى آخر عمره ليتدارك به مافرط منه » ( قال فقلت يارسول الله أخلف )بضم الهمزة وفتح اللام المشددة وفى نسخة من البخارى أأخلف بهمزة الاستفهام أى أأخلف فى مكة ( بعد أصحابى ) أى بعد انصرافهم معك .قال القاضى عياض : قاله إما أشفاقا من موته بمكة لكونه هاجر منها وتركها لله فخشى

قال : إنك لن تخلّفَ فتعملَ عمـلا تبتغي به وجهَ الله الا ازددتَ به درجة ورفعةً ، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويُضرَّ بك آخرون. اللهم أمض لاصحابي هجرتَهم ، ولا تردَّهم على اعقابهم

---

أن يقدح ذلك فى هجرته أو فى ثوابه أوخشى بقاءه بمكة بعد انصراف النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة وتخلفه عنهم بسبب المرض ، وكانوا يكرهون الرجوع فيما تركوه لله ، ولذا جاء فى رواية أخرى أخلف عن هجرتى قال القاضى قيل كان حكم الهجرة باقيا بعد الفتح لهذا الحديث ، وقيل إنما كان ذلك لمن هاجر قبل الفتح اه (فقال إنك لن تخلف) أى بأن يطول عمرك وبقاؤك فى الحياة بعد جماعات من أصحابك (فتعمل عملا تبتغى) تقصد (به وجه الله) وحده أى ذاته (إلا ازددت به درجة) فى الجنة (ورفعة) بكسر الراء، ففي هذا نضيلة طول العمر للازدياد من العمل الصالح، والحث على ارادة وجه الله تعالى بالاعمال (ولعلك أن تخلف) بأن يطول عمرك (حتى ينتفع بك اقوام) فى دينهم ودنياهم (ويضر بك آخرون) هذا من جملة إخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات فأنه عاش حتى فتح العراق وغيره وانتفع به قوم فى دينهم ودنياهم ، وتضرر به الكفار فى دينهم ودنياهم ، فأنهم قتلوا إلى جهنم وسبيت نساؤهم وأولادهم ، وغنمت أموالهم وديارهم، وولى العراق فاهتدى على يديه خلائق وتضرر به خلائق باقامته الحق فيهم من كفار ونحوهم (اللهم) أصله ياالله فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم ولهذا امتنع الجمع بينهما فى الاختيار وبسطت الكلام فى تحقيق هذه الكلمة فى شرح الاذكار . قيل وهو الاسم الاعظم (أمض) بفتح الهمزة أي أتمم (لاصحابى هجرتهم ولاتردهم على أعقابهم) قال القاضى عياض : استدل به بعضهم على أن بقاء المهاجر بمكة كيف كان قادح فى هجرته ،

لكن البائسُ سعد بنُ خَولة.يرثي له رسولُ صلى الله عليه وسلم أن ماتَ بمكة » متفق عليه

وعن ابي هُريرةَ

---

ولا دليل فيه عندى لانه يحتمل أنه دعالهم دعاء عاما وتقدم معنى ذلك (لكن البائس) بموحدة و بالمد أي الذى آثر البؤس أى شدة الفقر والقلة (سعد بن خولة) بفتح الخاء المعجمة وهو زوج سبيعة الاسلمية (يرثي له) أى يرق له و يترحم له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن) بفتح الهمزة أى لانه (مات بمكة) وهى الارض التي هاجر منها .قال العلماء : انتهى كلام النبي صلى الله عليه وسلم إلي قوله لكن البائس سعد ابن خولة ،ومابعده مدرج من الراوى : قيل من سعد وقد جاء مفسرا في بعض الروايات ، وقيل أكثر ماجاء من كلام الزهرى . واختلف فى قصة سعد بن خولة: فقيل لم يهاجر من مكة حتي مات بها ، وقيل إنه هاجر وشهد بدرا ثم انصرف الى مكة ومات بها ، وقيل هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهد بدراً وغيرها وتوفى بمكة فى حجة الوداع سنة عشر،وقيل توفى بمكة سنة سبع فى الهدنة ،خرج مختارا من المدينة إلى مكة. فعلى القول الاول سبب بؤسه عدم هجرته،وعلى الثانى والاخير سبب بؤسه سقوط هجرته لرجوعه مختارا وموته بها، وعلى القول الثالث سبب بؤسه موته بمكة علي أى حال كان وإن لم يكن باختياره . لما فاته من الاجر الكامل بالموت فى دار هجرته ، والغربة عن وطنه الذى هجره لله تعالى . ذكره المصنف فى شرح مسلم (متفق عليه) ورواه مالك فى الموطأ وأبوداود والترمذى والنسائى كذا فى جامع الاصول لابن الاثير

(وعن ابى هريرة) جره بالكسرة هو الاصل وصوبه جماعة لانه جزء علم واختار آخرون منع صرفه كما هو شائع على السنة العلماء من المحدثين وغيرهم : لان

عبد الرحمن بن صخرٍ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صُورِكم

---

الكل صار كالكلمة الواحدة ، واعترض بأنه يلزم عليه رعايه الاصل والحال معا فى كلمة واحدة بل فى لفظ هريرة اذا وقعت فاعلا مثلا : فأنها تعرب اعراب المضاف إليه نظراً للاصل وتمنع من الصرف نظرا للحال ، ونظيره خفيّ ، وأجيب بأن الممتنع رعايتهما من جهة واحدة لامن جهتين كما هنا . وكأن الحامل عليه الخفة واشتهار هذه الكنية ، حتي نسى الاسم الاصلى بحيث اختلفوا فيه وفى اسم أبيه على خمسة وثلاثين قولا ، أصحها عبدالرحمن بن صخر رضى الله عنه. وسبب تكنيته بذلك ماروداه ابن عبد البر عنه انه قال « كنت احمل يوما هرة فى كمى فرآنى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ماهذه . فقلت : هرة . فقال : يا أباهريرة » وفى رواية اسحاق « وجدت هرة حملتها فى كمى فقيل لى ماهذه فقلت هرة فقيل أنت أبوهريرة» ورجح بعضهم الاول ، وقيل غير ذلك . أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لازمه الملازمة التامة رغبة فى العلم راضيا بشبع بطنه ، وكان يدور معه حيثما دار ، ومن ثم كان أحفظ الصحابة ، وقد شهد له صلى الله عليه وسلم أنه حريص على العلم والحديث .يروى عنه كما قال البخارى أكثر من ثمانمائة مابين صحابى وتابعى ،وله خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا اتفقا منها على ثلاثمائة وانفرد البخاري بثلاثة وسبعين،و كان ملازما لسكنى المدينة و بها توفي فى سنة سبع أوثمان أوتسع وخمسين عن ثمان وسبعين سنه ودفن بالبقيع . ومااشتهر أن قبره بقرب عسقلان لاأصل له،إنما ذاك صحابى اسمه حيدرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لاينظر الى أجسامكم ولا إلى صوركم) أى لايثيبكم عليها ولايقربكم منه ذلك كما قال تعالى« وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا

ولـكن ينظرُ الى قلوبكم » رواه مسلم
وعن أبي موسى عبدِ الله بن قيسٍ

---

زلفى إلا من آمن وعمل صالحا » الاية. فمعنى نظر الله هنا مجازاته وإثابته، وهذا بعينه يأتى فى قوله تعالى «ولا ينظر إليهم» وإلا فنظره تعالى الذي هو رؤيته للموجودات واطلاعه عليها لا يخص موجودا دون موجود بل يعم جميع الاشياء إذ لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء والحاصل أن الاثابة والتقريب ليسا باعتبار الاعمال الظاهرة وإنما هى باعتبار مافى القلب كما قال (وإنما ينظر إلى قلوبكم) وفى الحديث الاعتناء بحال القلب وصفاته بتحقيق علومه وتصحيح مقاصده وعزومه، وتطهيره عن كل وصف مذموم وتحليته بكل نعت محمود : فأنه لما كان القلب محل نظرا الرب حق على العالم بقدر اطلاع الله تعالى على قلبه أن يفتش عن صفات قلبه واحواله لامكان أن يكون فيه وصف مذموم يمقته الله بسببه. وفيه أن الاعتناء باصلاح القلب وبصفاته مقدم على عمل الجوارح : لان عمل القلب هو المصحح للاعمال الشرعية إذ لا يصح عمل شرعي إلا من مؤمن عالم بمن كلفه، مخلص له فيما يعمله، ثم لا يكمل الا بمراقبته تعالى فيه المعبر عنها بالاحسان، وحيث كان عمل القلب مصححا للعمل الظاهر وعمل القلب غيب عنا فلا يقطع لذى عمل صالح بالخير : فلعل الله تعالى يعلم من قلبه وصفا مذموما لا يصح معه ذلك العمل، ولا لذى معصية بالشر : فلعله سبحانه يعلم من قلبه وصفا محمودا يغفر له بسببه، والاعمال أمارات ظنية، لا أدلة قطعية، ويترتب على ذلك عدم الغلو فى تعظيم من رأينا عليه افعالا صالحة، وعدم الاحتقار لمسلم رأينا عليه أفعالا سيئة، بل تحتقر تلك الحالة السيئة لا تلك الذات المسيئة فتدبر هذا فانه نظر دقيق. لخص من المفهم للقرطبي (رواه مسلم) وابن ماجه أيضا

(وعن ابى موسى عبد الله) بالجر عطف بيان او بدل من أبى موسى (بن قيس)

الاشعرى رضي الله عنه قال سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يُقاتلُ شجاعةً ويقاتل حَميّةً

---

بفتح القاف وسكون التحتية آخره مهملة (الاشعري) نسبة الى الاشعر قبيلة مشهورة باليمن . والاشعر هو مرة بن أدد بن زيد بن يشخب . وإنما قيل له الاشعر لان أمه ولدته والشعر على بدنه كذا فى لب الباب قدم أبوموسى ( رضى الله عنه ) مكة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة فأسلم ثم هاجر ، وقدم المدينة مع جعفر وأصحاب السفينة بعد خيبر ، وأسهم لهم صلى الله عليه وسلم منها لمن حضرها ، وقال: لكم أهل السفينة هجرتان ، وكان لابى موسى ثلاث هجر :إلى مكة، ثم إلى الحبشة،ثم إلى المدينة .ولاه صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن وساحل اليمن،وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويبجله،وقال له «لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود» وولاه الولايات وقد ذكرت جملة من أحواله فى باب فضل الذكر من شرح الاذكار روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وستون حديثا اتفقا منها على تسعة وأربعين حديثا ،وانفرد البخارى بأربعة ومسلم بخمسة عشر. توفى بمكة وقيل بالكوفة سنة اثنتين أو أربع وأربعين عن ستين سنة (قال سئل )بالبناء للمجهول والسائل هو لاحق بن ضمرة الباهلى كما فى تحفة القارى (رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل ) فى محل الصفة أو الحال من الرجل : لان أل فيه جنسية فهو نظير قوله تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » وقال الشاعر

ولقد أمر على اللئيم يسبنى      فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

(شجاعة) هى الاقدام على العدو عن روية قال الشاعر :

الرأى قبل شجاعة الشجعان      هو أول وهى المحل الثانى

( و ) سئل عن الرجل ( يقاتل حمية ) بتشديد التحتية اى انفة وغيرة ومحاماة

ويقاتل رياءً . أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من قاتل لتكونَ كلمةُ الله هى العليا فهو فى سبيل الله » متفق عليه
وعن أبي بكرةَ نُفَيعَ

---

عن عشيرته ( و ) سئل عن الرجل ( يقاتل رياء ) اى ليرى النـاس قتاله ومثله القتال سمعة اى ليسمع الناس . وقوله « شجاعة » بالنصب وكذا المـذكورات فى الجمل المعطوفة بعده وقد جاء فى رواية «سئل عن الرجل يقاتل للذكر» الحديث اي لان يذكر بالشجاعة اى ملاحظة لنظر الخلق ليمدحوه ويقبلوا عليه فشجاعة وكذا المنصوبات فى الجمل المعطوفة بعده مفعول له ( أى ذلك ) بالرفع مبتدأ وهو اسم استفهام وخبره ( فى سبيل الله ) أى كائن فى طاعته ( فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله ) اى دين الاسلام. فان الاسلام ظهر بكلام الله الذى اظهره على لسان رسوله صلى الله عليه وسـلم ، وقيل المراد من كلمة الله دعوته الى الاسلام ( هى العليا فهو فى سبيل الله ) يدخل فى الحديث من قاتل لطلب ثواب الآخرة أو رضى الله لانه من اعلاء كلـمة الله . وحاصل الجواب ان القتال فى سبيل الله قتال منشؤه القوة العقلية لا القوة الغضبية او الشهوانية . قال المصنف فى الحديث بيان ان الاعمال انما تحسب بالنيات الصالحة وان الفضل الوارد فى المجاهدين يختـص بمن قاتـل لاعـلاء كلمة الله ( متفق عليـه ) ورواه ابو داود والنسائي والترمذى

( وعن ابى بكرة ) بسكون الـكاف كنى بذلك لانه تدلى ببكرة من حصن الطائف الى النبى صلى الله عليه وسلم لما حاصر الطائف ثالث ثلاثة وعشرين من عبيد اهل الطائف (نفيع) بضم النون وفتح الفاء وسكون التحتية آخره مهملة عطف بيان او بدل من ابى بكرة ، وقيل اسمه مسروح بمهملات . وقيل اسم ابيه ذلك

ابنِ الحارث الثّقفىّ رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا التقَى المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتول فى النار » قلت « يارسول الله هذا القاتلُ ، فما بالُ المقتول؟ » قال « إنه كان حريصاً علىِ قتل صاحبه» متفق عليه

---

( بن الحارث ) بن كلدة بفتحتين ( الثقفي ) نسبة لثقيف بوزن رغيف كان ابو بكرة ( رضى الله عنه ) من ذوى المزايا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل البصرة وشهد وقعة الجمل ولم يقاتل فيها واجتنب حروب الصحابة، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة واثنان وثلاثون حديثا اتفقا على ثمانيه منها وانفرد البخاري بخمسة ومسلم بواحد . توفى بالبصرة سنة احدى او اثنتين وخمسين ( ان النبي صلى الله عليه وسلم قال . اذا التقى المسلمان بسيفيهما )قاصدا كل منهما اتلاف صاحبه ( فالقاتل ) بسبب مباشرته قتل صاحبه ( والمقتول ) لحرصه على ذلك كائنان ( فى النار ) اى ان لم يعف الله عنهما ( قلت يارسول الله هذا القاتل ) اى حكمة دخوله النار ان لم يعف الله عنه ظاهرة لانه ظلم اخاه ( فما بال المقتول ) المظلوم ( قال إنه ) اى المقتول ( كان ) عاصيا لانه كان ( حريصا على قتل صاحبه ) ففى الحديث العقاب على من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها ، ويحمل ما جاء فى الاحاديث من العفو عن الخواطر على غير ذلك بأن مر ذلك بفكره من غير استقرار ، ويسمى هما ، ثم المعصية التي عزم عليها كما ذكر تكتب سيئة ويؤآخذ بها إن لم يعملها فأن عملها كتبت معصية ثانية ، وان تركها خوفا من الله تعالى كتبت حسنة ، وتمسك أبو بكرة بهذا الحديث فى ترك القتال فى الفتنة حتى نقل عنه أنه قال لو دخل على احد حتي يقتلني لم امنعه ( متفق عليه ) قال فى الجامع الصغير ورواه احمد وابوداود والنسائى عن ابى بكرة ورواه ابن ماجه عن ابى موسى

وعن أبي هريرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صلاةُ الرجل جماعةً تزِيدُ على صلاته في سُوقه وبيتهِ بضعا

---

(وعن ابي هريرة) سبقت ترجمته (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الرجل جماعة) اى فى المسجد (تزيد على صلاته) أى الرجل (فى سوقه) سميت بذلك لان الناس يسوقون اليها بضائعهم أو لانهم يقفون فيها على ساق (و) تزيد على صلاته فى (بيته) جماعة كانت أو فرادى صرح به الحافظ فى الفتح ، لكن قول المصنف : الصواب ان المراد منه صلاته فى بيته وسوقه منفردا ، وقيل فيه غير هذا وهو قول باطل اه . وقال الحافظ : مقتضى الحديث ان الصلاة فى المسجد جماعة تزيد على الصلاة فى البيت جماعة وفرادى . قال ابن دقيق العيد والذى يظهر لى ان المراد بمقابل الجماعة فى المسجد الصلاة فى غيره منفردا لكنه خرج مخرج الغالب فى ان من لم يحضر الجماعة فى المسجد صلى منفردا . قال : وبهذا يرتفع اشكال من استشكل تسوية الصلاة فى البيت والسوق اه [1] ولا يلزم من حمل الحديث على ظاهره التسوية المذكورة : اذ لا يلزم من استوائهما فى المفضولية عن المسجد ألا يكون احدهما افضل من الآخر وكذا لا يلزم منه ان تكون الصلاة جماعة فى البيت والسوق لافضل فيهما على الصلاة منفردا بل الظاهر ان التضعيف المذكور يختص بالجماعة فى المسجد ، والصلاة فى البيت مطلقا أولى منها فى السوق كذلك : لما ورد من كون الاسواق محلا للشياطين والصلاة جماعة فى السوق والبيت افضل من الانفراد (بضعا) بكسر الباء وفتحها ، وهو من الثلاثة الى العشرة ، وقيل من ثلاث الى تسع ، وقيل غير ذلك ، والصحيح

---

١) اى انتهى كلام ابن دقيق العيد ، وقوله «ولا يلزم الخ» بقية كلام الحافظ يريد بذلك ان الاشكال مرتفع ولو أبقى الكلام على ظاهره راجع وتأمل . ش

وعشرين درجة ، وذلك أن أحدهم اذا توضأ فأحسنَ الوضوء ، ثم اتى المسجدَ لا يريدُ إلا الصلاة ، لا يَنهزُه الا الصلاةُ ، لم يخطُ خُطوةً إلا رُفع له بها

---

الاول . والمراد منه خمس أوست أو سبع كما جاء مبينا فى روايات فى الصحيح ( وعشرين درجة ) أي يزيد ثواب الصلاة فى الجماعة فى المسجد على الصلاة فى البيت والسوق هذا القدر ، فيحصل له بالصلاة فى المسجد ثواب أزيد من ثواب ما لوصلى تلك الصلاة بعينها منفردا فيها بضعا وعشرين درجة ، كما ذكره ابن دقيق العيد وغيره . قال ابن الاثير : انما قال درجة لانه اراد الثواب من جهة العلو والارتفاع وان تلك فوق هذه بكذا درجة لان الدرجات الى جهة فوق ( وذلك ) اشارة الى ان الامور المذكورة بعد علة التضعيف ، والتقدير « وذلك لانه » فكانه يقول سبب التضعيف المذكور ( ان احدهم ) أى الواحد من الرجال المدلول عليه بلفظ الرجل فأل فيه استغراقية ( اذا توضأ فأحسن الوضوء ) بضم الواو أي اسبغه وأتى بسننه وآدابه ( ثم اتى المسجد ) حال كونه ( لايريد ) من اتيانه اياه ( الا الصلاة ) اى ثواب الصلاة فى جماعة فأل فيه عهدية ، واوقع الفعل على الصلاة لانها سبب ، وليس مفهوم « ثم » وهو المهلة والتراخى مراداً بل المبادرة اولى : لقوله تعالى « اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون »

وفى الحديث اشارة الى اعتبار الاخلاص ( لا ينهزه الا الصلاة ) هو بمعنى ما قبله ( لم يخط ) بفتح التحتية وضم الطاء المهملة ( خطوة ) قال الحافظ فى الفتح : ضبطناه بضم اوله ، ويجوز الفتح . قال الجوهرى : الخطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح المرة الواحدة . وجزم اليعمرى انها هنا بالفتح ، وقال القرطبى انها فى رواية مسلم بالضم ( إلا رفع ) بالبناء للمجهول ، ونائب الفاعل ضمير يعود الى الرجل ( بها )

درجة وحُطّ عنه بها خطيئةٌ حتى يدخلَ المسجد ، فاذا دخل المسجدَ كان فى الصلاةِ ما كانت الصلاةُ هى تحبسُه، والملائكة يُصَلونَ على أحدكم ما دام فى مجلسه الذى صلّى فيه

---

اى بسببها و ( درجة ) منصوب على الظرفية والدرجة بفتح الدال المرتبة والمنزلة ثم يحتمل ان تكون حسية فى الجنة وان تكون معنوية بمعنى ارتفاع رتبته ( وحط ) اى وضع ( عنه ) اى عن الرجل المذكور بأن يمحي من صحيفته( بها ) أى بسببها ( خطيئة ) اى ذنب ( حتى ) غاية لما قبله اى الى ان ( يدخل المسجد، فأذادخل المسجد ) منتظرا للصلاة . بالنصب على الظرفية على سبيل التوسع وإلا فحقه ألا ينصب عليها : لانه اسم مكان مختص ( كان ) الرجل (فى الصلاة) اى فى ثوابها . وهذا مجاز فأن الصلاة أو ثوابها ليس ظرفا ( ماكانت الصلاة تحبسه ) «ما» فيه مصدرية ظرفية ثم محله مالم يصرف جلوسه فى مصلاه لغرض آخر وهل يحصل الثواب المذكور لمن نوى ايقاع الصلاة فى المسجد جماعة وان لم يوقعها فيه ام لا ؟ قال القلقشندى : الظاهر الثانى ، وقضية ماتقدم فى حديث المتخلفين عن تبوك من المعذورين من قول القرطبي إنهم يثابون كالمباشر لصدق نيتهم أن يحصل له الثواب عند صدق النية (والملائكة ) قيل هم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل وقيل غير ذلك وهل هي متحيزه اولا وهل يستقل العقل بمعرفتها أولا؟ فيه خلاف تحقيقه فى علم الكلام ( يصلون على أحدكم ) أى يدعون له . وقابل صلاة الجماعة بصلاة الملائكة ليتناسب العمل والثواب . وهؤلاء الملائكة يجوز أن يكونوا الحفظة ويجوز ان يكونوا غيرهم (ما) مصدرية ظرفية ايضا (دام فى مجلسه) اى مدة دوام كونه فى مجالسه ( الذى صلى فيه ) اى صلاة تامة كما قال ابن ابى جمرة . قال القلقشندى . والمراد مادام فيه

يقولون اللهم ارحمه. اغفرله. اللهم تب عليه. ما لم يؤذ فيه ما لم يُحْدِث فيه»

---

ينتظر الصلاة وقد ورد كذلك صريحا عند مسلم ومقتضى هذا انه اذا انصرف عن مصلاه إلى موضع آخر فى المسجد او غيره وهو ينتظر الصلاة انه ينقطع ذلك، وليس مرادا كما نبه عليه الحافظ فى الفتح، فقال الباجي المنتظر فى غير مصلاه من المسجد يكون فى صلاة كالمنتظر فى مصلاه غير ان المنتظر فى مصلاه يختص بصلاة الملائكة عليه ( يقولون ) بيان ليصلون ( اللهم ارحمه اللهم اغفرله اللهم تب عليه ) فعلم ان المراد بصلاتهم الدعاء لا الاستغفار فقط . واستدل بالحديث على افضلية الصلاة على غيرها من الاعمال كما ذكر من دعاء الملائكة للمصلى ، وعلى تفضيل صالحي الناس علي الملائكة لانهم يكونون فى تحصيل الدرجات بعبادتهم، والملائكة مشغولون بالاستغفار والدعاء لهم (مالم يؤذ فيه مالم يحدث فيه (١) ) بسكون المهملة كما قاله الداودى . قال وضبطها بعضهم بفتحها واراد بغير ذكر الله . قيل والمراد بالحدث فى الحديث الذي ذكره البخارى الريح كما فسره أبو هريرة راوى الحديث ، وقيل المراد اعم من ذلك ويؤيده رواية مسلم هذه الجامعة بين الاذى والحدث إن لم يكن الثانى تفسيرا للاول فأن كان تفسيرا له يؤخذ منه ان اجتناب حدث اللسان واليد من باب اولى فيهما ، ويؤخذ منه ان الحدث يقطع ذلك ولو استمر جالسا فى مصلاه

---

١) قوله مالم يؤذ الخ ) شرط للامرين المذكورين وهما كونه فى صلاة وكون الملائكة يصلون عليه وفى صحيح البخارى «ما لم يؤذ يحدث» قال الكرمانى قوله «مالم يؤذ» اى الملائكة بالحدث ولفظ يحدث من باب الافعال مجزوم بانه بدل يؤذ أو مرفوع بانه استئناف . وفى بعضها «بحدث» بلفظ الجار والمجرور متعلقا بيؤذ . وفى بعضها «ما لم يحدث» بطرح لفظ يؤذ من باب الافعال اى مالم ينقض الوضوء ومن باب التفعيل اي مالم يتكلم بكلام الدنيا . ش

متفق عليه وهذا لفظُ مسلم. قوله صلى الله عليه وسلم «يهزه» هو بفتح الياء والهاء وبالزّاي أي يخرجه وينهضه

وعن أبي العباس عبدِ الله بنِ عباس بنِ عبد المطلب رضي الله عنهما

---

وتأول كثر العلماء الاذى بالغيبة والضرب فأن ذلك اعظم من اذى الحدث ( متفق عليه وهذا لفظ مسلم ) ورواه مالك واحمد وابو داود والترمذي والنسائي مقطعا وكذا ابن ماجه والاسماعيلي وابو عوانه وابن الجارود مختصرا البرقاني وابو نعيم والبيهقي وغيرهم كذا في شرح عمدة الاحكام للقلقشندي ( قوله صلى الله عليه وسلم ) كما في نسخة ( يهزه : هو بفتح الياء والهاء ) وحكى ضم الياء وكسر الهاء ( وبالزاي أي يخرجه وينهضه ) وفي النهاية النهز الدفع يقال نهزت الرجل انهزه اي اذا دفعته ونهز رأسه اذا حركه

(وعن ابي العباس عبد الله بن عباس ) عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ( بن عبد المطلب رضي الله عنهما ) ولد قبل الهجرة بثلاث سنين بالشعب وبنو هاشم محصورون فيه قبل خروجهم منه بيسير وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وقيل ابن خمس عشرة ، وقيل ابن عشر ، ويؤيد الاول ماصح عنه من قوله في حجة الوداع وانا يومئذ قد ناهزت الاحتلام . وصح انه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله « اللهم فقهه في الدين وعلمه الحكمة والتأويل اللهم علمه تأويل القرآن . اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين . اللهم زده علما وفقها » وثبت عنه انه قال « رأيت جبريل مرتين » وهذا سبب عماه في آخر عمره وفضائله شهيرة ومناقبه كثيرة . اوردت جملة صالحة منها في كتاب فضل زمزم روى له الف حديث وستمائة وستون حديثا اتفقا منها على خمسة وتسعين وانفرد البخاري بثمانية وعشرين ومسلم بتسعة واربعين . مات بالطائف ودفن بها سنة

ثمان وخمسين فى خلافة ابن الزبير، وقيل سنة تسع وصلى عليه محمد ابن الحنفية وقال مات ربانى هذه الامة (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه) أى روى عن أبى العباس انه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يأتى حال كونه مندرجا فى الاحاديث القدسية وهى التى يرويها (عن ربه، تبارك) قال البيضاوى أى تكاثر خيره من البركة وهى كثرة الخير، أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه فى صفاته وافعاله: فأن البركة تتضمن معنى الزيادة، وقيل دام من بروك الطير على الماء، ومنه البركة لدوام الماء فيها، وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل إلا لله تعالى ا هو على الثانى مما قاله فيكون قوله: (وتعالى) أى تنزه عما لا يليق به مما يقوله الجاحدون والمبطلون. إطنابا. ثم هذه عبارة السلف فى رواية الاحاديث القدسية، فلذا آثرها المصنف، ولهم فى ذلك عبارة أخرى وهى أن يقول: قال الله تعالي فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. والمعني واحد. وقد ذكرت ما افترق فيه القرآن والحديث القدسى فى شرح الاذكار وسيأتى بعضه فى باب الصبر، وقيل ليس من الاحاديث القدسية بل المراد فيما يرويه عن فضل ربه أو حكمه أو نحو ذلك، وتعقب ذلك الجزم بأن كلا الامرين محتمل، والاقرب إلى السياق وإلى اصطلاح السلف المذكور فى رواية الاحاديث القدسية أنه منها، وقد جاء فى بعض طرق الصحيحين ما يصرح بأنه منها وهو: يقول الله عز وجل «إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتي يعملها فأن عملها فاكتبوها عليه بمثلها، وان تركها لاجلى فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، وإذا عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له مالم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها عليه بمثلها (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم، ويصح عوده

«إن الله كتب الحسناتِ والسيئاتِ ثم بين ذلك فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملْها كتبها اللهُ تعالى عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعمِلها كتبها الله عنده عشْر حسناتٍ إلى

---

إلى الله ، وعليه فيكون من الاظهار فى محل الاضمار قوله ( إن الله كتب الحسنات والسيئات ) أى أمر الحفظة بكتابتهما، أو كتبهما فى علمه على وفق الواقع منهما أو قدر مبالغ تضعيفهما (ثم بين) أى الله تعالى، وجعل الضمير له صلى الله عليه وسلم مبنى على مامر من أن المراد بعن ربه عن حكمته أو فضله وقد علمت مافيه و«ثم» للترتيب الذكرى (ذلك) للكتبة من الملائكة حتي عرفوه واستغنوا به عن الاستفسار كل وقت كيف يكتبونه ( فمن هم بحسنة ) أي أرادها وترجح فعلها عنده ، فعلم منه بالاولى العزم وهو الجزم بفعلها والتصميم عليه (فلم يعملها كتبها الله عنده) هى عندية شرف ومكانة لتنزهه تعالى عن عندية المكان (حسنة )لان الهم بالحسنة سبب إلى عملها وسبب الخير خير ، أما الخطرة التى تخطر ثم تنفسخ من غير عزم ولا تصميم (١) فليست كذلك . واستفيد من ذكر الحسنة هنا والمضاعفة فيما يأتى اختصاص المضاعفة بمن عمل دون من نوى ، فهما فى الاصل سواء وإن اختص العامل بالتضعيف وقوله ( كاملة ) وصف حسنة وذكر لئلا يظن أنها لكونها مجرد همّ ينقص ثوابها (وإن هم بها) أى بالحسنة (فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات ) لانه أخرجها من الهم إلى ديوان العمل ، فكتب له بالهم حسنة ثم ضوعفت فصارت عشرا وهذا التضعيف لازم لكل حسنة تعمل ، قال الله تعالى «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» ثم قد تضاعف بعد لمن شاء الله، قال الله تعالى « والله يضاعف لمن يشاء » مضاعفة أخرى ( إلى

---

١ ) الاولى أن يقول «من غير همّ» لان العزم فوق الهم والهم فوق الخطرة

سبعمائة ضِعف الى أضعافٍ كثيرة ، وإن همّ بسيئةٍ فلم يعملْها كتبها الله تعالى عنده حسنةً كاملةً

---

سبعمائة ضعف ) على حسب مااقترن بها من إخلاص نيته و إيقاعها فى محلها الذي هى به أولى وأحرى،وفى رواية فى الصحيحين أيضا «إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فأنه لى وأنا أجزى به » وفيها دليل على أن الصوم لا يعلم قدر مضاعفة ثوابه إلا الله تعالى لانه أفضل أنواع الصبر ، وقد قال تعالى « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (الى أضعاف كثيرة ) وكثيرة هذه وان كانت نكرة الا أنها أشمل من المعرفة فتقضى لهذا أن يحسب توجيه الكثرة على أكثر ما يمكن، كتصدق بحبة بر مثلا تحسب له فى فضل الله تعالى أنه لو بذرها فى أزكى أرض مع عناية الرى والتعهد ثم حصدت وبذر حاصلها فى أزكى أرض كذلك وهكذا الى يوم القيامة جاءت تلك الحبة كامثال الجبال الرواسى، وماذكرته. من أن التضعيف بعشرة لا بد منه لكل عامل حسنة وأن التضعيف بسبعمائة فاكثر أنما يحصل للبعض على حسب مشيئته تعالى. هو ماجزم به المصنف رحمه الله تعالى (وان هم بسيئة فلم يعملها) بأن ترك فعلها أو التلفظ بها لوجهه تعالى لا لنحو حياء او خوف ذى شوكة أو عجز أو رياء، بل قيل يأثم حينئذ من حيث نحو الرياء لان تقديم خوف المخلوق على خوف الله محرم وكذا الرياء (كتبها الله عنده حسنة) لان رجوعه عن العزم عليها خير أى خير فجوزي فى مقابلته بحسنة وأكدت بقوله ( كاملة ) اشارة الى نظير مامر فى كاملة فى الهم بالحسنة ،لا يقال نظير مامر ثم أن الهم بالحسنة تكتب فيه حسنة أن يكون بالسيئة تكتب فيه سيئة فان الهم بالسوء من اعمال القلب: لانا نقول قد تقرر ان الكف عنها خير أى خير وهو متأخر عن ذلك الهم فيكون ناسخا له «إن الحسنات يذهبن السيئات » وعند مسلم «يقول الله انما تركها

وإن همّ بها فعمِلها كتبها الله سيئةً واحدةً

من جرلمى » أى من أجلى (١) ( وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة ) زاد احمد «ولم تضاعف عليه» ويدل له قوله تعالى «فلا يجزى الا مثلها» نعم قد تعظم بشرف زمان أومكان كالاشهر الحرم ورمضان ومكة أو بشرف الفاعل لها وقوة معرفته بالله تعالى وقربه منه : فأن من عصى السلطان على بساطه أعظم جرما ممن عصاه على بعد . ثم قوله «وان هم الخ» فيه دليل على أن العزم لايكتب معها، لكن أفتي قاضى القضاة ابن رزين من أئمتنا بأن من عزم عليها ففعلها ولم يتب منها أوخذ بعزمه لانه اصرار، وتناقض فيه كلام السبكي ورجح ولده ما يوافق كلام ابن رزين

«تنبيه» لم يقع من يوسف عليه السلام هم بمعصية على ماقاله ابن أبى حاتم ومن وافقه ، ومعنى الآية عندهم «وهمّ بها لولا رأى برهان ربه» أى لولا رؤية البرهان لهم لكنه لم يهم لانه رآه ، وعلى المشهور فى الآية فالهم الواقع منه بمعنى حديث النفس المعفو عنه . واعلم ان مايقع فى النفس من قصد المعصية على خمس مراتب «الاولى» الهاجس وهو مايلقى فيها «ثم» جريانه فيها وهو الخاطر «ثم» حديث النفس وهو مايقع فيها من التردد هل يفعل اولا «ثم» الهمّ وهو قصد ترجيح الفعل «ثم» العزم وهو قوة ذلك القصد والجزم به : فالهاجس لايؤاخذ به اجماعا لانه ليس من فعله وانما هو شيء طرقه قهراً عليه ، وما بعده من الخاطر وحديث النفس وإن قدر على دفعهما مرفوعان بالحديث الصحيح أي وهو قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله تجاوز عن امتى ماحدثت به أنفسها ما لم تتكلم» به أي فى المعاصى القولية «أو تعمل به» أى فى المعاصى الفعلية لان حديثها إذا ارتفع فما قبله أولى، وهذه المراتب

---

١) يقال فعلته من جراك . بفتحتين، ومن جرائك . بفتحتين وبالهمزة ، ومن جرّاك. بتشديد الراء من غير همز. والرواية هنا بالتشديد بلا همز . ع

متفق عليه

وعن أبى عبد الرحمن عبدِ الله بن عمرَ بن الخطاب رضى الله عنهما

---

لاأجر فيها فى الحسنات ايضا لعدم القصد ، واما الهم فقد بين الحديث الصحيح انه بالحسنة يكتب حسنة وبالسيئة لايكتب سيئة ثم ينظر فأن تركه لله كتب حسنة وان فعله كتبت سيئة واحدة،والاصح فى معناه انه يكتب عليه الفعل وحده وهو معنى قوله واحدة وان الهم مرفوع ومنه يعلم أن قوله فى حديث النفس «مالم تتكلم اوتعمل به» ليس له مفهوم حتى يقال إنها إذا تكلمت أوعملت يكتب حديث النفس لانه اذا كان الهم لايكتب كما استفيد من قوله واحدة فحديث النفس أولى بذلك كذا قاله السبكي فى الحلبيات وخالف نفسه فى شرح المنهاج وتبعه ولده ، وعبارته فى منع الموانع : هنا دقيقة وقد نبهنا عليها فى جمع الجوامع هى أن عدم المؤاخذة بحديث النفس والهم ليس مطلقا ، بل بشرط عدم التكلم والعمل حتي إذا عمل يؤاخذ بشيئين همه وعمله ولا يكون همه مغفورا ولا حديث نفسه إلا اذا لم يعقبه العمل (١) كما هو ظاهر الحديث . ثم حكي كلامى أبيه ورجح المؤاخذة. وخالفه غيره فرجح عدمها .قال وإلا يلزم ان يعاقب علي المعصية عقوبتين ، ونظر بأنه لايلزم عليه ذلك لان الهم حينئذ صار معصيةأخري. ثم قال فى الحلبيات واما العزم فالمحققون على أنه يؤاخذ به ،وخالف بعضهم وقال انه من الهم المرفوع واستدل له بما لايجدي ،قال ابن رزين والعزم على الكبيرة وإن كان سيئة فهو دون الكبيرة المعزوم عليها والله اعلم (متفق عليه.

وعن ابى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ) ولد قبل البعثة بسنة ،واسلم مع أبيه بمكة وهو صغير وقيل قبله ،وهاجر معه وقيل قبله ، ولم

---

١) يعقبه بضم فسكون اى يورثه همه وحديث نفسه العمل . ع

قال : سمعْت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلَقَ ثلاثةُ نَفَرٍ ممّن كان قبلكم حتى آواهَم

يشهد بدرا ، وكان عمره عام أحد أربع عشرة سنة فاستصغره صلى الله عليه وسلم ثم بلغ فى عام الخندق خمس عشرة سنة فاجازه صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يتخلف بعد عن سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال صلى الله عليه وسلم لشقيقته حفصة «إن اخاك رجل صالح لو أنه يقوم الليل » فلم يترك قيامه بعده ، وكان من فقهاء الصحابة ومفتيهم وزهادهم ، واعتزل الفتنة فلم يقاتل مع على ولا مع معاوية، وأولع بالحج أيام الفتنة وبعدها ، وكان من أعلم الناس بالمناسك ، قيل وحج ستين حجة واعتمر الف عمرة وأفتى فى الاسلام ستين سنة وحمل علي الف فرس فى سبيل الله ، روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم الف حديث وستمائة وثلاثون حديثا اتفقا منها علي مائة وسبعين وانفرد البخارى بثمانين ومسلم بأحد وثلاثين ، وقد ذكرت زيادة فى ترجمته فى شرح الاذكار ، مات بمكة سنة ثلاث وسبعين شهيدا عن ست وثمانين سنة وسبب موته أنه سفه عليه الحجاج فقال له عبد الله انك سفيه مسلط فعز ذلك عليه فأمر رجلا فسم زج (١) رمحه فزحمه فى الطواف ووضع الزج على قدمه فمرض اياما وتوفى ودفن بذوى طوى فى مقبرة المهاجرين وقيل بفخ(٢) (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: انطلق ثلاثة نفر) فى النهاية هو اسم جمع يقع على عدد مخصوص من الرجال اى ما بين الثلاثة إلى العشرة ولا واحد له من لفظه (ممن كان) افراد الضمير باعتبار لفظ من (قبلكم) فى الزمان ( حتى آواهم ) حتى فيه عاطفة والمعطوف عليه انطلق ، ويحتمل كونها جارة غاية لمقدر أى فساروا الى ان آواهم المبيت . وآوى بالمد فى الافصح لكونه متعديا وبه جاء القرآن قال تعالى «وآويناهم

(١) بالضم الحديدة التى فى اسفل الرمح (٢) بالفتح موضع بمكة وقيل واد . ع

المبيتُ الى غارٍ فدخلوه ، فانحدرتْ صَخرةٌ مِن الجبل فسدّت عليهم الغار ، فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدْعوا اللهَ تعالى بصالح اعمالكم قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوانِ شيخان كبيران ، وكنتُ لا أغْبق

---

الى ربوة » ويجوز قصره ومصدره إيواء بوزن إكرام ومصدر القاصر أووى على وزن فعول قبل قلب الواو الثانية ياء وادغامها فى الياء بعدها وكسر الواو الاولى لمناسبة الياء ، والافصح فى الفعل اللازم القصر وجاء فى القرآن بذلك قال تعالى « إذ أوى الفتية » (المبيت ) البيتوتة فاعل (إلى غار ) أى كهف وجمعه غيران بقلب الواو الساكنة ياء لكسر ماقبلها كما فى النهاية (فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت ) بتشديد الدال (عليهم الغار ) أى بابه اى صارت على باب الغار كالسد (فقالوا : انه) الضمير للشان (لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله) متوسلين اليه (بصالح أعمالكم) اى باعمالكم الصالحة والواو من تدعوا ساكنة لانها للجمع والاصل بعد الاعلال تدعون حذفت النون للناصب وهو أن . قال المصنف واستدل اصحابنا بهذا ـ أى بقوله لا ينجيكم الخ . على انه يستحب للانسان الدعاء فى حال كربه وفى حال الاستسقاء وغيره بصالح عمله ، ويتوسل الى الله تعالى بذلك : لان هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم وذكره صلى الله عليه وسلم فى معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم (قال رجل منهم) قدم على الرجلين بعده إشارة إلى شرف بر الوالدين و الاهتمام بشأنهما فأن التقديم فى الذكر يكون للاهتمام (اللهم ) أي ياالله (كان لى أبوان )فيه تغليب الاب لشرفه على الام فهو نظير « وكانت من القانتين » وكان ، يحتمل كونها ناقصة والظرف خبرا مقدما ، وكونها تامة والظرف فى محل الحال (شيخان ) بفتح الشين (كبيران ) فى السن (وكنت ) معطوف على كان قبله (لا أغبق ) بفتح الهمزة وسكون الغين

قبلهما أهلا ولا مالاً ، فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرحْ عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهتُ أن أوقظهما وأن أغبِق قبلهما

---

المعجمة وضم الموحدة وكسرها .قال المصنف هذا الذى ذكر من ضبطه متفق عليه فى كتب اللغة وكتب غريب الحديث والشروح وقد يصحفه بعض من لا انس له فيقوله بضم الهمزة وكسر الموحدة وهذا غلط .وقال الحافظ فى الفتح ضبطوه بفتح الهمزة من الثلاثى الا الاصيلى فضبطه من الرباعى وخطؤوه ا ه. اى كنت لا أقدم فى شرب الماء (قبلهما أهلا ) أي من زوج وولد (ولا مالا) أي من رقيق وخادم، والغبوق شرب العشى والصبوح شرب الصباح قال القرطبي والحاس هو الذى يؤتى به عند انفلاق الفجر (فنأى) بتقديم الهمزة بوزن سعى وفى رواية فناء بوزن جاء اى، بعد، والنأى البعد (بى طلب الشجر يوما) لترعى فيه المواشي (فلم أرح عليهما) بضم الهمزة وكسر الراء اى لم أرجع (١) (حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما) وفى نسخة من البخارى فحملت (فوجدتهما نائمين) يحتمل ان يكون وجد فيه من افعال القلوب فنائمين مفعوله الثانى و أن يكون بمعنى لقى فنائمين حال من المفعول (فكرهت )قال فى تحفة القارى وفى نسخة اى من البخارى وكرهت (أن أوقظهما وأن أغبق) بفتح اوله كما تقدم (قبلهما

---

١) قوله « بضم الهمزة » يقال ارحت الابل أى رددتها الى مراحها بضم الميم أى مأواها بالليل ، وفى حديث ام زرع «واراح على نعما ثريا » أى اعطانى وارحت على الرجل حقه اذا رددته عليه. ويقال رحت القوم ورحت اليهم ورحت عندهم : ذهبت اليهم من راح يروح روحا ورواحا . ويقال راحت الابل تراح بفتح التاء رائحة مصدر على فاعلة اى ذهبت بالعشى . كذا فى كتب اللغة وقول الشارح ارجع من رجع الثلاثى المتعدى ويجوز ضم الهمزة من أرجع الرباعى وهي لغة هذيل أى لم أرد عليهما الابل . ع

أهلا أو مالا ، فلبثتُ والقدَحُ على يدِي أنتظرُ استيقاظهما حتي بَرِق الفجرُ والصبْيةُ يتضاغَوْن عند قدمى ، فاستيقظا فشر باغَبوقهما. اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهكَ ففَرِّج عنّا

---

أهلاأومالا ،فلبثت والقدح على يدى) جملة حالية من الفاعل وكذا قوله( أنتظر استيقاظهما ) ثم يحتمل أن يكون من فاعل لبث ، وأن يكون من الياء فى الجملة قبله(١) وعليه فهى حال متداخلة(حتي برق الفجر ) بفتح الراء وكسرها أى تلألأ وظهر ضوءه (والصبية يتضاغون)جملة حالية من فاعل لبث أيضا ويتضاغون بالضاد والغين المعجمتين يصيحون من الجوع، والضغاء ممدود مضموم الاول صوت الذلة والفاقة (عند قدمى) يحتمل أن يكون بفتح الميم وتشديد الياء مثنى وحذفت النون للاضافة وأن يكون بكسر الميم وسكون التحتية،وهو لكونه مفردا مضافا يؤدى مؤدى الاول وهو عند البخارى «عند رجلى»وضبط فى أصل صحيح منه بتشديد الياء،وهو يؤيد الاول من الاحتمالين . فأن قلت :نفقة الفرع مقدمة على نفقة الاصل فلم تركهم جائعين؟ قلت: قال الكرمانى لعل فى شرعهم تقديم الاصل على الفرع أولى ، أو كانوا يطلبون الزائد على سد الرمق،والصياح لم يكن من الجوع اه (فاستيقظافشربا غبوقهما)بفتح الغين ( اللهم إن كنت فعلت ذلك ) المذكور من السهر واللبث عليه وحمل القدح الى قيامهما (ابتغاء وجهك ) أى ذلك لا لغرض آخر دنيوي كما يدل عليه السياق ( ففرج عنا ) بتشديد الراء دعاء من التفريج أي افتح ثم هو هكذا فى أصلين من الرياض والذى فى الصحيحين «فافرج» وقضية كلام القرطبى فى المفهم انه بهمزة

---

(١) أى قبل قوله «انتظر الخ »أى من الياء فى يدى

مانحن فيه من هذه الصخرة . فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروجَ منه قال الآخر: اللهمَّ إنه كانت لِي ابنةُ عمّ كانت احبَ الناس الىَّ وفى رواية كنتُ أحبها كأشدِّ ما يحبّ الرجالُ النساء،

---

وصل وضم الراء من الثلاثى (١) وعبارته افرج افتح،والفرجة بضم الفاء من السعة فاذا كان بمعنى الراحة قلت فيه فرجة بفتحها وفعل كل واحد منهما فرج بالفتح والتخفيف يفرج بالضم لاغير. لكن قال الحافظ فى الفتح انه بهمزة الوصل وضم الراء وبهمزة القطع وكسر الراء من الفرج والافراج اه (مانحن فيه من) كرب سد (هذه الصخرة فانفرجت شيئا ) أي يسيرا من الانفراج وهو مفعول مطلق قائم مقام قوله فرجة الوارد فى رواية (لا يستطيعون الخروج ) اى منه ( قال الآخر )بمد الهمزة وفتح الخاء المعجمة ( اللهم كان ) بالتذكير لافصل بقوله ( لى )بينه وبين مرفوعه المؤنث الحقيقى،وفى نسخة كانت ،وهو(ابنة عم ،كانت أحب الناس إلىّ ) بتشديد الياء. والياء المدغمة هى المنقلبة عن الف الى والمدغم فيها ياء المتكلم (وفى رواية ) أى فى الصحيحين( كنت أحبها كأشد )أي حبا مثل أشد(مايحب الرجال النساء)فالكاف فى كأشد صفة المصدر،وقال الكرمانى هى زائدة قال: أوالمراد تشبيه محبته بأشد المحبات

---

١) لم أجد فى المختار ولا فى اللسان ولا فى تاج العروس« يفرج » بضم الراء ولا يفرج ،بضم الياء وكسر الراء. وعبارة تاج العروس(فرج الله الغم) من باب ضرب (يفرجه )بالكسر( كشفه ، كفرجه )مشددا ، فانفرج وتفرج ... (والفرجة مثلثة التفصي ) أى الخلاص ( من الهم ) والفرجة بالفتح الراحة من حزن أو مرض ... ( و) قيل الفرجة فى الامر ( وفرجة الحائط ) والباب ( بالضم )... ( و) فرج بالكسر فرجا ( والاسم الفرج محركة) اه . وفى اللسان والمختار مالا تخرج عن ذلك . ع

فاردتُها علي نفسها فامتنعت مني حتى ألمّتْ بها سنة من السنين، فجاءتني فاعطيتُها عشرين ومائةَ دينارٍ علي ان تخلّيَ بيني وبين نفسها ففعلتْ، حتى اذا قدرْتُ عليها وفى رواية فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تَفُضَّ الخاتم إلا بحقه فانصرفتُ عنها وهي أحب الناس اليّ، وتركت الذهب الذي اعطيتُها

(فأردتها) وفى نسخة فراودتها (على نفسها) هو كناية عن طلب الجماع (فامتنعت منى) أى من موافقتى على ماطلبته منها (حتى ألمت) أى الى أن نزلت (بها سنة من السنين) المقحطة أي المجدبة التي لاتنبت فيها الارض شيئا (١) (فجاءتني) عند نزول الشدة بها (فأعطيتها عشرين ومائة دينار) لاينافى مارواه البخارى فى رواية أخرى ومسلم من أن جميع مادفعه لها مائة دينار: لان التخصيص بالعدد لاينفى الزائد، أو أن المائة كانت تطلبها والعشرين تبرع لها بها كرامة (على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت) اى خلت. أوالمفعول محذوف اي أوجدت التخلية (حتي اذا قدرت عليها) أى بالقعود الآتى بيانه فى الرواية الثانية، ويحتمل أن يكون المراد بالقدرة عليها التمكن من الوقاع بها من غير معارض منها ومن غيرها (وفى رواية) للبخارى (فلما قعدت) وعند مسلم «فلما وقعت» (بين رجليها) أى وهي جالسة الجماع (قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه) «الفض» بالفاء والضاد المعجمة الكسر والفتح. ويجوز فى آخر الفعل المذكور الحركات الثلاث. و«الخاتم» كناية عن الفرج وعذرة البكارة و«حقه» التزويج المشروع أى لا تزل بكارتى الا بالتزويج (فانصرفت عنها) أجلا لا لله سبحانه وتعالى وخوفا منه كما يعلم مما يأتى وقوله (وهى احب الناس إليّ) جملة فى محل الحال مسوقة لبيان تقديم خوف الله على هوى نفسه (وتركت الذهب الذى أعطيتها) معطوف على قوله فانصرفت عنها أوعلى الجملة الحالية، فيكون فيه

(١) أى سواء أنزل غيث أم لم ينزل كما قال المنذرى. ع

اللهم ان كنتُ فعلتُ ذلكَ ابتغاء وجهك فافرُجْ عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروجَ منها. وقال الثالث: اللهم استأجرتُ أجَراء وأعطيتُهم أجرَهم غيرَ رجلٍ واحدٍ ترك الذي له وذهب، فثمَّرتُ أجرَه حتى كثرتْ منه الاموالُ، فجاءني بعدَ حينٍ فقال: يا عبدَ الله أدِّ

---

زيادة في مجاهدة النفس على ترك الهوى بتخلية المال (اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك) أي طلب مرضات ذاتك لا لغرض آخر (فافرج) يجوز في ضبطه الوجهان السابقان في كلام الحافظ (عنا مانحن فيه) أي من الكرب (فانفرجت الصخرة) أي فرجة زائدة على الفرجة الاولي (غير أنهم) مع ذلك (لا يستطيعون الخروج منها) لضيقها عن ذلك (وقال الثالث: اللهم اني استأجرت اجراء) بضم الهمزة وفتح الجيم جمع أجير نحو شرفاء وشريف، وسقط لفظ «إني» في هذا المقام في بعض نسخ البخاري وجاء في رواية في الصحيحين «استأجرت أجراء على فرق(١) من الطعام» (واعطيتهم أجرهم) أي اجرتهم (غير رجل) بالنصب وقوله (واحد) وصف رجل للتأكيد ودفعا لتوهم ان المراد منه الجنس نحو «تمرة خير من جرادة» (ترك الذي له) أي في ذمة المستأجر (وذهب فثمرت أجره) أي كثرته (حتي كثرت) بضم المثلثة (منه) أي من اجره بالتجارة فيه (الاموال) أي انواعها من ابل وبقر وغنم ورقيق (فجاءني) أي ذلك الرجل الاجير (بعد حين) أي زمن (فقال: ياعبد الله أدّ) بحذف الياء ووقع في بعض نسخ البخاري إثباتها، قال الشيخ زكريا في تحفة

---

(١) قال المنذري (الفرق) بفتح الفاء والراء مكيال معروف اه وفي المختار (الفرق) أي بفتح فسكون مكيال معروف بالمدينة وهو ستة عشر رطلا. وقد يحرك. والجمع (فرقان) أي بضم فسكون وهذا الجمع يكون لهما جميعا كبطن وبطنان وحمل وحملان اه. ع

الىَّ أجرِى فقلتُ : كلُّ ما ترى من اجرِكَ من الابلِ والبقرِ والغنمَ والرقيق، فقال : يا عبدالله لا تستهزىء بى فقلتُ لا استهزىء بك ، فأخذَه كله فاستاقَه فلم يتركْ منه شيئا . اللهم ان كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» متفق عليه

---

القارى: والوجه حذفها اه اى ادفع (إلى) بتشديد الياء ( أجرى، فقلت له) مخلصا (كل ماترى ) من انواع المال (من أجرك) وفى نسخة من البخاري «من أجلك» وهو خبر المبتدا (وقوله من الابل) بكسرتين أو بكسر فسكون ومابعده بيان لما قبله (والبقر ) ويقال فيه باقور سمى بذلك لانه يبقر الارض اي يشقها للحرث (والغنم والرقيق، فقال) أى الاجير (ياعبدالله لاتستهزىء بى) فأن أجرى فى أصله لايقارب ذلك وهو بسكون الهمزة (فقلت لا استهزىء بك، فأخذه كله فاستاقه )أى ذلك إلى رحله ومنزله (فلم يترك) أى يدع لى (منه شيئا. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك) أى طلب مرضاتك وحدك لاغيرك (فافرج) بالوجهين السابقين (عنامانحن فيه) أى من الكرب (فانفرجت الصخرة )عن باب الغار (فخرجوا يمشون. متفق عليه) أى على أصل الحديث وإلا فبينهما اختلاف فى بعض الفاظه. قال المنذرى فى الترغيب بعد إيراده بنحوه من حديث بن عمر رواه الشيخان والنسائى ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابى هريرة باختصار ولفظه بنحوه، وفيه أن كلا من الثلاثة قال «فأن كنت تعلم أنما فعلت ذلك رجاء رحمتك وخشية عذابك فافرج عنا» وفيه عند دعاء كل من الاولين من الثلاثة « فزال ثلث الحجر » وفى الثالث « فزال الحجر ، فخرجوا يتماشون » . ثم فى الحديث استحباب الدعاء حال الكرب والتوسل بصالح العمل كما تقدم، وفيه فضيلة بر الوالدين وفضل خدمتهما وايثارهما على من سواهما من الولد والزوجة، وفيه فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات لاسيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها وترك ذلك لله خالصا،

وفيه جواز الاجارة بالطعام ، وفضل حسن العهد وأداء الامانة والسماحة فى المعاملة واثبات كرامات الاولياء وهو مذهب اهل الحق. ولا حجة فيه على جواز بيع الفضولية لان ماذكر فى شرع من قبلنا ، وفى كونه حجة خلاف ، وعلى تقدير الحجية فلعله استأجره بأجرة فى الذمة كما أشرنا اليه ولم يسلمها له بل عرضها عليه فلم يقبلها لرداءتها ، فبقيت على ملك المستأجر لان ما فى الذمة لا يتعين إلا بقبض صحيح ، ثم ان المستأجر تصرف فيه لبقائه على ملكه فصح تصرفه فيه ثم تبرع بما اجتمع منه على الاجير بتراضيهما قال الخطابى : إنما تطوع به صاحبه تقربا به إلى الله تعالى ولذا توسل به للخلاص ، ولم يكن يلزمه فى الحكم أن يعطيه أكثر من القدر الذى استأجره عليه فلذا حمد فعله والله اعلم

# باب التوبة

بالرفع خبر مبتدا محذوف أى هذا باب ، أو مبتدا خبره محذوف أى باب التوبة هذا ، ويجوز نصبه على تقدير خذ باب التوبة. وهى لغة الرجوع يقال تاب وأناب وآب بمعنى رجع ، فالتائب الى الله تعالى هو الراجع من شىء الى شىء . راجع من الاوصاف المذمومة الى الاوصاف المحمودة . راجع عما نهى الله عنه إلى أمره ، وعن معصيته الى طاعته ، وعما يكرهه الى مايرضاه. رجوع من الأضداد الى اسباب الوداد ، ورجوع اليه تعالى بعد المفارقة ، وإلى طاعته بعد المخالفة . فمن رجع عن المخالفات خوفا من عذاب الله فهو تائب ، ومن رجع حياء منه فهو منيب ، ومن رجع تعظيما لجلال الله سبحانه فهو أواب . والتوبة أحسن ماقيل فى معناها شرعا هو الرجوع من البعد عن الله الى القرب اليه سبحانه وتعالى اه . ذكره الايجى . قال القرطبى : أسد العبارات

قال العلماء: التوبةُ واجبةٌ من كل ذنب ، فان كانت المعصيةُ بين العبدِ و بين الله تعالي لا تتعلق بحق آدمى، فلها ثلاثة شروط «احدها» ان يُقْلعَ عن المعصية « والثانى » ان يندَم على فعلها

---

و أجمعها فى تعريفها قول بعض المحققين: هى اجتناب ذنب سبق منك مثله حقيقةً أو تقديرا

( قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب ) ووجوبها مجمع عليه لا فرق بين الصغائر والكبائر الظاهرة والباطنة كالحقد والحسد ( فان كانت المعصية بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى لا تتعلق بحق آدمى ) عطف بيان (١) علي قوله بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى وقوله ( فلها ثلاثة شروط ) جواب ان الشرطية (احدها أن يقلع ) بضم أوله اي يكف و ينقطع ( عن المعصية ) التى كان متلبسا بها اذ تستحيل التوبة مع مباشرة الذنب . وهذا قد يترك اشتراطه ويحمل علي من يستحيل منه وقوع مثل تلك المعصية كمن زنى فجب فهذا استحال منه الاقلاع المكتسب وكذا العزم على ألا يفعله فى المستقبل لان فعله غير ممكن منه .قال الشيخ عزالدين ابن عبد السلام فى أماليه لا يجب على الانسان ترك الشيء الا اذا كان ممكنه فعله اذ لا تكليف بترك المستحيل ( والثانى ) من الشروط ( ان يندم على فعلها ) من حيث انها معصية ، فلو ندم عليه لا من هذه الحيثية بل لاجل تلك الوجوه الآتية فى الكلام على التوبة النصوح لم يعتد بندمه ونازع الغزالى فى منهاج العابدين له فى اشتراط الندم فى مفهوم التوبة . ثم قال وقيل المراد اشتراط ما يؤدى اليه من تذكر الذنب وشؤمه وعذاب الله وعقابه ونحو ذلك لان هذا فى قدرته ومن كسبه وهو يترتب عليه الندم الذى هو

---

١) لعل الاولى ان يكون قوله « لا تتعلق الخ » بدلا أو خبرا ثانيا لا عطف بيان. قال الحافظ السيوطي فى جمع الجوامع «ولا يكون — يعنى عطف البيان — مضمرا وفاقا ولا تابعا لها على الصحيح ولا جملة ولا تابعا لها » اه ع

و«الثالث» ان يعزِم علي ألاّ يعودَ اليها أبداً .فان فُقد أحدُ الثلاثةِ لم تصحّ توبتُهُ، وإن كانت المعصيةُ تتعلقُ بادمي فشروطها أربعةٌ

---

أمر طبيعي لا قدرة له على اكتسابه والله اعلم (والثالث ان يعزم على الا يعودا اليها) اى الى مثلها مطلقا (ابدا) فلا يعود التائب من الرياء الى مثله وهو الرياء والا فالمعصية التي كان تلبس بها انقضت وزالت فلا يمكن العود اليها . هذا وزاد بعضهم اشتراط عدم صحبة من ارتكب معه المعصية بعد التوبة ، وان تكون التوبة لله تعالى خاصة . قال ابن عبد السلام « استدرك » السيف الآمدى على الناس قيدا آخر فى التوبة التامة ، وهو ان يكون الندم لله تعالى ، احترازا مما اذا قتل شخص ولده فأنه يندم على الماضى لاجل كونه ولده « واجيب » بأن هذا ليس استدراكا اذ الاخلاص شرط فى كل عبادة، والناس يعنون بقولهم للتوبة ثلاثة اركان ماعدا الاخلاص اه وادرج ابن حجر الهيتمي هذا القيد فى الشرط الاول وهو الاقلاع فقال:ترك الذنب لله تعالى فلو تركه لخوف او رياء او غير ذلك من الاغراض التي لغير الله لم يعتد بتركه ( فأن فقد أحد هذه الثلاثة ) اي واحد منها ( لم تصح توبته) اي التامة أما الناقصة فتصح مع فقد الاقلاع والعزم على عدم العود كما تقدم تمثيله . قيل : وعلى ذلك يحمل حديث «الندم توبة » وقيل بل الحديث نظير حديث «الحج عرفة» اي ركنها الاعظم والله اعلم ( وان كانت المعصية ) التى يريد التوبة منها ( تتعلق بحق آدمى فشرطها اربعة ) خبر عن قوله شرطها وجاز الاخبار عنه بذلك لكونه مفردا مضافا الى معرفة . وهو على الصحيح حيث لاعهد للعموم الصالح للجمعية من حيث مدلول لفظه. إذ هو حينئذ المعنى الذي استغرقه لفظه الصالح له من غير حصر وإن كان مدلوله فى التركيب كليا على الاصح اى محكوما فيه على كل فرد فرد مطابقة : لانه فى قوة قضايا بعدد افراده ، والصحيح فيها بناء على ظاهر كلام

هذه الثلاثة وان يبرأ من حق صاحبها. فان كانت مالا أو نحوه رده اليه وان كان حد قذف ونحوه مكنه منه او طلب عفوه، وان كانت غيبة استحله منها

---

النحاة — وليست العبرة فى مطابقة المبتدأ للخبر الا باصطلاحهم — أن مدلوله كل أى محكوم فيه على مجموع الافراد من حيث هو مجموع ( هذه الثلاثة ) المذكورة (و) الرابع ( ان يبرأ من حق صاحبها ) وزاد بعضهم شرطا خامسا ، وهو القول ، قال فيقول القاذف مع ابراء المقذوف . ماقلته باطل وانا نادم عليه ولا اعود اليه ، وكذا شهادة الزور ( فان كانت ) اى المعصية المتعلقة بالآدمي ( مالا اونحوه )من اختصاص محترم (رده اليه ) اى الى صاحبه بعينه ان كان موجودا أو بدله عند تلفه من قيمة او مثل ( وان كان ) اى حق الآدمي ( حد قذف ونحوه ) اى نحو القذف كالقتل والقطع قصاصا ( مكنه ) اى صاحب الحق ( منه ) اى من الحد أى استيفائه منه ( أو طلب عفوه ) باسقاط حقه . وظاهر كلامه توقف صحة التوبة على ماذكر من الرد والتمكين أى إن امكنه ذلك والا نوي ذلك اذا قدر أو طلب العفو ، لكن ذهب الامام — وتبعه العز بن عبد السلام واقره المصنف — الى صحة توبته وان لم يسلم نفسه بالنسبة لحق الله تعالى ويبقي عليه حق الادمي وإثم الامتناع ، بل قال فى الشامل وتبعه جمع إنه حيث ندم صحت توبته وان لم يرد المظلمة، وهو ظاهر فيبرأ بالنسبة لحق الله تعالى اذ وجد الاقلاع، والا كرد المغصوب ما دام باقيا وقدر عليه فلا ( وان كان ) اى حق الادمى وفى نسخة «كانت» اى المعصية (غيبة ) بكسر الغين المعجمة وسكون التحتية وسيأتى ما يتعلق بها فى باب من الكتاب . قيل ومثل الغيبة القذف وقد يقال هو داخل فى مفهوم الغيبة واعتبر بعضهم فى التوبة من القذف كما مر أن يقول القاذف : ماقلته باطل وانا نادم عليه ولا اعود اليه . وكذا شاهد الزور (استحله منها ) أى بأن يخبره بما قاله حتي يصح

ويجبُ ان يتوبَ من جميع الذّنوبِ ، فأن تابَ من بعضها صحّتْ توبتُه عند أهلِ الحقّ من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي. وقد تظاهرت دلائلُ الكتاب والسنة واجماع الامة علي وجوب التوبة

قال الله تعالى « وتوبوا الى الله جميعا أيُّهَ المؤمنون لعلكم تفلحون »

---

تحليله لكن محل تعيين الاخبار مالم يترتب عليه ضرر أعظم والا كأن يخشى قتله بذلك مثلا فلا، ومحل تعين الاخبار والاستحلال إن بلغه الاغتياب، والا كفى الاستغفار ( ويجب ) سمعا عندنا معاشر اهل السنة ( ان يتوب من جميع الذنوب ) أى ولو صغائر قال تعالى «توبوا الى الله توبة نصوحا» «وتوبوا الى الله جميعا» (فأن) لم يتب من الجميع بل اصر على بعضها و ( تاب من بعضها صحت توبته عند اهل الحق ) هم اهل السنة ( من ذلك الذنب ) الانسب من ذلك البعض أى الذى تاب منه ( وبقى عليه الباقى ) أى تبعته ووجوب التوبة منه : قالوا للاجماع على أن من أسلم تائبا عن كفره مع إصراره على بعض معاصيه صح إسلامه وتوبته لكون حقيقتها ليس إلا الرجوع والندم والعزم ، وقد وجدت ( وقد تظاهرت ) بالظاء المعجمة من التظاهر وهو التعاون ( دلائل (١) الكتاب والسنة وإجماع الامة ) اضافة دلائل لما بعدها من المتعاطفات اضافة بيانية ( على وجوب التوبة ) متعلق بتظاهرت

(قال الله تعالى) اي حال كونه متعاليا علو مكانة لا علو مكان متقدسا عما لا يليق به، و يصح جعلها مستأنفة والجملة انشائية معنى سيقت لما ذكر كما تقدم بيانهما اول الكتاب ( وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون ) مما وقع منكم من النظر الممنوع وغيره وفى الاية تغليب الذكور علي الاناث ( لعلكم تفلحون ) تنجون من ذلك بقبول

---

١ ) الدلائل جمع دلالة بفتح الدال وكسرها مصدر أريد به اسم الفاعل . ع

وقال تعالى «استغفِروا ربكم ثم توبوا اليه»

وقال تعالى «يا أيها الذين امنوا تُوبوا الى الله توبة نَصوحا»

---

التوبة منه . ولعل فى الاصل للرجاء وفى كلامه تعالى للتحقيق قال السيوطي فى التوشيح : كل وعد فى الكتاب او السنة فواجب الوقوع لوجوب سلامة خبر من ذكر عن الخلف

( وقال تعالى استغفروا ربكم ) من الشرك ، ومثله من غيره والقصر عليه لانه الذنب المأمور بالخروج عنه (انه كان غفارا ) المبالغة باعتبار الكم فلا تحصى عدة المغفور لهم ، وباعتبار الكيف فيغفر الصغائر والكبائر والفواحش « ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله «انه الخ» علة للامر قبله

(وقال تعالى: ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا )اختلفت عبارات السلف فى التوبة النصوح ومرجعها إلى شيء واحد قال عمر بن الخطاب وأبى بن كعب رضى الله عنهما: التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع ، وقال الحسن البصرى هى ان يكون العبد نادما على مامضى مجمعا علي (١) ألا يعود اليه. وقال الكلبي هي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن، وقال ابن المسيب «توبة نصوحا» تنصحون بها انفسكم. جعلها ناصحة(٢) للتائب كضروب بمعنى ضارب والاولون جعلوها بمعني المفعول اى قد نصح فيها التائب ولم يشبها بغش . فهى اما بمعنى منصوح فيها كركوبة وحلوبة أى مركوبة ومحلوبة او بمعنى

---

(١) أجمع الامر وأجمع عليه أى عزم عليه

(٢) فيه انه جعلها بمعنى منصوح بها فهى بمعنى المفعول بسببه ، فجعلها ناصحة مجاز عقلى

وعن أَبي هُريرةَ رضي الله عنه ، قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

---

ناصحة اى خالصة وصادقة(١) قاله بعض المحققين وقال الزرعي في شرح المنازل: النصح في التوبة يتضمن ثلاثة اشياء : احدها تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنبا الا تناولته ، والثاني اجماع العزم (٢) والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار بل يجمع عليها كل ارادته وعزيمته مبادرا بها، والثالث تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في اخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله تعالى وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده لا كمن يتوب لحفظ جاهه او حرفته او منصبه او لحفظ حاله أو ماله أو استدعاء حمد الناس أو الهرب من ذمهم أو نحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله تعالى . فالاول يتعلق بما يتوب منه ، والثالث بما يتوب اليه ، والاوسط يتعلق بذات التائب نفسه . ولا ريب أن التوبة الجامعة لما ذكر تستلزم الغفران وتتضمنه وتمحق جميع الذنوب وهي اكمل مايكون من التوبة انتهي ملخصا

( وعن ابي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

١) التوبة النصوح : إما من نصح الشيء خلص، أو من نصحت له نصيحتي اخلصت وصدقت ومثله نصحت الابل الشرب صدقته ونصح الرجل الري شرب حتى يروى ، أو من نصحت الثوب اذا خطته. فالتوبة النصوح هي الخالصة ، او المخلصة الصادقة اى المخلص صاحبها، او التي تخيط ما مزقه الذنب من ثوب الصلة بين العبد والرب اى يخيط صاحبها بها ذلك اى يمحو اثر الذنب. فنصوح على الاحتمال الاول بمعنى الفاعل وعلى الآخرين بمعنى المفعول. وذكر عن عاصم توبة نصوحا بضم النون اى تنصحون فيها نصوحا فهو مصدر . ع

٢ ) من اجمع الامر ضمه ولم يدعه منتشرا . ع

يقول « والله إني لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه البخاري * وعن الأغرّ بن يسارٍ المُزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يأيها الناس توبوا الى الله

---

يقول : والله )فيه ندب الخلق لتأكيد الامر وتقويته ليبادروا الى الاتيان بذلك ( اني لاستغفر الله ) أي أطلب منه مغفرة تليق بمقامي المبرأ عن كل وصمة ذنب او مخالفة ولو سهوا وقبل النبوة ( وأتوب اليه ) اي ارجع اليه متنقلا من شهود فرق الى شهود جمع . ثم الجملة جواب القسم ( في اليوم ) وهو شرعا مابين طلوع الفجر وغروب الشمس . قال السفاقسي لم يردمافاؤه ياء وعينهواو إلا هذا اللفظ قيل « ويوح » وهو من اسماء الشمس وقيل انه بالموحدة ( أكثر من سبعين مرة ) أىما لم يحده بعدد مخصوص : لماعلمت أن موجب الاستغفار والتوبة اللائقين به لا ينحصر ، ولانهما يتكرران بحسب الشهود والترقي . ثم في هذا تحريض الامة على التوبة والاستغفار فأنه صلى الله عليه وسلم مع كونه معصوما وكونه خير الخلائق يستغفر و يتوب سبعين مرة واستغفاره صلى الله عليه وسلم ليس من الذنب بل من اعتقاده ان نفسه قاصرة في العبودية عما يليق بحضرة ذي الجلال والاكرام ( رواه البخاري ) وفي كتاب الاطراف بعد اخراجه لكن بلفظ « إني لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم مائة مرة » واخرجه البخاري وابو عبدالرحمن يعني النسائي وابو عيسى يعني الترمذي وسيأتي فيه كلام في باب الاستغفار أواخر الكتاب ( وعن الاغر ) بفتح الهمزة والغين المعجمة وتشديد الراء (بن يسار) بفتح التحتية والمهملة ( المزني ) ويقال الجهني وفي الصحابة أيضا الاغر الغفاري وجعلهما بعض الحفاظ انسانا واحدا ، وقال الحافظ نور الدين الداودي : الحق أنهم ثلاثة وانفرد مسلم بالأخراج للاغر المزني وكذا أخرج عنه ابو داود والترمذي ( رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأيها الناس توبوا الي الله ) أي ارجعوا اليه

واستغفروه ، فانى أتوبُ فى اليوم مائةَ مرة» رواه مسلم

وعن أبى حمزة أنس بن مالك الانصارىّ خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضى الله عنه

---

بامتثال ما امركم به واجتناب مانهاكم عنه ، ومما امركم به التوبة فهى واجبة من كل ذنب ولو صغيرة إجماعا كما تقدم ( فأني أتوب ) أى ارجع رجوعا يليق بى ( إليه ) أى الى شهوده أو الى سؤاله أو الحضور والصغار بين يديه ( فى اليوم مائة مرة . رواه مسلم ) فى اواخر صحيحه قال فى السلاح ليس للاغر فى الكتب الستة إلاهذا الحديث

(وعن ابى حمزة )بالحاء المهملة المفتوحة كني بذلك ببقلة فيها حموزة أى حموضة كان يحبها ( أنس ) بفتح اوليه ( بن مالك ) بن النضر ( الانصارى ) الخزرجي البخاري المدنى ثم البصرى ( خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ) حضرا وسفرا منذ قدم المدينة الى ان توفى صلى الله عليه وسلم ( رضى الله عنه ) قال قدم النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وانا ابن عشر سنين ومات وانا ابن عشرين سنة غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثمانى غزوات، وروى الكثير وعدة ما روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى مسند بقى بن مخلد الفا حديث ومائتا حديث وستة وثمانون حديثا اتفق الشيخان منها علي مائة وثمانية وستين حديثا وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بسبعين. روى عن عدة من الصحابة وروى عنه كثير وخرج عنه اصحاب المسانيد، ومن كراماته صلى الله عليه وسلم معه ما اخرجه البخارى ومسلم وغيرهما عنه قال دخل النبى صلى الله عليه عند ام سليم يعنى أمه فأتته بتمر وسمن فقال « أعيدوا سمنكم فى سقائه وتمركم فى وعائه فانى صائم » ثم قام الى ناحية البيت يصلى غير المكتوبة ، فدعا لام سليم واهل بيتها، فقالت : يارسول الله إن لى خويصة . قال : وما هي ؟ قالت خادمك

قال : قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم « للهُ أفرَحُ بتوبة عبده من أحدكم سَقط على بعيره

---

أنس ، ادع الله له . فما ترك خير آخرة ولا دنيا الا دعا لى به : اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له ، قال : فأنى لمن ا كثر الانصار مالا ، وعنه قال: رزقت لصلبى(١) سوى ولد ولدى خمسة وعشرين ومائة ، وإن ارضى لتثمر فى السنة مرتين . وكان ريحان بستانه يشم منه رائحة المسك ، وقد ذكرت زيادة فى مناقبه ومآثره فى شرح الاذكار . توفى على نحو فرسخ ونصف من البصرة فى موضع يعرف بقصر انس وهو آخر من مات بها من الصحابة والصحيح انه توفى سنة ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة ، ولما مات قال مورق العجلى : ذهب اليوم نصف العلم، وذلك أن اهل الاهواء كانوا اذا خالفونا فى الحديث نقول لهم تعالوا الى من سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لله ) بفتح اللام جوابا للقسم المقدر أى والله لله ( أفرح ) اى اشد فرحا والمراد منه هنا — لاستحالة قيام حقيقته، التي هى اهتزاز وطرب يجده الانسان من نفسه عند ظفره بعرض يستكمل به نقصانه أو يسد به خلته أى حاجته أو يدفع به عن نفسه ضررا أو نقصا ، بالبارى (٢) سبحانه — غايته من الرضى لان السرور يقارنه الرضى بالمسرور به، أو هو تشبيه مركب عقلى من غير نظر الى مفردات التركيب بل تؤخذ الزبدة من المجموع فتكون غايته ونهايته وفائدة ابرازه فى صورة التشبيه تقرير المعنى فى ذهن السامع ، أو تمثيلى بأن يتوهم للمشبه الحالات التى للمشبه به وينتزع له منها ما يناسبه ، فالحاصل ان المراد بقوله أفرح أرضى ( بتوبة عبده من ) فرح ( أحدكم ) حال كونه قد (سقط على بعيره)

---

(١) فى بعض النسخ دفنت الخ وعبارة الشبراخيتى : رزقت من صلبى الخ . ع

٢) المجرور متعلق بقيام . وقوله غايته خبر قوله المراد . ع

وقد أضله في ارض فلاة، » متفق عليه ؛وفي رواية لمسلم « للهُ أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوبُ اليه من أحدكم كان على راحلته بأرضٍ فلاةٍ فانفلتت منه وعليها طعامُه وشرابُه فأيس منها ، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هُوَ بها قائمةً عنده

---

قال في النهاية : اى يعثر على موضعه ويقع عليه كما يسقط الطائر على وكره اه .والمراد صادفه من غير قصد ( وقد أضله ) اي ضيعه جملة حالية من الضمير في سقط فهي حال متداخلة ( في ارض فلاة ) من اضافة الموصوف إلى الصفة اى في ارض واسعة ( متفق عليه . وفي رواية لمسلم ) أى انفرد بلفظها عن البخارى ( لله اشد فرحا بتوبة عبده ) اى رجوعه الي طاعته وامتثال امره ( حين يتوب ) أى يرجع منهيا (اليه) اى يخلص في توبته بأن ينوي بها وجه الله لاغير وبه يعلم ان قوله حين يتوب اليه قيد لابد منه لايغني عنه قوله بتوبة عبده (من) فرح ( أحدكم اذا كان ) وفي نسخة «كان» (على راحلته) اىالتي يركبها من ناقة او غيرها ( بأرض فلاة ) قضية كلام فتح الاله انه بالاضافة وضبط بالقلم في اصل صحيح من الرياض بتنوين ارض (فانفلتت ) اى الراحلة (منه و ) الحال انه (عليها طعامه وشرابه ) فله احتياج اليها لوجهين . ركوبها وكون زاده عليها ( فأيس منها ) لمبالغته في لحوقها أو في التفتيش عنها فلم يقدر عليها ( فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ) ليستريح مما حصل له من شدة التعب في مزيد الطلب حال كونه ( قد آيس من راحلته ) اى من حصولها وحينئذ استسلم للموت لحضور اسبابه ( فبينما ) أصله بين ، وما مزيدة لكفها عن الاضافة الى المفرد (هو كذلك) أى آيس أو المشار اليه مفهوم من سياق الكلام أي مستسلم ( اذا هو بها قائمة عنده ) وفيه علي كون المشار اليه الاول الاشارة إلى أن الفرج

فأخذ بخِطامها. ثم قال من شدةِ الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح

---

مع الكرب واليسر مع العسر ، قال تعالى. فأن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا وقال صلى الله عليه وسلم . لن يغلب عسر يسرين . وقال صلى الله عليه وسلم . اشتدى أزمة تنفرجى . وعلى الثانى الاشارة الى الاستسلام والخروج عن الحول والقوة سبب لحصول المطالب وبلوغ المآرب ، وليس المراد ترك مزاولة الاسباب بل ترك الركون اليها والاعتماد عليها والله ولى التوفيق ( فأخذ بخطامها ) فرحا بها فرحا لانهاية له قال فى النهاية . وخطام البعير. أى بكسر المعجمة . أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان فيجعل فى احد طرفيه حلقة ، ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة ثم يقلد البعير به ثم يثنى على خطمه .قال المصنف فى شرح مسلم نقلا عن الغريبين للهروى نقلا عن الازهرى : فأذا ضفر من الادم فهو جرير اه قال فى النهاية : اما الذى يجعل فى الانف دقيقا فهو الزمام . وقال المؤلف نقلا عن صاحب المطالع : الزمام للابل مايشد به رءوسها من حبل وسير(١) ونحوه لتنقاد به اه : ( ثم قال من ) اجل ( شدة الفرح ) لدهشه بل ربما قتل ( اللهم انت عبدى وأنا ربك )وقوله ( اخطأ من شدة الفرح ) استئناف بيانى كأن قائلا يقول ماسبب خطئه فقال اخطأ أى تجاوز الصواب وهو قوله انت ربى وانا عبدك الى ما قاله من الخطأ من اجل شدة الفرح : لما تقرر من انه ربما اشتد حتى منع صاحبه هذا من ادراك البدهيات فضلا عن غيرها ، وجاء فى المعنى احاديث أخر : منها ما اخرجه ابن عساكر فى اماليه عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « لله افرح بتوبة عبده من العقيم الوالد ومن الضال الواجد ومن الظمآن الوارد » ومنها ماأخرجه العباس

---

١ ) السير بالفتح هو الذى يقد من الجلد وجمعه سيور اه مختار . ع

وعن أبي موسى عبد اللهِ بن قيس الاشعَريّ رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى يبْسطُ يدَه بالليل ليتوبَ مسيءُ النهار ويبسطُ يده بالنهارِ ليتوب مسيء الليلِ

---

ابن تركان الهمداني فى كتاب التائبين مرسلا « لله افرح بتوبة التائب من الظمآن الوارد ومن العقيم الوالد ومن الضال الواجد ، فمن تاب توبة نصوحا أنسى الله حافظيه وجوارحه و بقاع الارض كلها خطاياه وذنوبه » اوردهما السيوطي فى الجامع الصغير .

( وعن ابي موسى عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه) سبقت ترجمته فى باب الاخلاص (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ) فى المفاتيح بسط اليد عبارة عن الطلب لان عادة الناس اذا طلب احدهم شيئا من احد بسط كفه او هو عبارة عن الجود والتنزه عن المنع او هو عبارة عن رحمة الله وكثرة تجاوزه عن الذنوب. وقال القرطبي فى المفهم هذا الحديث اجري مجرى المثل الذى يفهم منه قبول التوبة واستدامة اللطف والرحمة وهو تنزل عن مقتضى الغنى القوى القاهر الى مقتضى اللطيف الرؤوف الغافر. وقال الطيبي لعله تمثيل وشبه حال لارادته تعالى التوبة من عبده وانها مما يحبه و يرضاه بحالة من ضاع له شيء نفيس لاغنى له عنه ثم وجده مع غيره فأنه يمد يده اليه طالبا متضرعا ، ثم استعمله فى جانب المستعار منه وهو بسط اليد مبالغة فى تناهى التشبيه وادعاء ان المشبه نوع من المشبه به ، وللمؤلف فيه كلام يأتي بما فيه (ليتوب مسيء النهار و يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ) أى انه يوسع جوده وفضله على العصاة بالليل ليلهموا التوبة بالنهار و بالنهار ليلهموا التوبة بالليل فسبق ذلك الكرم والجود علة للتوبة مادام بابها مفتوحا

حتي تطلُع الشمس من مغربها» رواه مسلم

وعن ابى هريرة رضى اللهُ عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تابَ قبلَ أن تطلعَ الشمسُ من مغربِها تاب الله عليه»

---

قال فى فتح الاله لابن حجر الهيتمى على المشكاة وقول(١) النووى يبسط يده كناية عن قبول التوبة قال المازرى « لان العرب اذا رضى أحدهم الشيء بسط يده لقبوله واذا كرهه قبض يده عنه » لايناسبه قوله فى الحديث « ليتوب مسيء النهار الخ» لان المعنى عليه ينحل الى انه يقبل التوبة بالليل ليتوب مسيء النهار الخ. وظاهر أنه ليس مرادا إذ قبوله التوبة بالليل ليس علة لتوبة مسيء النهار وعكسه لانه لامعنى لقبول التوبة قبل وجودها ، وانما المعنى أنه تعالى يقبلها بالليل ليتوب مسيئه و بالنهار ليتوب مسيئه اه وقبول التوبة مستمر مادام بابها مفتوحا واليه الاشارة بقوله ( حتي تطلع الشمس من مغربها ) فحينئذ يغلق بابها قال تعالى « يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها » الآية وكذا لاعبرة بالتوبة حال الغرغرة والمعاينة كما يأتى آنفا قال تعالى « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » الآية ( رواه مسلم ) ورواه احمد ايضا كما فى الجامع الصغير

(وعن ابى هريرة رضى الله عنه) تقدمت ترجمته فى باب الاخلاص (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب) أى توبة صحيحة جامعة للشروط (قبل ان تطلع) بضم اللام (الشمس من مغربها) وتستمر طالعة الى كبد السماء وحد الاستواء ثم تعود لعادتها ومن يومئذ يغلق باب التوبة وتردد بعض المحققين فى أن هذا عام لمن وجد قبل الطلوع كذلك وبعده اوخاص بالاول لتقصيره بالتأخير دون الثانى (تاب الله عليه) اى قبل توبته قال المصنف لايجب على الله تعالى قبول التوبة اذا

---

١) مبتدا وقوله لايناسبه خبر وقوله لان علة لقوله لايناسبه . ع

رواه مسلم

وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنّ الله عز وجل يقبلُ توبةَ العبد مالم يُغَرْغِر »

---

وجدت بشروطها عقلا عند اهل السنة لـكنه سبحانه وتعالى يقبلها كرما منه وفضلا وقد عرفنا قبولها بالشرع والاجماع ، ثم توبة الـكافر من كفره مقطوع بقبولها وما سواها من انواع التوبة هل قبولها مقطوع به او مظنون؟ فيه خلاف لاهل السنة اختار أمام الحرمين أنه مظنون وهو الاصح اه ( رواه مسلم )

(وعن ابى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما) تقدمت ترجمته فى باب الاخلاص ايضا (عن النبى صلى الله عليه وسلم) فى محل الحال اى حال كونه ناقلا عن النبى صلى الله عليه وسلم ( قال) اي النبي صلى الله عليه وسلم و يحتمل علي بعد عوده لابن عمر بيان للمنقول المرفوع (ان الله عز) جده (وجل) شأنه (يقبل توبة العبد) أى المذنب المـكلف ذكرا أو انثى كرما منه وفضلا كما سبق ( مالم يغرغر ) اى تصل روحه حلقومه من الغرغرة وهي جعل الشراب فى الفم ثم ترديده الى اصل حلقومه فلا يبلعه وهـذا مأخوذ من قوله تعالى « وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتي اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن » وفسر ابن عبـاس حضوره بمعاينة ملك الموت. وقال غيره مراده تيقن الموت لاخصوص رؤية ملـكه لان كثيرا من الناس لايراه ، ورد بأن قوله تعالى «قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم » يدل علي أن كل أحد يراه فمدعي العدم يلزمه الدليل عليه ، قلت: وفى الاستدلال مالايخفى إذ لا يلزم من توفيه لكل رؤية كل منهم له ، قيل السر فى عدم قبولها حين اليأس أن من شرطها عزمه على ألا يعود ، وذلك انما يتحقق مع تمكن

رواه الترمذي، وقال

---

التائب من الذنب وبقاء أوان الاختيار. وقال في فتح الاله بعد كلام قدمه: والحاصل أنه متى فرض الوصول لحالة لا تمكن الحياة بعدها عادة لا تصح منه حينئذ توبة ولا غيرها وهذا مراد الحديث بيغرغر ، ومتي لم يصل لذلك صحت منه التوبة وغيرها اه ( رواه ) الامام الحافظ أبوعيسى محمدبن عيسى بن سورة ( الترمذي ) بضم المثناة وفتحها وكسرها نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له جيحون كذا في لب اللباب للنيسابوري وسكت عن بيان حركة ميمه وبينها السمعاني فقال بكسر الفوقية والميم وبضمهما وبفتح الفوقية وكسر الميم اه. قال ابن سيد الناس المتداول بين اهل تلك المدينة فتح الفوقية وكسر الميم والذي نعرفه قديما كسرهما معا ، والذي يقوله المتقنون من أهل المعرفة بضمهما اه .وهو الامام الحافظ أحد الأئمة الستة قيل كف في آخر عمره وقيل إنه ولد أكمه، قال ابن حبان في الثقات كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر ولد سنة ٢٠٩ مائتين وتسع. قال المستغفري وتوفى في شهر رجب سنة ٢٩٧ سبع وتسعين ومائتين وهذا هو الصحيح وقول الخليلي انه مات بعد الثمانين رده العراقي وغيره بل قال بعضهم إنه باطل .ومن كمال حفظه ماذكره المروزي عنه قال: كنت في طريق مكة وكنت كتبت جزأين من أحاديث شيخ فمر بنا ذلك الشيخ فذهبت اليه وأنا أظن أن الجزأين معي ، وحملت معي جزأين كنت أظنهما أياهما فسألته القراءة فأجابني ، فأخذت الجزأين فأذا هما بياض فتحيرت ، فجعل الشيخ يقرأ على من حفظه ،ثم نظر فرأى البياض في يدي فقال أما تستحي ،فقصصت عليه القصة . وقلت له أحفظه كله، فقال اقرأ فقرأت جميع ماقرأه على الولاء ولم اخطىء في حرف منه، فقال مامر بي مثلك قط. ثم الحديث رواه احمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي كما في الجامع الصغير (وقال) يعني الترمذي

حديث حسن
وعن زِرِّ بن حُبَيْش قال : أتيت صَفوانَ بنَ عسال

---

( حديث حسن ) إن قلت : قد قال المصنف فى خطبة الكتاب والتزم فيه ألا أذكر إلا حديثا صحيحا .قلت: يحتمل ان يراد من الصحيح فى كلامه السابق المقبول كما تقدم فيشمل الحسن. وفى فتاوى الحافظ ابن حجر العسقلانى التي جمعها تلميذه السخاوى «مسألة» هل يطلق الصحيح على الحسن كما صنع النووي حيث قال فى رياض الصالحين والتزم ألا اذكر إلا حديثا صحيحا. مع ذكره فيه الحسن «الجواب» الحسن يصح إطلاق الصحيح عليه بشرط أن يكون حسنه لذاته ، بخلاف الذى حسنه لغيره فأنه لا يكون حسنا حتي ينجبر بمجيئه من طريق أخرى فصاعدا ، فان كان فردا لم ينجبر ولا يصير حسنا ، بخلاف الحسن لذاته فأنه اذا جاء من وجه آخر صح إطلاق الصحة عليه بالنظر إلى المجموع وهو حسن فى حد ذاته، ومن أصحاب الحديث من أطلق الصحيح على كل ما يصلح للاحتجاج به سواء أ كان من الصحيح أم من الحسن وهذا ليس بشائع فى المتأخرين، وقد نبه عليه ابن الصلاح فى علوم الحديث، فلعل النووى سلك ذلك إن كان فى كتابه المذكور ماهو حسن لغيره اه .قيل والاولى حمل قوله السابق: والتزم الخ . علي الغالب

(وعن زر) بكسر الزاى وتشديد الراء (بن حبيش) بضم المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية آخره معجمة ، وزر تابعي ، قال فى الكاشف : أدرك الجاهلية . سمع عمر وعليا .قال زر قال لى أبى بن كعب « يازر ماتريد أن تدع آية إلا سألتنى عنها» عاش مائة وعشرين سنة وتوفى سنة اثنتين وثمانين اه . ( قال : أتيت صفوان بن عسال ) بفتح المهملة وسكون الفاء وعسال بفتح المهملة الاولى وتشديد

رضى الله عنه أسأله عن المسح علي الخفين فقال: ما جاء بك يا زر؟ فقلت: ابتغاء العلم فقال: إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضًى بما يطلب فقلت: إنه قد حكّ في صدري المسح علي الخفين بعد الغائط والبول، وكنتَ

---

الثانية (رضى الله عنه) قال المصنف فى تهذيب الاسماء واللغات: صفوان مرادى كوفى غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة، ومن مناقبه أن عبد الله بن مسعود روى عنه وروى عنه جماعة من التابعين، قال ابن الجوزى فى المستخرج المليح من التلقيح: روى له عن النبى صلى الله عليه وسلم أحدو عشرون حديثا (اسأله عن المسح على الخفين) استئناف بيانى لسبب المجىء إليه أو حال من فاعل اتيت (فقال ما جاء بك) أى ما حملك على المجىء (يازر فقلت ابتغاء العلم) مفعول له (فقال: إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم) حقيقة وان لم نشاهده للقاعدة المشهورة أن كل ما ورد وأمكن حمله على ظاهره حمل عليه ما لم يرد ما يصرفه عنه أي تكف أجنحتها عن الطيران وتنزل لسماع العلم وقيل هو مجاز إما عن التواضع نظير «واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» أو عن المعونة وتيسير السعي فى طلب العلم. والملائكة يحتمل كونهم ملائكة الرحمة ونحوهم من الساعين فى مصالح بنى آدم ويحتمل أنهم كلهم. قيل والاول أنسب بالمعني الحقيقي والثانى بالمعني المجازى (رضى) منها (بما يطلب) أى من العلوم ورضى مفعول له أى لاجل الرضى الحاصل منها أو لارضائها بما يطلب وما يحتمل أن تكون موصولة والعائد محذوف وان تكون مصدرية (فقلت انه قد حك) بفتح المهملة وتشديد الكاف أى أثر وفى نسخة حيك، (فى صدري المسح علي الخفين) فاعل حك وقوله (بعد الغائط) وهو فى الاصل المكان المنخسف من الارض سمي به الخارج للمجاورة حال أو صفة (والبول، وكنت) بفتح التاء للمخاطب حال

امرأ من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فجئتُ اسألك ، هل سمعتَه يذكر فى ذلك شيئا ؟ قال نعم. كان يأمُرنا اذا كنا سَفْراً أو مسافرين الاّ ننزعَ خِفافَنا ثلاثةَ ايام ولياليَهن إلا من جنابة لكن من غائط وبول

---

و(امرأ) بفتح الراء تبعا لحركة آخره عند الكوفيين ومنع البصريون ذلك اى شخصا (من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فجئت أسألك هل سمعته يذكر فى ذلك شيئا؟) والمسئول عنه قدر مدته بدليل قوله فى الجواب (قال: نعم) أى سمعته يذكر فيه ثم بين المسموع بقوله (كان يأمرنا إذا كنا سفرا) بفتح المهملة وسكون الفاء جمع سافر ، وقيل اسم جمع له إذ لم ينطقوا به (أو) شك من الرواى (مسافرين) جمع مسافر شك هل قال سفرا أوقال مسافرين (ألا ننزع) بكسر الزاي مفعول يأمرنا (خفافنا) بكسر المعجمة جمع خف بضمها (ثلاثة أيام ولياليهن) أى فأن نزع الخف، والمراد به ظهور شيء من محل الفرض من القدم، يبطل المدة فأن كان محدثا توضأ وضوءا كاملا وان كان بطهر المسح لزمه غسل قدميه فقط على الصحيح ، و كالنزع فيما ذكر انقضاء المدة وبطلانها بنحو شك فى انقضائها وغيره مما ذكروه فى الفروع (إلا من جنابة) وكذا ما فى معناها مما يوجب الغسل من حيض أونفاس ، فيلزمه نزعه ولو غسل القدم فى باطن الخف نزع الخف ولبسه علي طهارة كاملة ثم يمسح على قدميه، فوجوب النزع لصحة المسح لا لارتفاع الحدث وصحة الصلاة، وفارق الحدث الاكبر الاصغر بأنه لايتكرر تكرره فلايشق النزع فيه، وكذا يلزمه النزع فيما إذا تنجست رجله فى الخف وتعذر تطهيرها فيه وبه تبطل المدة و(لكن) مفادها مخالفة ماقبلها نفيا أواثباتا مخففا أومثقلا ، وحينئذ فالتقدير أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا سفرا أن ننزع خفافنا من الجنابة فى المدة المذكورة ولكن لاننزعها فيها (من غائط أوبول

ونوم ، فقلت هل سمعته يذكرُ فى الهوى شيئا؟ قال نعم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فبينْا نحن عنده إِذ ناداه أعرابى بصوت له جَهْورىّ يا محمدُ ،فأجابه رسول الله صلى

---

أونوم )وزعم بعضهم رد هذه الرواية لان ظاهرها ينافى العطف بلكن ليس فى محله غاية مافيه أنها تحتاج الى تأويل حتي توافق تلك القاعدة (فقلت: هل سمعته ) أى النبي صلى الله عليه وسلم (يذكر فى الهوى ) مقصورا أي الحب يقال هوى كعلم يهوي هوى( شيئا ، قال : نعم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر ،فبينا )قيل الفه مزيدة لكفه عن الاضافة الى المفرد كما تقدم فى بينما بل لكفها عن الاضافة للجملة ،إلا أن رفع مابعد بينما واجب وبعد بينا جائز بل الاحسن جر المصدر بعدها نظرا الى أن الفها ملحقة لاشباع الفتحة ،وشذ من قال الفها للتأنيث وجملة (نحن عنده ) فى محل الجر على الاضافة على القول الاول (إذ) وذكر إذْ هنا مع بينا يرد على الحريرى زعمه أن بينا لاتتلقى بها ولا بأذا بخلاف بينما ،ويرد عليه الحديث الصحيح « بينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح الارض فوضعت فى يدى » ( ناداه أعرابى) بفتح الهمزة اسم جمع وهم سكان البوادي ، والعرب يعم ذلك وسكان القري ،ونسب الى الجمع:قيل لانه أجرى مجرى القبيلة كأنمار ولانه لونسب إلى الواحد أعنى لفظ عرب فقيل عربى اشتبه المعني اذ العربى كل من كان من ولد اسماعيل سواء كان حاضرا أو باديا والاعرابى يختص بالاخيروفى هذا المقام بسط أودعته فى باب المساجد من شرح الاذكار وسيأتى فى باب الحلم ان شاء الله تعالى(بصوت) متعلق بنادى (له جهورى) بفتح الجيم واسكان الهاء ،والياءفيه للنسبة منسوب الى جهور بصوته كمافى النهاية ،والجهورى الشديد العالى (يامحمد )لعله قبل تحريم ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه أولم يكن يعلم ذلك لكونه ببادية بعيدة (فأجابه رسول الله صلى

الله عليه وسلم نحواً من صوته هاؤم، فقلتُ له: ويحَك أغضُض من صوتك فانك عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد نهيتَ عن هذا ، فقال: والله لا أغضضُ . قال الاعرابى المرء يحب القوم ولمّا يلحَقْ بهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

---

الله عليه وسلم نحواً) مفعول مطلق أى إجابة نحوا (من صوته ) أى فى الرفع (هاؤم ) قال أبو حيان فى النهر: قال الكسائى وابن السكيت يقال هاء(١) للرجل وللاثنين رجلين او امرأتين هاؤما وللرجال هاؤم وللمرأة هاء بهمزة مكسورة بغير ياء(٢) وللنساء هاؤن؛ ومعنى هاؤم خذوا وقد ذكرنا فى شرح التسهيل فيها لغات وهاؤم إن كان مدلولها تعالوا فهى متعدية للمفعول بواسطة إلى اه (فقلت له )أي للاعرابى (ويحك) بفتح الواو والمهملة وإسكان المثناة بينهما، كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها وقد تستعمل فى المدح كما فى النهاية (اغضض) أي انقص (من صوتك : فأنك عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد نهيت عن هذا) أى عن رفع الصوت وعلوه بين يديه صلى الله عليه وسلم (فقال) لما قام عنده من الحال المقتضى للجهر بالصوت (والله لا أغضض) أى من صوتى حذف لدلالة الكلام السابق عليه (فقال الاعرابى) سائلا النبى صلى الله عليه وسلم (المرء) لغة فى امريء أى الشخص والمراد منه ما يعم المثنى والجمع لتساوى الكل فى الحكم الآتى أو ما يقابلهما وعلم حكمهما من تساويهما فى مثل هذه الاحكام (يحب القوم) أى الاخيار أحياء وأمواتا ( ولما يلحق بهم ) أى فى الاعمال وطرق الكمال أى لم يعمل بعملهم إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم ، ولما لنفى الماضى المستمر فتدل على نفيه فى الماضى والحال بخلاف لم فأنها تدل على الماضى فقط ( قال النبى صلى الله عليه وسلم)

---

١) بفتح الهمزة أما التى بالكسر للرجل فبمعنى هات .ع

٢) وأما التى بالياء للمرأة فبمعنى هاتي .ع

المرءُ مع من أحبَّ يوم القيامة. فما زال يحدثُنا

جوابا عن ذلك ( المرء مع من احب ) فيه فضل حب الله ورسوله صلي الله عليه وسلم والاخيار احياء وامواتا ، ومن افضل (١) محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتزام الآداب الشرعية ، ثم لايلزم من كونه مع من احب أن نكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه ، وقد جاء فى صحيح مسلم حديث لانس فيه مثل هذه البشرى وفيه قال انس « ما فرحنا بعد الاسلام فرحا اشد مما فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : المرء مع من احب » قال القرطبي : و إنما كان فرحهم بهذا القول منه صلى الله عليه وسلم أشد من فرحهم بسائر اعمال البر لانهم لم يسمعوا أن فى اعمال البر ما يحصل به ذلك المعنى من القرب من النبي صلى الله عليه وسلم والكون معه إلا حب الله ورسوله، فأعظم بأمر يلحق المقصر بالمشمر والمتأخر بالمتقدم ، ولما فهم انس ان هذا اللفظ محمول على عمومه علق به رجاءه وحقق فيه ظنه فقال أنا احب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بعملهم ، والوجه الذى تمسك به أنس يشمل من المسلمين المحبين كل ذى نفس، فلذا تعلقت اطماعنا بذلك وإن كنا مقصرين ، ورجونا رحمة الرحمن وان كنا غير مستأهلين اه ( فما زال يحدثنا ) إن كان من كلام صفوان كما هو الظاهر فالمحدث لهم النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من كلام زر فهو صفوان، ثم رأيت فى الترغيب بعد أن روى قوله «ان من قبل المغرب لبابا » مرفوعا(٢) من طريق الترمذي: وفى رواية للترمذي وصححها ايضا قال يعنى زر بن حبيش فما برح يعنى صفوان يحدثني حتي حدثنى بأن الله عز وجل

---

١) لعله ومن علامة محبة الخ . ش

٢ ) قوله مرفوعا حال من المقول ، وقوله وفى رواية الخ مفعول رأيت . ع

حتى ذكر بابا من المغرب مسيرةُ عَرضه أو يسيرُ الراكب في عَرضِهِ ، أربعين أو سبعين عاما. قال سفيانُ أحدُ الرواة قِبلَ الشام خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتي تطلعَ الشمسُ منه » رواه الترمذى

---

جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لايغلق مالم تطلع الشمس من قبله . وكذلك قوله تعالى «يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها » الاية . وليس فى هذه الروايات ولا الاولى تصريح برفعه كما صرح به البيهقي وأسناده صحيح ايضا اه ( حتي ذكر ) فى حديثه ( بابا من المغرب مسيرة عرضه ) أى بين طرفيه ( أو يسير الراكب فى عرضه ) شك من الراوي ( أربعين أو سبعين عاما ) لكمال سعته ( قال سفيان ) بتثليث السين وسكون الفاء وهو ابن عيينة كما صرح به المزى فى أطرافه (أحد الرواة) لهذا الحديث أى أحد رجال اسناده (قبل الشأم) بالهمز والقصر ويجوز ترك الهمز ، والمدمع فتح الشين ضعيف . أى وهى غربى المدينة وحدها طولا ما بين العريش والفرات وعرضا من جبل طى من نحو القبلة الى نحو ارض الروم وما سامت ذلك من البلاد وقال ابن حبان أوله إبلياس وآخره العريش اه ( خلقه الله تعالى ) أى اوجده ( يوم خلق ) أى اوجد ( السموات والارض مفتوحا ) حال ويحتمل أن يكون مفعولا ثانيا لخلق بتضمينه معنى جعل ( للتوبة ) أى لقبولها سواء كانت من الكفر او من الذنب ( لا يغلق ) ذلك الباب المترتب عليه عدم قبولها ( حتى تطلع الشمس منه ) أى من المغرب ويحتمل من ذلك الباب . قال فى المفاتيح : وانما لم تقبل بعد طلوع الشمس من مغربها لانه من علامات القيامة فحينئذ كانها ظهرت الساعة وظهور الساعة انقضاء التكليف اه . ( رواه الترمذى) بكسر الفوقية والميم وقيل بضمهما وقيل بفتح ثم كسر ميمها مع

وغيره ، وقال حديث حسن صحيح

---

إعجام الذال نسبة لمدينة قديمة على طرف جيحون نهر بلخ كما تقدم قريبا فى ترجمته. ثم انه روى الحديث بجملته فى الدعوات وفى الزهد من قوله جاء اعرابى ، إلى قوله المرء مع من احب ، وفى الطهارة قصة المسح ( وغيره ) فروى النسائي فى التفسير الحديث وليس فيه قصة المسح وفى الطهارة بقصة المسح ، ورواه ابن ماجه فى الطهارة بقصة المسح وفى الفتن ، وروى مسلم وغيره قوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب ، لكن فى قصة أخرى وروى البيهقي حديث باب التوبة لكن باللفظ الذى نقلته عن الترغيب قال المنذرى واسناده صحيح ( وقال ) يعنى الترمذى (حديث حسن صحيح ) قال الحافظ ابن حجر فى شرح نخبته . اذا جمع الصحيح والحسن فى وصف حديث واحد فللتردد الحاصل من المجتهد فى الناقل ، هل اجتمعت فيه شروط الصحة أو قصر عنها وهذا حيث يحصل منه التفرد بتلك الرواية ، قال :ومحصل الجواب أن تردد أئمة الحديث فى ناقليه اقتضى للمجتهد ألا يصفه بأحد الوصفين بل يقول فيه.حسن اي باعتبار وصف ناقله عند قوم صحيح باعتبار وصفه عند قوم آخرين . وغاية مافيه أنه حذف منه حرف التردد لان حقه ان يقول حسن أو صحيح كما حذف منه حرف العطف فى الذى بعده (١) وعلى هذا فما قيل فيه حسن صحيح دون ماقيل فيه صحيح لان الجزم اقوي من التردد ، وهذا حيث حصل التفرد ، وإلا أي وإن لم يحصل التفرد فأطلاق الوصفين معا على الحديث يكون باعتبار اسنادين أحدهما صحيح والاخر حسن وعلى هذا فما قيل فيه حسن صحيح

---

١) أى الآتى فى تمام تقرير هذا المقام وهو الحديث الذي له سندان أحدهما حسن والآخر صحيح فكان المقتضي أن يقال فيه حسن وصحيح بالعطف لكنهم حذفوا حرف العطف اختصارا . ش

وعن أبي سعيدٍ سعد بن مالك بن سنانٍ الُخْدرى رضى الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ،

---

فوق ماقيل فيه صحيح فقط اذا كان فردا لان كثرة الطرق تقوى اه . وقال الحافظ السيوطى : أو يكون المراد أنه حسن لذاته صحيح لغيره او أن المراد حسن باعتبار إسناده ، صحيح أى أنه اصح شيء ورد فى الباب ، فانه يقال أصح ماورد كذا وان كان حسنا أو ضعيفا ، والمراد أرجحه وأقله ضعفا اه .

(وعن ابى سعيد) كنية (سعد بن مالك بن سنان) بكسر السين المهملة وبنونين بينهما الف ( الخدرى ) بضم المعجمة وسكون المهملة نسبة الى خدرة بهذا الضبط ، وهو الابجر بالموحدة فالجيم بطن من الخزرج وقيل خدرة أم الابجر . ثم سعد وابوه صحابيان استشهد أبوه فى وقعة احد وحينئذ فلا يظهر إفراد الضمير فى قول الشيخ (رضى الله عنه) وكان حقه رضى الله عنهما كما هو المطلوب عند ذكر صحابى ابن صحابى . روى لابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم الف ومائة وسبعون حديثا اتفقا منها على ستة واربعين وانفرد البخارى بستة عشر ومسلم باثنين وخمسين . عن حنظلة ابن ابى سفيان الجمحى عن اشياخه قالوا لم يكن احد من احداث الصحابة أفقه من أبى سعيد ، وفى رواية أعلم ، ومناقبه كثيرة . توفى بالمدينة يوم الجمعة سنة اربع وستين وقيل وسبعين ودفن بالبقيع ( أن ) بفتح الهمزة ويجوز كسرها بتقدير القول ( نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال ) مرغبا فى التوبة والانابة الى الله تعالى وموميا إلى صغر الذنب ـ وإن عظم ، فى جنب عفوه سبحانه ( كان فيمن قبلكم ) أى من الامم ( رجل ) اسم كان والظرف قبله حال منه وقيل الظرف صلة لمن الموصولة وقوله ( قتل ) خبر كان ( تسعة وتسعين نفسا ) أي على وجه العدوان فهبت

فسأل عن أعلم أهل الارض فَدُل علي راهب، فأتاه فقال إنه قتل تسعةً وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال لا. فقتله فكمّل به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل علي رجُلٍ عالم، فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال

---

عليه نفحات الوصول، وآن ابان ساعة الانابة والقبول (فسأل عن أعلم اهل الارض) أي في ذلك الوقت (فدل) بالبناء للمجهول (على راهب) أي عابد من عباد بني إسرائيل (فأتاه فقال: إنه) عدل اليه عن حكاية لفظه وهو إني بضمير المتكلم تنبيها على الادب في حكاية مثل ذلك مما يكره النطق به فيؤتى فيه بضمير الغيبة كما قال الحاكي للفظ أبي طالب عند موته. فكان آخر ما كلمهم به أنه على ملة عبد المطلب. نبه عليه المؤلف في ذلك المقام من شرح مسلم (قتل تسعة وتسعين نفسا) عدوانا (فهل له من توبة) من مزيدة للتأكيد (فقال لا ف) لما اوقعه في ميدان القنوط (قتله فكمل به مائة) من القتلى قال القرطبي: وهذا من الراهب دليل على قلة علمه وعدم فطنته حيث لم يصب وجه الفتيا ولا سلك طريق التحرز في نفسه ممن صار له القتل عادة معتادة، فقد صار هذا مثل الاسد الذي لا يبالي بمن يفترسه فكان حقه ألا يشافهه بمنع التوبة مداراة لدفع القتل عن نفسه كما يدارى الاسد الضاري لكنه أعان على نفسه فأنه لما آيسه من التوبة قتله بحكم سبعيته ويأسه من رحمة الله وتوبته عليه (ثم) لما لم يزل لطف الله تعالي مصاحبا لذلك القاتل بقي في نفسه الرغبة في السؤال عن حاله فما زال يحثه على هذا الامر حتي (سأل) ثانيا (عن أعلم اهل الارض) أي في ذلك الزمن (فدل على رجل) أتى به توطئة لقوله (عالم فقال) عطف على مقدر أي فأتاه فقال وحذف لذكره في نظيره (انه قتل مائة نفس فهل له من توبة) أي مقبولة (فقال) ناطقا بالحق والصواب مجيبا

نعم ومن يحول بينه وبين التّوبةِ انطلق الى أرضِ كذا وكذا

عن السؤال منكرا على من ينفيها عنه ( نعم ومن ) استفهام انكار أى أى شيء ( يحول ) بالحاء المهملة ، اى يكون حائلا وفاصلا ( بينه ) اى التائب من الذنب ( و بين التوبة ) وعبر بمن تغليبا اى لا مانع بينك و بينها من شخص ولا غيره ، وأتى بضمير الغائب مراعاة لحسن الادب فى الخطاب ، وهو ألا يضاف مافيه لوم ولو على سبيل الرمز المخاطب. وقبول توبة القاتل عمدا مذهب اهل العلم وإجماعهم ولم يخالف احد منهم إلا ابن عباس، وما نقل عن بعض السلف من خلاف ذلك فمراد قائله الزجر والتورية لااعتقاد بطلان توبته ، وهذا الحديث ظاهر فيما قاله أهل العلم ، وهو وان كان شرعا لمن قبلنا وفى الاحتجاج به خلاف فليس هذا من موضع الخلاف ، إنما موضعه اذا لم يرد شرعنا بموافقته وتقريره فأن ورد كان شرعا لنا بلا خلاف وهذا ورد شرعنا به . قال تعالى « والذين لا يدعون مع الله آلها آخر ولا يقتلون » إلى قوله « إلا من تاب » الآية . وجاءت احاديث كثيرة بمعنى ذلك ، واما قوله تعالى « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها» فالصواب فى معناه ان جزاءه جهنم (١) وقد يجازى بها وقد يجازى بغيرها وقد لايجازى بل يعفى عنه . كذا فى شرح مسلم للمصنف . ثم إن العالم دل السائل على مافيه نفعه بقوله ( انطلق الى ارض كذا وكذا ) اسمها بصرى واسم القرية التي كان بها كفرة رواه الطبرانى . ليفارق دار الفساد واصحابه الذين كانوا يعينونه عليه مادامو كذلك. قال القرطبي وبهذا يعرف فضل العلم على العبادة لان الاول غلبت عليه الرهبانية واغتر بوصف الناس له بالعلم فافتي بغير علم فهلك فى نفسه واهلك غيره والثانى كان مشتغلا بالعلم فوفق للحق فأحياه الله واحيي به ا ه. وقوله كذا

١ أى أنه مستحق لذلك ولا يلزم من الاستحقاق الفعل . ع

فان بها أناساً يعبدون الله تعالي فاعبد الله معهم ولا ترجعْ الي أرضك فانها أرضُ سَوء، فانطلق حتي اذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكةُ الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه الي الله تعالى وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قطّ

وكذا كأن الراوي شك فى اللفظ فكنى عنه بذلك، وهي من الفاظ الكنايات مثل كيت وكيت ومعناه مثل ذا قاله فى النهاية وقوله (فأن بها أناسا) بضم الهمزة (يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم) أتى بالمظهر والمقام للضمير استلذ اذا فذكر المحبوب محبوب (ولا ترجع إلى أرضك) أى التي كنت بها زمن العصيان (فأنها أرض سوء) بفتح المهملة، وفيه تنبيه علي وجه استبدال تلك الارض بأرضه، وفيه الانقطاع عن إخوان السوء ومقاطعتهم ماداموا على حالهم واستبدال صحبة اهل الخير والعلم والصلاح والعبادة والورع ومن يقتدى به وينتفع بصحبته لتتأكد بذلك توبته وتقوى أوبته فان كل قرين يقتدى بقرينه (فانطلق) تائبا من زلته مفارقا لمحلته قاصدا لما أمر بالرحلة اليه واستمر كذلك (حتي اذا نصف الطريق) بتخفيف الصاد المهملة المفتوحة اي بلغ نصفها (اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى) قال القرطبي: هذا نص صريح فى ان الله تعالى اطلع ملائكة الرحمة على مافى قلبه من صحة قصده الي التوبة وحرصه عليها وأن ذلك خفى على ملائكة العذاب حتى أخبر صلى الله عليه وسلم عنها بقوله (وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط) بضم الطاء ظرف لاستغراق الزمن الماضى اذ لو اطلعت علي مافى قلبه من التوبة لما صح لها أن تقول هذا ولا أن تنازع ملائكة الرحمة فى قولها انه جاء تائبا الخ بل كانت تشهد بما فى علمها كما شهد الاولون بما تحققوه ولما كانت شهادة ملائكة الرحمة على اثبات وملائكة العذاب على عدم

فأتاهم مَلَكٌ في صورة آدمىّ فجعلوه بينهم ، أى حكما ، فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التي أرادَ فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه ( وفى رواية ) فى الصحيح «فكان الى القرية الصالحة

---

وشهادة الاثبات مقدمة فلاجرم لما حصل التنازع بين الصنفين وخرج كلاهما عن الشهادة الى الدعاوى بعث الله اليهما ملكا حاكما يفصل بينهما كما قال (فأتاهم ملك فى صورة آدمي )صور بصورته إخفاء عن الملائكة وتنويها ببنى آدم وأن منهم من يصلح لان يفصل بين الملائكة اذا تنازعوا ( فجعلوه بينهم) حجة لمن قال بلزوم حكم المحكم للخصمين المتراضيين به (فقال قيسوا ما بين الارضين) أى التى خرج منها والتى ذهب اليها ( فالى ايتهما كان أدنى فهوله ) أى لذلك الادنى إليه منهما أي الجنة والعذاب (فقاسوا) أي ملائكة الصنفين (فوجدوه) أى التائب (ادنى) أي أقرب (إلى) جهة (الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة ) لكونه أقرب إلى ارض الصلاح. قال القرطبي : وفيه دليل على ان الحاكم إذا تعارضت الاقوال عنده وتعذرت الشهادة وامكنه الاستدلال بالقرائن على ترجيح بعض الدعاوى نفذ الحكم بذلك كما فعله سليمان عليه السلام حيث قال : ائتونى بالسكين اشقه بينكما . وقال المصنف قياس الملائكة ما بين القريتين وحكم الملك الذى جعلوه بينهم بذلك محمول على ان الله تعالى أمرهم عند اشتباه الامر عليهم واختلافهم فيه أن يحكموا رجلا ممن يمر بهم فمر الملك فى صورة رجل فحكم بذلك اه (متفق عليه) رواه البخارى فى ذكر بنى اسراءيل ومسلم فى التوبة ورواه ابن ماجه فى سننه . قال المزى قلت واللفظ المذكور لمسلم (وفى رواية فى الصحيح ) عند مسلم من حديث ابى سعيد أيضا (فكان إلى القرية الصالحة ) إسناد مجازى من اسناد الشىء الى مكانه كنهر جار أى الصالح من فيها،

أقربَ بشبر فُجعِلَ من أهلها ( وفى رواية )فى الصحيح «فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعَدى وإلى هذه ان تقربى، وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له » ( وفى رواية ) فناءَ

---

وفيه ايماء الى أن شرف المكان بشرف المكين ، وما احسن ماقيل :

بسكانها تغلو الديار وترخص. وقول الآخر :

وماحب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

(أقرب بشبر) أى بعد الامر للقرية الصالحة بأن تقرب فلا تخالف الرواية الآتية (فجعل من أهلها ) أي الجنة فاخذه اهلها ففيه مجاز اطلاق اللازم وارادة الملزوم (وفى رواية )اخري( فى الصحيح ) هي عندهما واللفظ للبخارى( فاوحى الله تعالى) اى اشار (الى هذه) اي ارض الفساد (ان تباعدى ) اى تباعدى عن ذلك الانسان بأن ينضام بعضها لبعض(و) اوحى اى اشار (الى هذه ) أي ارض الصلاح ( ان تقربى ) بانبساط اجزائها وامتدادها( وقال ) اي الحكم ( قيسوا ما بينهما، فوجدوه الي هذه) أي ارض الصلاح (اقرب بشبر) بسبب امتدادها وانبساطها وانزواء تلك وانقباضها (فغفر له) فأخذته ملائكة الرحمة ففيه مجاز كما تقدم فى نظيره قال القرطبي : يفهم منه ان الرجل كان أقرب الى الارض التى خرج منها ، فلو تركت الارض على حالها لقبضته ملائكة العذاب لكن غمرته الالطاف الآلهية وسبقت له العناية الازلية فقربت البعيد وألانت الحديد ، ويستفاد منه أن الذنوب وإن عظمت فعفو الله اعظم منها ، وأن من ألهمه الله صدق التوبة فقد سلك به طريق اللطف والقربة اه ( وفى رواية ) أى فى الصحيح أيضا رواها مسلم ( فناء ) بتقديم الالف علي الهمزة وفى نسخة من مسلم نأى (١) بتقديم الهمزة عليها أى

---

(١) عبارة المنذرى : وفى رواية أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها

بصدره نحوها »

وعن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائدَ كعب رضى الله عنه من بنيه حين عمى ، قال . سمعتُ كعبَ بنَ مالك رضى الله عنه يحدّث بحديثه حين تخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك

---

نهض مع ثقل ما أصابه من الموت (بصدره نحوها) وفيه دليل لصحة توبته وصدق رغبته (وعن عبد الله بن كعب بن مالك ) بن كعب الانصاري السلمى أى بفتحتين قال فى أسد الغابة : ذكره أبو احمد العسكرى فيمن لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم اه . ( وكان قائد كعب رضى الله عنه من ) بين ( بنيه ) وهم عبد الله هذا وعبد الرحمن وعبيد الله ( حين ) اى زمن ( عمي ) اى صار اعمى ( قال ) بيان للمروى عن عبد الله ( سمعت كعب بن مالك رضى الله عنه ) شهد العقبة والمشاهد كلها الا بدرا وتبوك وجرح يوم احد احد عشر جرحا فى سبيل الله ، وهو احد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم المجاهدين بالسنتهم وايديهم وهم ثلاثة حسان وكعب وابن رواحة، وكان حسان يقع فى الانساب وابن رواحة يعيرهم بالكفر وكعب يخوفهم وقائع السيف. روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانون حديثا اتفقا على ثلاثة منها وانفرد البخارى بحديث ومسلم بحديثين توفى بالمدينة سنة خمسين رضى الله عنه (يحدث حديثه ) مفعول مطلق أو منصوب بنزع الخافض ( حين تخلف عن ) الخروج مع (النبى) وفى نسخة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ) بفتح الفوقية وضم الموحدة ، يصرف ان اريد به المكان ولا يصرف ان اريد به البقعة وكانت غزوة تبوك فى التاسعة من الهجرة. قال الفنارى فى شرح الموطأ من رواية محمد بن الحسن : قيل سميت بتبوك لانه صلى الله عليه وسلم رأى قوما من اصحابه يبوكون عين تبوك اي يدخلون فيها القدح ويحركونه ليخرج الماء . فقال مازلتم

قال كعب « لم تخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط إلا فى غزوة تبوكَ ، غير أنى قد تخلفت فى غزوة بدر ولم يُعاتِب أحدا تخلف عنه ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش

---

تبو كونها تبوكا ا هـ ( قال كعب ) بيان لحديثه ( لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط ) وعدة الغزوات التى خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبع وعشرون قاتل فى تسعة منها بنفسه، بدر وأحد والمريسيع والخندق وقريظه وخيبر وفتح مكة علي القول بأنها فتحت عنوة، والصحيح عند أئمتنا خلافه ، وحنين والطائف ، وقيل انه قاتل بني النضير وكانت سراياه التي بعث فيها سبعا وار بعين سرية( إلا فى غزوة تبوك ) ثم استثنى من قوله لم اتخلف الخ قوله ( غير انى قد تخلفت ) أي عنه صلي الله عليه وسلم ( فى غزوة بدر ) قرية مشهورة تنسب الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها ، وقيل بدر بن الحارث حافر بئرها ، وقيل بدر اسم البئر التي فيها سميت به لاستدارتها أولصفائها ورؤية البدر فيها ، وحكي الواقدى عن غير واحد من شيوخ بني غفار إنكار هذا كله قال وانما هي مالنا ومنازلنا وما ملكها أحد قط يقال له بدر وانما هو علم عليها كغيرها من البلاد ، والسبب فى ترك استثناء بدر مع تبوك بلفظ واحد كونه تخلف فى تبوك مختارا لذلك مع تقدم الطلب ووقوع العتاب على من تخلف بخلاف بدر فى ذلك كله فلذا غاير بين التخلفين . قاله الحافظ فى الفتح ( ولم يعاتب احد ) من المسلمين هو بفتح الفوقية مبنى للمجهول ، وفى رواية لم يعاتب احدا ( تخلف عنه ) فيها ( انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش) علة لعدم العتاب . والعير الابل التي عليها احمالها . وذلك ان ابا سفيان كان بالشأم

حتي جمع الله تعالى بينهم و بين عدوّهم على غير ميعاد ، ولقد شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحِبُّ انّ لى بها مشهدَ بدر وان كانت بدرٌ أذكرَ فى الناس منها،

---

فى ثلاثين راكبا منهم عمرو بن العاص ، فأقبلوا فى قافلة عظيمة فيها اموال قريش حتي اذا كان قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو ، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم الروحاء اتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم ، فكان سبب الحرب المشار اليها بقوله (حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم ) اى من كفار قريش ( على غير ميعاد ) اى موعد (ولقد شهدت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة العقبة ) اى الليلة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم الانصار فيها على الاسلام وان يؤووه وينصروه وهي العقبة التى فى طرف منى التي تضاف اليها جمرة العقبة وكانت بيعة العقبة مرتين فى السنة الاولى كانوا اثنى عشر ، وفى السنة الثانيه سبعين كلهم من الانصار بمسجد بقرب العقبة المذكورة واذا اطلق ذكر العقبة فالمراد الاخيرة ( حين تواثقنا ) بالمثلثة بعد الالف بدل من ليلة وتواثقنا ( على الاسلام ) اى تبايعنا عليه وتعاهدنا واخذ بعضنا على بعض الميثاق وفى بعض النسخ توافقنا بالفاء بدل المثلثة ( وما احب ان لى بها) اى بدل الليلة أو العقبة ( مشهد بدر ) بالنصب اسم ان اى ما احب انى شهدت بدرا ولم اشهدها ( ١ ) قال ذلك لما ظهر له بحسب نظره ان ليلة العقبة كانت افضل لانها وقعت قبل الهجرة والمسلمون قليل والاسلام ضعيف ( وان كانت بدر أذكر ) بالنصب اى اشهر ذكرا (فى الناس منها) بالفضيلة ، وقد قدموا في عد طباق الصحابة

---

١ أي العقبة . ع

وكان من خبري حين تخلفتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوكَ أني لم اكن قط أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفتُ عنه في تلك الغزوة، والله ماجمعت قبلها راحلتين قط حتي جمعتهما في تلك الغزوة ،ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوةً الا ورّى بغيرها حتي كانت تلك الغزوةُ ، فغزاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ،واستقبل سفرا بعيدا ومفازا

---

من شهد العقبة الثانية على من شهد بدرا (فكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ) بأسكان الزاى ويقال غزاة بفتح المعجمة والزاى وابدال الواو الفا فهما مفردا غزوات ، وعن ثعلب الغزوة المرة والغزاة عمل سنة كاملة . ذكره اول المغازي من الفتح ( تبوك اني ) بفتح الهمزة هي ومدخولها اسم كان ( لم اكن قط اقوي ولا ايسر مني ) فيه تفضيل الشيء على نفسه باعتبار تعدد الزمان كما فضل الكحل حال كونه في عين زيد مثلا على نفسه حال كونه في عين غيره باعتبار تعدد المكان في قولهم مارأيت احدا احسن في عينه الكحل منه في عين زيد ( حين ) أي زمن ( تخلفت عنه في تلك ) الغزوة ( والله ماجمعت قبلها راحلتين قط حتي جمعتهما في تلك الغزوة ) بيان لكونه ايسر وكذا لكونه اقوي إن أريد به القوة العارضية الحاصلة بالاسباب،وان أريد به القوة في البدن فسكت عن ذكر مايبينه( ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى بغيرها أي أوهم زاد ابو داود وكان يقول«الحرب خدعة» ( حتي ) غاية للتورية (كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ) يخاف منه الهلاك( واستقبل سفرا بعيدا ومفازا ) ويقال مفازة اى برية طويلة قليلة الماء وهو بفتح الميم : قيل

واستقبل عددا كثيرا ، فجلى للمسلمين أمرَهم ليتأهبوا أهبةَ غزوهم ، فأخبرهم بوجههم الذى يريد ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ » يريد

---

مأخوذ من فاز الرجل اذا هلك ، وقيل على سبيل التفاؤل بفوزه ونجاته منها كما يقال للديغ سليم (واستقبل عددا كثيرا) وفى بعض نسخ الصحيح عدوا ، وكأن حكمة إعادة العامل ان هذا نوع غير معمول «استقبل» المذكور أولا (فجلا للمسلمين أمرهم) بتخفيف اللام وتشديدها أى كشفه واوضحه وعرفهم ذلك من غير تورية ( ليتأهبوا أهبة غزوهم) بضم الهمزة واسكان الهاء أى ليستعدوا بما يحتاجون اليه فى سفرهم ، ثم هو كذا فى نسخ الرياض بالمعجمة فالزاى وهو كذلك فى صحيح مسلم ، وفى صحيح البخاري «عدوهم» بالمهملتين وتشديد الواو (فاخبرهم بوجهه) أى بقصده ، وهو كذلك بالموحدة أوله فى بعض نسخ مسلم ، وفى غيره «توجههم» بالفوقية بدل الموحدة أى مقصدهم (الذى يريد) وفى تلك «الذى يريدون» والعائد محذوف عليهما ، وسبب تلك الغزوة أنه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الروم تجمعت بالشام مع هرقل أى لحربه فندب صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج لذلك (والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير) جملة حالية من فاعل غزا (١) وعدة من كان معه صلى الله عليه وسلم ثلاثون الفا وعن أبى زرعة سبعون الفا وفى رواية عنه ايضا اربعون الفا ، ووجه الجمع أن من قال كانوا سبعين عد التابع والمتبوع ومن قال ثلاثين أو اربعين عد المتبوعين او اهل القتال ( ولا يجمعهم كتاب حافظ ) حال متداخلة ثم روى فى صحيح البخارى بتنوينهما وفى صحيح مسلم بالاضافة قال ابن شهاب الزهرى (يريد) اى كعب

---

١ أى فى قوله سابقا : فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد
( ١٦ دليل . ل )

بذلك الديوان،قالَ كعبٌ «فقلّ رجل يريد أن يتغيّب إلا ظن أنّ ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله تعالى، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوةَ حين طابت الثمار والظِلاَل ، فأنَا اليها أصعَر ، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه،وطفِقتُ أغدو لكى أتجهّزَ معه فأرجعُ ولم أقض شيئاً وأقول فى نفسي: أنا قادر على ذلك اذا أردت. فلم يزَل ذلك يتمادى بى حتى استمرّ بالناس الجِدُّ،

---

( بذلك ) أي با لكتاب الحافظ (الديوان) بكسر الدال على المشهور وحكى فتحها فارسى معرب وقيل عربى (قال كعب فقل رجل )وفى البخارى فما رجل(يريد أن يتغيب) اى يغيب (الاظن ان سيخفى له ) وقع فى جميع نسخ مسلم بأسقاط الا. قال المصنف فى شرحه : والصواب اثباتها . قال القرطبى هى لايجاب ما تضمنه قل من معنى النفى لان معنى قل رجل مارجل ،فكأنه قال مارجل يريد أن يتغيب إلا ظن ا ه . (مالم ينزل فيه وحى من الله عز وجل) منبه علي تغيبه(وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار ) أى اينعت ونضجت وآن وقت أكلها (و) طابت (الظلال) بكسر الظاء المعجمة جمع ظل (وأنا اليها أصعر ) بالمهملتين أى اميل والصعر الميل ( فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم و ) تجهز (المسلمون معه وطفقت )من أفعال الشروع جملت يقال طفق بكسر الفاء وفتحها وبأبدال الفاء بموحدة ( أغدو لكى آتجهز معه فأرجع ولم أقض ) شيئا من أمرى (وأقول فى نفسى اناقادر على ذلك) أى علي التجهيز(إذا أردت) اى لسعة الوقت (فلم يزل ذلك) أى التسويف فى الامر(يتمادي بى حتى استمر بالناس الجد) بكسر

فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا ، ثم غدوتُ فرجعتُ ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتي أسرعوا وتفارَط الغزو فهممْتُ أن ارتحل فأدركهم فياليتني فعلت ثم لم يُقدر ذلك لي فكنتُ اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزُنني أني لا أرى لي أسوةً

---

الجيم أي الاجتهاد في أمر السفر وشأنه (فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا و) أصبح (المسلمون معه ) أي مصاحبين له في السفر ( ولم اقض من جهازي ) بفتح الجيم وكسرها أي أهبة سفري (شيئا ثم غدوت ) أي سرت أول النهار (فرجعت) من غدوي (ولم اقض شيئا) أي من جهازي ( فلم يزل ذلك ) أي الغدو لقضاء الجهاز وعدم قضائه (يتمادى بي حتي اسرعوا) بالمهملات وصحفه الكشميهني فرواه في صحيح البخاري «شرعوا» بحذف الهمزة وإعجام الشين (وتفارط )بفوقية ففاء وراء وطاء مهملتين (الغزو) باعجام الغين، اى تقدم الغزاة ، والفارط والفرط المتقدم وجمعه افراط (فهممت ان ارتحل فادركهم فيا ) قوم (ليتني فعلت ) وخلصت من ورطة التخلف ، وفيه الندم على مافات من عمل البر، والنهى عنه على مافات محمول على مافات من الاعراض الفانية (ثم لم يقدر ذلك) اى الارتحال (لي )ومالم يقدر لا يكون (فكنت اذ اخرجت في الناس) اى المتخلفين من مؤمن معذور او منافق مغرور (بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني )بفتح التحتية وضم الزاي من حزن، ويجوز ضم التحتية وكسر الزاى من احزن (ان) وفي نسخة انى (لااري لي اسوة) فاعل يحزن . والظرف في محل الحال من أسوة وهي بضم الهمزة وقد تكسر ،

إلا رجلا مغموصاً عليه فى النفاق، أو رجلا ممن عذَر الله تعالى من الضعفاء ولم يَذكرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوكَ ، فقال وهو جالسٌ فى القوم بتبوك : ما فَعل كعبُ بن مالك ؟ فقال رجل مِن بنى سَلِمة: يارسولَ الله حبَسه بُرْداه والنظرُ فى عِطفَيه

---

القدوة ( إلا رجلا مغموصا ) باعجام الغين وإهمال الصاد أى مطعونا ( عليه ) فى دينه محتقرا متهما ( فى النفاق ) أى اظهار الاسلام واخفاء الكفر. ولا يخفى ما اشتملت عليه هذه الجملة من الاستعارة المكنية وما يتبعها من الاستعارة التخييلية ( أو رجلا ممن عذر الله ) أى عذره الله (من الضعفاء ) بيان لمن ( ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ) هكذا فى نسخ الرياض ممنوع الصرف على ارادة البقعة قال المصنف : وهو فى اكثر نسخ الصحيحين تبوكا بالصرف وكانه صرفه لارادة المكان دون البقعة ( فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك . فقال رجل من بنى سلمة ) بكسر اللام بطن من الانصار واسم ذلك الرجل عبد الله بن انيس (١) كما قاله الواقدى فى المغازى ( يارسول الله حبسه برداه ) بضم الباء ، يعنى الرداء والازار او الرداء والقميص ، وسماهما بردين لان الازار والقميص قد يكونان من برد ، والبرود ثياب من اليمن فيها خطوط ، ويحتمل ان احدهما كان بردا وتسميتهما بردين على طريقة العمرين والقمرين ( والنظر فى عطفيه ) بكسر المهملة الاولى اى جانبيه كناية عن العجب. قال القرطبى : وكأن هذا القائل كان فى نفسه حقد على كعب ولعله كان منافقا فنسب كعبا إلى الزهو والكبر وكانت

---

(١) قال فى الفتح وهو غير الجهنى الصحابى المشهور . ع

فقال له معاذُ بنُ جبل رضى الله عنه : بئسما قلتَ . واللهِ يا رسولَ الله ماعلمنا عليه إلاخيرا ، فسكتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم،فبينا هو على ذلك رأى رجلا مُبيِضًا يزول به السراب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنْ أبا خيثمة ، فاذا هو أبو خيثمة الانصارىُّ ، وهو الذى

نسبة باطلة بدليل رد العدل الفاصل معاذ بن جبل عليه كما قال :(فقال له معاذ بن جبل رضى الله عنه بئسما ) اى بئس هو قولا (قلت ، والله يارسول الله ماعلمنا عليه إلا خيرا ) ففيه جواز ذم المتكلم بالعيب والتبيح فى حق المسلم ونصرة المسلم فى غيبته والرد عن عرضه اه وما زعمه من احتمال نفاق القائل فيه نظر : لان عبد الله ابن انيس لم يتهم بذلك ، والاولى حمله على انه صدر منه ذلك من غير فكروروية وقصد الى معايبه القبيحة الردية ، والله اعلم بحقيقة الحال ( فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ) اى عن السؤال عن حال كعب زاد مسلم على البخارى ( فبينا هو على ذلك راى رجلا مبيضا ) بكسر التحتية اسم فاعل من البياض أى لابس البياض يقال هم المبيضة والمسودة بالكسر اى لابسوا البياض والسواد ( يزول ) اي يتحرك وينهض ( به السراب ) هو مايظهر للانسان فى الهواجر فى البرارى كأنه ماء ( فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن ابا خيثمة ) لفظه لفظ الامر ومعناه الدعاء كما يقال اسلم اى سلمك الله قاله السهيلى . وقال المصنف فى شرح مسلم: قيل معناه انت ابو خيثمة ، قال ثعلب : العرب تقول كن زيدا اى انت زيد ، قال القاضى عياض والاشبه عندي ان كن هنا للتحقيق والوجود اى : لتوجد يا هذا الشخص ابا خيثمة حقيقة ، وهذا الذي قاله القاضى هو الصواب وهو معنى وقال صاحب التحرير: تقديره اللهم اجعله ابا خيثمة اه (فأذا هو ابو خيثمة لانصاري) إذا فجائية والجملة بعدها فى محل جر بالاضافة ( و ) ابو خيثمة ( هو الذى

تصدق بصاع التمر حين لَمزه المنافقون» قال كعب «فلما بلغنى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوكَ حضرنى بثي، فطفِقتُ اتذكر الكذبَ وأقولُ بم اخرجُ من سَخَطه غداً، وأستعينُ على ذلك

---

تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون) واللمز الطعن . انتهت زيادة مسلم. واسم ابى خيثمة عبد الله بن خيثمة وقيل مالك بن قيس ولهم ابو خيثمة صحابى آخر اسمه عبد الرحمن بن ابى سبرة الجعفى (قال كعب فلما بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم) بفتح الهمزة هى ومعمولاها فاعل بلغ (قد توجه قافلا) اى راجعا (من تبوك) بالصرف وعدمه على ماتقدم (حضرنى بثى) جواب للما وعند البخاري « حضرنى همى » والبث اشد الحزن، وبه يعلم ان عطف الحزن عليه فى قوله تعالى « إنما اشكو بثي وحزنى الى الله » من عطف العام على الخاص لا المرادف خلافا لما فى شرح « بانت سعاد » لابن هشام (فطفقت) اى اخذت من باب افعال المقاربة تقدمت لغاتها (اتذكر الكذب) اى ما يقبله السامع من الآتى به والجملة خبر طفق (وأقول) عطف على خبر طفق (بما) كذا هو بأثبات الالف فى الاصول المصححة ومقتضى قاعدة وجوب حذف الف ما الاستفهامية إذا جرت نحو عم يتساءلون ان يكون بحذفها واله لجاء على الاستعمال القليل [1] أى اقول بأى شىء من الاعذار مطابقة للواقع ام لا كما يدل عليه السياق (اخرج من سخطه) بفتحتين اوبضم فسكون اى من كراهيته لتخلفي وعدم رضاه به (غدا واستعين) عطف على اتذكر (على ذلك)

---

١ فى التجريد للزبيدى «بماذا أخرج الخ» وعليها لا إشكال ثم ان اثبات الف ما المجرورة بالحرف حكاه الاخفش لغة .والمجرورة بالاسم جوزه الشاطبي ونقله عن سيبويه . ع

بكل ذى رأى من اهلى ، فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلّ قادما زاح عنى الباطلُ حتى عرفتُ أنى لم أنجُ منه بشىء ابدا ، فأجمعت صدقَه ، وأصبَح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قادما ، وكان اذا قدِم

---

اى المخرج لي من سخطه وعدم رضاه ( بكل ذى ) اى صاحب (رأى من أهلى ) ثم لا يشكل ماذكره من تذكره الكذب والاستعانة عليه بما تقرر من عدالة الصحابة لانه رأى جواز فعل ذلك لما فيه من ارتكاب أخف الضررين دفعا لاشدهما وهو سخطه صلى الله عليه وسلم ، على ان الله سبحانه وتعالى قد حفظه من فعل ذلك وسلك به عنه بصدقه أحسن المسالك (فلما قيل) أى تحدث وليس المراد منه تضعيف المخبر عنه (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ) بكسر الهمزة محكي بالقول وهو نائب الفاعل لان الاسناد لفظي ، أى قيل هذا اللفظ (قد أظل) بالمعجمة المشالة ، أى أقبل ودنا كأنه القى عليه ظله (قادما ) حال من فاعل أظل (زاح عنى الباطل ) أي زال وذهب ، ويقال أزاح أيضا والمصدر زوحا قاله الاصمعى وزيحا كما فى المصباح وزيحانا قاله الكسائى ، والمراد بالباطل ما كان عزم عليه من التنصل من سخطه بالاخبار بغير مطابق للواقع (حتي) استئنافية أو عاطفة (عرفت أنى لم أنج ) بفتح الهمزة وسكون النون وضم الجيم (منه) أى من سخطه نجاة نافعة (بشىء) أى من الكذب وفى نسخة «بشىء فيه كذب» (أبدا) أى لا أنجو به نجاة ابدية وإن نجوت به فى الحال لكن يحصل خلافه عند كشف الله لنبيه عن حقيقة الامر كما جرى للمنافقين ، والابد الزمن المستقبل (فأجمعت صدقه) اى عزمت عليه يقال اجمع امره وعلى امره وعزم عليه بمعنى (واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان إذا قدم) بكسر الدال مضارعه

من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعاً وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى، حتي جئت

---

يقدم بفتحها (من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين) تحية المسجد، إنما كان يفعل ذلك ليبدا بتعظيم بيت الله قبل بيته وليقوم بشكر نعمة الله عليه فى سلامته وليسن ذلك فى شرعه لامته . كذا فى المفهم .ثم جملة وكان تحتمل العطف على جملة اصبح والحالية من فاعل اصبح، (ثم جلس للناس) اى ليسلموا عليه ويهنئوه بالسلامة (فلما فعل ذلك) اى المذكور من صلاة التحية والجلوس للناس متكفا كما يومىء اليه علو مقامه فلذا دارت افعاله بين الوجوب والندب ، والاعتكاف يحصل بما زاد على الطمأنينة ولا يتوقف على الصوم (جاءه المخلفون) اسم مفعول اى عن الخروج معه الى تبوك قال أبو حيان فى النهر : لفظ المخلفون يقتضى الذم والتحقير وهى امكن من لفظ المتخلفين اذهم مفعول بهم ذلك ا ه. فطفقوا (يعتذرون اليه) من تخلفهم عنه (ويحلفون له) على ما يعتذرون به (وكانوا بضعا وثمانين رجلا) والبضع والبضعة بكسر الباء الموحدة وسكون المعجمة مابين الثلاث الي التسع من العدد ، وفى هذا الرد على منع استعماله فيما فوق العشرين. ثم منهم من اعتذر بالمرض ومنهم من اعتذر بغيره مما هو كاذب فيه (فقبل منهم علانيتهم) بتخفيف التحتية اسم مصدر من علن الامر يعلن علونا كدخل اومن علن يعلن علنا كطرب اى مااظهروه إجراءا للاحكام على ظاهر الامر (وبايعهم) بالموحدة (واستغفر لهم) اى سأل الله غفر ذنب المتخلف عنه (ووكل) بتخفيف الكاف (سرائرهم) جمع سريرة اى مااخفوه من النفاق وقصد الاخبار بخلاف الواقع (إلى) علم (الله تعالى) وفى الحديث «إنما احكم بالظواهر والله يتولى السرائر» (حتي جئت) حتي حرف ابتداء لدخولها على الماضي وليست حرف جر بعدها ان

فلما سلّمتُ تبسم تبسُّم المغضَبِ ثم قال: تعال. فجئتُ أمشي حتى جلستُ بين يديه . فقال لى: ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعْتَ ظهرَكَ؟» قال «قلت يا رسول الله إنى والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ انى سأخرج من سخطه بعذر

---

مضمرة خلافا لابن مالك فقد رده عليه ابن هشام بأنه لا يعرف له فيه سلفا. ولا عاطفة لانها لا تعطف الجمل خلافا لابن السيد فى زعمه إجازة ذلك . قال فى المغنى : وذلك لان شرط معطوفها ان يكون جزءاً مما قبلها او كجزئه ولا يتأتى ذلك الا فى المفردات اه. وحينئذ فالجملة مستأنفة (فلما) الفاء فصيحة أى جئت فسلمت فلما (سلمت عليه تبسم تبسم المغضب) بفتح المهملة من الاول فعل ماض جواب لما وضمها من الثانى مصدر مفعول مطلق ، والمغضب اسم مفعول أى الغضبان وفى التعبير به دونه ايماء الى أن الغضب منه صلى الله عليه وسلم إنما يكون عارضيا بسبب امر يقتضيه وإلا فخلقه الكريم الرضى والعفو والصفح والتجاوز عما لا معصية فيه من الامور قال انس «خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لى لشىء فعلته لم فعلته ولا لشىء تركته لم تركته » ( ثم قال : تعال) بفتح اللام (فجئت) أي عقب الامر من غير تراخ ففيه ما كان عليه الصحابة من البدار لاداء اوامره صلى الله عليه وسلم (أمشى) جملة حالية ( حتى ) غاية لماقبله ( جلست بين يديه فقال لى ماذا ) أى ما الذى ( خلفك ) أى ما كان سبب تخلفك عن الخروج معى لتبوك . وإسناد التخليف اليه مجاز عقلى ( الم تكن قد ابتعت ) أى اشتريت ( ظهرك ) الظهر هى الابل التي تركب وجمعه ظهران بالضم ( قلت : يارسول الله إنى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت انى سأخرج من سخطه ب ) ذكر ( عذر ) ابديه موريا او

لقد أُعطِيتُ جَدَلا ولكنني والله لقد عَلمت لئن حدثتُك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عنى ايُوشِكَنَّ اللهُ يُسخِطكَ عليَّ، وان حدثتك حديث صدق تجدُ عليَّ فيه إنّى لأرجو فيه عقبى الله عز وجلّ

---

موجها ( لقد اعطيت ) بالبناء للمجهول ( جـدلا ) بفتح اوليه الجيم فالمهملة، أى فصاحة وقوة فى الـكلام وبراعة بحيث اخرج عن عهدة ماينسب إلى إذا أردت ثم أكد ماقبله بقوله (والـكنى والله لقد عـلمت أنى لئن حـدثتك اليوم حديث كذب ) بفتح فكسر ( ترضى به عنى ) لفصاحته وبراعته الموهمة أنه كذلك فى الواقع (ايوشكن الله أن يسخطك على) يوشك بضم التحتية وكسر المعجمة مضارع اوشك وهو اكثر استعمالا منه حتي انكر الاصمعى مجيئه ماضيا وإن كان مردودا بمجيئه كذلك فى كلامهم ، وهو من افعال المقاربة ، ثم اللام فى لقـد علمت لام جواب القسم وفى لئن مؤذنة بقسم مقـدر اتي به تأكيدا للمقام، وقوله ليوشكن جوابه واستغنى به عن جواب الشرط ، وجملة القسم وجوابه علق عنها فعل العـلم والقسم الاول وجوابه ساد مسد خبر لكن علة له، والتقدير ولكنى مع الحال المذكورة لاأفعل لعلمى بأن الله يجلى لك الاحوال ويظهر لك الصادق والـكاذب من المقال، ففيه التنبيه علي اجتناب المعاصى بأنها وإن كانت قد تحـلو ساعة مباشرتها بتزيين الشيطان واغوائه إلا انها مرة المجنى منقصة فى المنى لمن استنارت بصيرته وجليت سريرته ( وإن حدثتك حديث صدق تجد ) بكسر الجيم وتخفيف المهملة أى تغضب ( على فيه ) اى لانى ملوم بسببه واقع فى المخالفة به ، وهذه الجملة الشرطية معطوفة على الاولى الواقعة بعد اللام المؤذنة بالقسم فقوله ( إنى لارجو فيه ) أى الصدق ( عقبى الله عز وجل ) جواب القسم ، والعقبى بضم العين المهملة وسكون القاف اى العاقبة الحسنة أى ارجو من الله تعالى أن يعقبنى خيرا بتوبته

واللهِ ما كان لى من عذر واللهِ ما كنت قط أقوى ولا ايسر منى حين تخلّفتُ عنك» قال« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا هذا فقد صَدق . فقم حتي يقضيَ اللهُ فيك.وثارَ رجالٌ من بنى سَلِمةَ فاتبعونى فقالوا لى:واللهِ ماعلِمناك اذنبتَ ذنباً قبلَ هذا،لقد عجَزتَ فى ألاّ تكون اعتذرتَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذَر اليه المخلّفون ،

---

على وإرضاء نبيه صلى الله عليه وسلم عني ، وقد حقق الله له رجاءه ( والله ما كان لى من ) مزيدة لاستغراق النفى ( عذر ) أى حقيقى فى التخلف فاعتذر به (والله ما كنت قط ) بفتح القاف وتشديد المهملة المضمومة على الافصح ( اقوى ) أى فى البدن ( ولا أيسر ) اى فى المال ( منى ) هو المفضل عليه وتفضيل الشيء على نفسه باختلاف الزمان ( حين ) أى وقت ( تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ) بفتح الهمزة وتشديد الميم حرف فيه معني الشرط والتفصيل (هذا فقد صدق فقم ) الفاء فيه فصيحة أى حينما صدقت فقم (حتي يقضي الله)أى يبدى فى عالم الشهادة ماسبق به قضاؤه الازلى ( فيك ) أى فى شأنك أى من المؤاخذة بجريرة ذنب التخلف المحرم من غير عذر أو العفو عنه أو التوبة عليه والرضى عنه لما تجرعته من مرارة الصدق الشاق عليك لما ترتب عليه فقمت ( وثار )بالمثلثة أى وثب ( رجال من بني سلمة )بفتح المهملة وكسر اللام بطن من الانصار(فاتبعونى فقالوا والله ماعلمناك أذنبت ذنبا) الجملة فى محل المفعول الثانى لعلم ( قبل هذا ) التخلف ( لقد عجزت ) بفتح الجيم على الافصح (فى ) تعليلية نحو « لمسكم فيما أفضتم » ( الا تكون اعتذرت ) أى بسبب عدم اعتذارك( إلى رسول الله صلى عليه وسلم بما ) أى بمثل الذى (اعتذر به اليه المخلفون)فان كان ذنبا الكونه كذبا ان لم تورد

فقد كان كافيكَ ذنبكَ استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك » قال «فوالله مازالوا يؤنبونني حتى أردتُ أن ارجعَ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذّبَ نفسي، ثم قلتُ لهم هل لقي هذا معي من أحدٍ قالوا نعم. لقيه معك رجلان قالا مثلَ ماقلت وقيل لهما مثل ما قيل لك» قال « قلتُ : مَن هما ؟ قالوا: مُرارة بن ربيعةَ العامريّ

---

(فقد كان كافيك) بالنصب خبر كان و ( ذنبك) مفعوله الثاني أو منصوب على نزع الخافض ( استغفار رسول الله صلي الله عليه وسلم لك ) اسم كان واعربه الحافظ فاعل الوصف وعليه تكون كان تامة والوصف فاعلها والاستغفار فاعله ( قال) كعب (فوالله مازالوا يؤنبونني )بضم التحتية وفتح الهمزة ثم نون مشددة مكسورة ثم موحدة ، أي يلومونني أشد اللوم( حتي اردت ان أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأ كذب نفسى) أي أقول إنها كاذبة فى قولى السابق ما كان لى من عذر (ثم قلت لهم هل لقى هذا )أى الصدق فى المقال وذكر الواقع الذى لمتمونى به ( معى من) مزيدة ( احد ) فيهون على الامر وأجدلى مساويا فى ذلك ( قالوا نعم لقيه رجلان قالامثل ماقلت ) اي من الاخبار بانتفاء العذر المانع من الخروج (وقيل لهما مثل ما قيل لك)أى من انتظار ظهور ماسبق به القضاء فى شأنهما (قال) كعب (قلت من هما قالوا) هما (مرارة)بضم الميم وتكرار الراء (بن الربيع العامرى) هذا لفظ مسلم قال المصنف فى شرحه هكذا هوفى جميع نسخه «العامرى» وأنكره العلماء وقالوا هو غلط إنما صوابه «العمرى» بفتح المهملة واسكان الميم من بني عمرو بن عوف وكذاذكره البخارى وكذا نسبه ابن إسحاق وابن عبدالبر وغيرهما من الائمة، وقال القاضي عياض هو الصواب ووقع عند مسلم أيضا فى النسخ «ربيعة» ووقع فى البخارى

وهلالُ بن أميةَ الواقِفِي» قال «فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدَا بدرا فيهما أسوة» قال «فضيتُ حين ذكروُهما لي، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة

---

«ابن الربيع» قال ابن عبد البر يقال بالوجهين (وهلال) بوزن بلال (بن أمية) بن عامر بن قيس بن عبد الاعلم بن عامر بن كعب بن واقف بن امرىء القيس بن مالك بن الاوس (الواقفي) بقاف ففاء منسوبا الى بني واقف المذكور فى النسب واسمه مالك، بطن من الانصار (قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا) أى غزوة بدرا الكبرى واهلها لهم الشرف الاعلى، ثم ماذكره من شهودهما بدرا كذا فى الصحيحين. قال ابن الجوزى فى جامع المسانيد: إنه من أوهام الزهرى فلم يذكرهما أحد فى البدريين، وقد سئل الشرف الدمياطي عن كلام ابن الجوزي هذا فأقره عليه وأيده، نقله عنه ابن السبكى فى ترجمته من الطبقات الكبرى وتعقبه الحافظ فى الفتح بأن الظاهر من صنيع البخارى أن «قد شهدا بدرا» من كلام كعب وممن جزم بانهما شهداها الأثرم وتعقبه ابن الجوزى ونسبه الى الغلط فلم يصب واستدل بعضهم لكونهما لم يشهداها بما لا دليل فيه من هجرانه لهما وترك مثل ذلك فى حق حاطب وقد فعل مافعل، فقال فى حقه «انه شهد بدرا ومايدريك لعل الله اطلع على اهل بدر» الحديث فلو شهداها الصفح عنهما كحاطب وليس مايومىء اليه كلامه من عدم مؤاخذة البدرى بمايعمل كذلك، وإنما صفح عن حاطب لتبين عذره فى مكاتبته بخلاف كعب وصاحبيه إذ لاعذر لهما فى التخلف انتهى ملخصا (فقلت لى فيهما أسوة) بضم الهمزة وكسرها أى قدوة وفى العبارة تجريد اذ هما الاسوة (قال) كعب (فضيت) أى مصمما علي ماوقع منى من الاخبار بالصدق (حين ذكروهما لى) بمثل ذلك (ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة) نهيه وجرب هوان من ظهرت

من بين مَن تخلّف عنه » قال « فاجتنبَنَا الناسُ ، أوقال تغيروا لنا، حتي تنكرَت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التي اعرِفُ فلبِثْنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان،

---

منه المعصية فلم يسلم عليه إلى ان يقلع وتظهر توبته. كذا فى المفهم. وأى بالضم والثلاثة مرفوع على الصفة لاي تبعا للفظها ومحلها نصب على الاختصاص حكى سيبويه عن العرب « اللهم اغفر لنا أيتها العصابة » وهذا مثله ( من بين )أى دون ( من ) اى سائر الذى (تخلف عنه )وذلك لرفع شأن هؤلاء الكرام وإعراضه عن باقى المتخلفين لانهم اعتذروا ،ومنهم المعذور حقيقة،ومنهم المنافقون اعتذروا ظاهرا فقبل منهم ذلك لان الاحكام الشرعية مبناها عليه ، وقد فضح الله سرائرهم وأظهر للمؤمنين ضمائرهم كما يأتى آخر الحديث (قال فاجتنبنا )بفتح الموحدة (الناس) أي صاروا لنا مجانبين (أو) شك من الراوي(قال فتغيروا لنا )عما كنا نعهده من الانس والوداد منهم (حتي تنكرت ) غاية لما قبلها وتنكرت تغيرت( لى فى نفسى الارض) فاعل تنكر والظرفان متعلقان به أى تغيرت لى لا لغيرى فى نفسى،اى عندها لا فى نفس الامر وحاصله ان تكدر الاحوال يوهم النفس تغير الدار ويخيل اليها مالم يقع بحال(فماهي) أى الارض الآن (بالارض التي أعرف)والحاصل انه لعظم مااشتد عليه الامر توهم أنه تغير عليه كل شيء حتى الارض ،فانها توحشت وصارت كأنها غير الارض التي كان يعرفها قبل ذلك (فلبثنا ) اى اقمنا( على ذلك)المذكور من الانتظار لما يبدو فى عالم الشهادة مما سبق به القضاء وهجر الناس لنا ( خمسين ليلة ) اى ونهارا، وحذف اكتفاء بذكر قرينه للعلم به من السياق (فأما) بفتح الهمزة تفصيل لبعض حاله وحال صاحبيه (صاحباي ) أى المشاركان لي فى هذا الحال (فاستكانا ) أي خضعا (وقعدا فى بيوتهما يبكيان ) أى على خطيئتهما ففيه بكاء الانسان على خطيئته

وأما أنا فكنتُ أشبَّ القوم وأجلدَهم ، فكنتُ أخرجُ فأشهدُ الصلاةَ مع المسلمين وأطوف فى الاسواقِ ولا يكلمني أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمُ عليه وهو فى مجالسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى: هل حرّكَ شفتيه

---

وفى الحديث «وابك على خطيئتك وليسعك بيتك » (واما أنا فكنت أشب القوم) بالمعجمة فالموحدة أي اصغرهم سنا (واجلدهم ) اي اقواهم (فكنت أخرج) إلى المسجد وغيره ( فاشهد الصلاة ) أى المفروضة ( مع النبي صلى الله عليه وسلم ) أى أشهد الجماعة فى الصلوات المكتوبات (واطوف) بفتح الهمزة وبالمهملة أى أمشى دائرا (فى الاسواق ) جمع سوق، وتقدم أنها سميت بذلك لسوق الناس بضائعهم اليها ،وقيل للوقوف فيها على الساق وتعقب باختلاف المادة. ولعل من حكمة طوفانه فى الاسواق أنها من محال كرم الله وجوده بتيسير تلك الامور المباعة لطالبها وربح جالبها وصاحبها، فتعرض فى محل الرحمات والفيوض المعنوية وهى المساجد وشهوده الصلوات ،وفى محل الفضل والعطايا الدنيوية وهي الاسواق لنفحات الرحمن لتعود عليه بالتوبه ، ويظفر بالمرام فى الاوبه، ويتنصل عما وقع فيه من الحوبه ( ولا يكلمنى أحد )معطوفة على وأطوف ويصح كونها فى محل الحال (وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم) تشرفا برؤيته ، واستمطارا للفيوض الربانية من حضرته ، وإراحة القلب ، من الم الكرب، ففيه انحبه له الاكيد ،لم يغيره عنه ماصدر من الامر فيه بالتبعيد (فأسلم عليه وهو فى مجالسه بعد الصلاة ) فيه الجلوس عقب الصلاة فى المصلى للذكر والدعاء ونحوهما والجملة فى محل الحال، واتردد هل رد عليه الصلاة والسلام بلسانه على السلام (فأقول فى نفسى : هل حرك شفتيه ) بفتح المعجمة اى اقول هل حركهما ناطقا

بردِ السلامِ أم لا؟ ثم اصلي قريباً منه وأسارقه النظرَ، فاذا أقبلتُ على صلاتي نظرَ إليّ واذا التفتُّ نحوَه أعرضَ عني، حتي اذا طال ذلك عليّ من جفوةِ المسلمين مَشيتُ حتي تسوَّرتُ جِدَارَ حائط أبي قتادةَ

---

(بردالسلام) على كما هو قضية صفحه وعفوه، والانزجار يحصل بعدوله عن الجهر بذلك إلى الاسرار (أم لا) لقضية ماصدر مني من العصيان المقتضى للهجران. وأم هنا منقطعة بمعني بل لعدم تقدم الهمزة عليها (ثم أصلي قريبا منه) للنافلة والرواتب (وأسارقه النظر) بالمهملة والقاف، أي انظر اليه في خفية. ففيه أن مسارقة النظر في الصلاة وكذا الالتفات لا يبطلها (فاذا أقبلت على صلاتي أقبل على) لما ورد من إقبال المولى سبحانه على المقبل بقلبه وقالبه على مولاه والمصطفى صلى الله عليه وسلم متخلق بأخلاق الله. ففيه ان الاقبال على مرضاة الله سبب لقبول اولياء الله (وإذا التفت نحوه) في صلاتي (أعرض عني) إذ الالتفات في الصلاة اختلاس من الشيطان كما ورد في الحديث مع ماينبيء عنه من الغفلة الشاهد بها خبر «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» (حتي إذا طال على ذلك) ابتدائية على الصحيح على ما في المغني أو غاية لمقدر أى استمررت متصابرا حتى إذا طال على ذلك (من) بيانية لذلك (جفوة) فتح الجيم وسكون الفاء أى إعراض (المسلمين) ويجوز أن يكون المشار اليه ما تقدم ومن ابتدائية او تعليليه (مشيت) واستمررت في المشي (حتي تسورت) بتشديد الواو أى علوت سور (جدار حائط) هو البستان إذا كان عليه دائر بناء. وفي الصحاح: التسور النزول من الارتفاع ولا يكون إلا من فوق ويقال هو الصعود إلى مكان مرتفع اهـ. وفيه جواز دخول الانسان دار صديقه وقريبه الذى يدل عليه ويعرف أنه لا يكره ذلك بغير إذنه بشرط أن يعلم أنه ليس هناك نحو زوجة مكشوفة (أبي قتادة)

وهو ابنُ عمّي وأحبُّ الناس إليّ فسلمتُ عليه،فوالله ماردّ عليّ السلام فقلتُ له يا أباقتادةَ أنشُدُكَ باللهِ هل تعلمُني أُحبُّ الله ورسوله

---

بفتح القاف الحارث بن ربعى بكسر الراء وسكون الموحدة وبالمهملة الانصارى (وهو ابن عمى ) أى بحائل. كذا قاله الكرمانى ،ووجهه أنهما يجتمعان فى كعب بن سلمة ، وهو الجد الخامس لكعب والسادس لابى قتادة ، وقيل بل هو ابن عمه حقيقة وان ربعيا والد أبى قتادة أخو مالك والد كعب (وأحب الناس إلى )أى اكثرهم محبوبية إلى لقرابته فى النسب،أوالغير ذلك من السبب (فسلمت عليه فوالله مارد على السلام) لعموم النهي عن كلام كعب وصاحبيه ،ففيه عدم رد السلام على نحو المبتدع ، وان السلام كلام فيحنث به من حلف لايكلم فلانا فسلم عليه أو رده عليه وإن كان واجبا عليه ،وإيثار طاعة الله ورسوله على مودة الصديق والقريب ونحوهما (فقلت له ياأباقتادة أنشدك ) بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة أى أسألك (بالله ) وأصله من النشيد وهو الصوت (هل تعلمني ) أى بما تراه من الشواهد والآيات ، فلا ينافى ماجاء من انكاره صلى الله عليه وسلم على سعد بن أبى وقاص فى قوله «مالك عن فلان فأنى لاراه مؤمنا» فقال صلى الله عليه وسلم «أو مسلما » أى أن الايمان لكونه قلبيا لاسبيل الى علمه والجزم به بخلاف الاسلام لتعلقه بالظاهر ، ولذا أجابه أبوقتاده بقوله :الله ورسوله اعلم (أحب الله ورسوله ) محبتهما طاعة أمرهما ومنها الايمان وفعل الطاعات وترك مخالفتهما ؛وما أحسن ماقيل :

تعصى الاله وانت تظهر حبه — هذا لعمرى فى القياس بديع
لوكان حبك صادقا لاطعته — إن المحب لمن يحب مطيع

صلى الله عليه وسلم ؟ فسكتَ، فعدتُ فناشدته فسكتَ، فعدتُ فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناى، وتوليتُ حتى تسورتُ الجدارَ فبينا أنا امشى فى سوق المدينة اذا نَبَطى من نَبَط اهل الشأم

---

( فسكت) عن الجواب لما تقدم ( فعدت) له (فناشدته ) أى نشدته ، والاتيان به من باب المفاعلة للمبالغة ( فسكت فعدت) اليه (فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ) قال القاضى عياض : لعل ابا قتادة لم يقصد بهذا تكليمه به لانه منهى عن كلامه وانما قال ذلك لنفسه لما ناشده بالله فقال أبو قتادة مظهرا الاعتقاده لا ايسمعه ، إذ من حلف لايكلم فلانا فسأله عن شىء فقال الله أعلم يريد إسماعه وجوابه حنث ، فأن لم يرد ذلك فلا حنث اه قال القرطبى فى المفهم : ويحتمل أن أبا قتادة فهم ان الكلام الذى نهي عنه إنما هو المقتضى للمباسطة وافادة المعانى لامثل هذا المقتضي للابعاد والمنافرة ، الا ترى أنه لم يرد عليه السلام ولا التفت لحديثه اه. ( ففاضت عيناى ) مجاز عقلى من الاسناد للمكان نحو نهر جار، ومعنى فاضت عيناى أى كثرت دموع عينى ( وتوليت ) راجعا من حيث أتيت (حتي تسورت الجدار فبينا )بألف الاشباع ، وقيل هى كافة لبين عن الاضافة كما تقدم ، وقيل أصلها بينما بما الكافة فحذفت الميم تخفيفا ( انا امشى فى سوق المدينة ) علم بالغلبة على دار هجرته صلى الله عليه وسلم ، وسميت بذلك لانها يطاع الله فيها والدين الطاعة ( إذا نبطي ) بفتح النون والموحدة الفلاح ، سمي به لانه يستنبط الماء أى يستخرجه ، وسيأتى فيه زيادة فى باب النهى عن تعذيب العبد والدابة ( من نبط ) بفتح أوليه أى فلاحى ( أهل الشأم ) بالهمزة الساكنة ويجوز تخفيفها ويقل شآم بالهمزة بوزن يمان ، وهو مذكر على المشهور وقال الجوهرى يجوز تذكيره وتأنيثه سمي بذلك باسم سام بن نوح واسمه بالسريانية شام ، وعن ابن الكلبي : سمي شاما بشامات

ممن قَدِم بالطعام يبيعهُ بالمدينة يقول: من يدلّ على كعبِ بن مالك فطفق الناس يشيرون له الىّ حتى جاءنى فدفع الي كتابا من ملك غسّان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه: « اما بعد، فانه قد بلغنا أن صاحبكَ قد جفاكَ ولم يجعلك الله بِدار هوان ولا مَضْيعة فالحقْ

له حمر وسود وبيض، وقيل سمى به لأنه عن شمال الارض [١] وقيل غير ذلك وتقدم أن حده من العريش إلى الفرات طولا وقيل إلى باياس [٢] وعرضا من جبل طي من نحو القبلة إلى نحو ارض الروم وما سامت ذلك من البلاد نقله المصنف فى التهذيب عن الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ممن قدم بالطعام) حال كونه (يبيعه بالمدينة) ويصح كونها استئنافا بيانيا (يقول) يجوز فيه ما فى الذى قبله والثانى أقرب (من يدل) بضم المهملة (على كعب بن مالك فطفق) أى أخذ (الناس يشيرون له إلى حتى إذا جاءنى دفع الىّ كتابا من ملك غسان) بفتح المعجمة وتشديد المهملة آخره نون واسمه جبلة بن الايهم وقيل الحارث بن ابى سمرة (وكنت كاتبا) أي قارئا من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم [٣] (فقرأته فأذا فيه: أما بعد) بالبناء على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه (فأنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك) أي أعرض عنك (ولم يجعلك الله بدار هوان) أى منقطعا بدار تهان فيها (ولا) بدار أوحال (مضيعة) بسكون المعجمة ويجوز كسرها مع فتح الميم فيهما، اى فى دار اوحال يضاع فيها حقك، اى فأذا حصل لك ما عرض حلوله بك (فالحق) بفتح المهملة

١ أى أرض الحجاز ثم هذا الوجه هو الصواب. ع

٢ قرية شمال إسكندرونه قرب جبل اللكام وفي القاموس أنها بوزن سحاب قال شارحه: ويروي فيه التشديد. ع

٣ لعل الاولى من إطلاق الملزوم و إرادة اللازم. ش

بنا نواسِكَ فقلت حين قرأتها وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنّور فسجرتها حتي اذامضت اربعون من الخمسين واستلبث الوحي اذا رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتكَ

---

(بنا نواسك) بضم النون وكسر المهملة من المواساة وحذفت التحتية لانه في جواب الطالب وفي بعض نسخ مسلم إثباتها، وهو كما قال المصنف صحيح اى ونحن نواسيك قطعه عن جواب الامر (فقلت حين قرأتها) اى الكتابة المعبر عنها بالكتاب أو التأنيث باعتبار المعنى إذ هو في المعنى صحيفة (وهذه) الواقعة (أيضا من البلاء) أى الابتلاء ليترتب عليه مايليق مما يصدر عنه من رسوخ قدم يحمد عليه أو أمر يوجب الندم (فتيممت) أي قصدت ولمسلم فتأممت وهي لغة (بها التنور) أنث الضمير في بها وفي قوله (فسجرتها) بمهملة وجيم وراء أى أوقدت الكتاب لما ذكر آنفا، والتنور الذى يخبز فيه قال في النهاية: يقال إنه في جميع اللغات كذلك (حتي إذا مضت اربعون) غاية لمقدر أى استمررت على ذلك الامر المذكور من غير زيادة عليه حتي مضت أربعون ليلة ويوما (من الخمسين واستلبث) أى ابطأ وجملة استلبث (الوحي) من زيادة مسلم على البخارى (إذا) فجائية (رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم) في رواية الواقدى انه خزيمة بن ثابت قال وهو الرسول إلى هلال ومرارة بذلك (يأتيني فقال: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك) وفي نسخة من التوشيح للحافظ السيوطي: هى عمرة بنت جبير بن صخر اهـ. وفي نسخة من تحفة القارى على البخارى لشيخ الاسلام زكريا: هى عميرة بنت جبير بن صخر اهـ وفي الاصلين المذكورين تحريف من الناسخ فليحرر. ونقل بعضهم عن الحافظ ابن حجر أن اسمها جبرة ثم رأيته قال في الفتح هى عمرة بنت جبير بن صخر بن أمية الانصارية أم اولاده الثلاثة عبد الله وعبيد الله ومعبد ويقال اسم امرأته التى كانت

فقلت أُطَلِّقها ام ماذا افعل؟ فقال لا بل اعتزلها فلا تقربنها وارسل الى صاحبيَّ بمثل ذلك فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتي يقضي الله في هذا الامر فجاءت امرأة هلال بن أمية رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: يارسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدُمه. قال لا ولكن

---

عنده يومئذ خيرة بالمعجمة ثم التحتانية اهـ وراجعت أسد الغابة لابن الاثير فلم أجد فيه ذكراً لاحد من هؤلاء الثلاثة والله اعلم (فقلت) ما المراد من اعتزالها (أطلقها) بضم الهمزة، وهمزة الاستفهام مقدرة بدليل قوله (أم ماذا) أي ماالذى (أفعل؟ قال لا) تطلقها (بل اعتزلها) أمر بترك مخالطتها مخالطة الزوجات من الجماع ومقدماته كما فسره بقوله (ولا تقربها وأرسل) رسول الله صلى الله عليه وسلم (الى صاحبي) بتشديد ياء المتكلم المدغم فيها ياء المثنى يأمرهما (بمثل ذلك) أي الاعتزال المفسر بعدم قرب الزوجة (فقلت لامرأتي الحقي) بهمزة وصل وفتح المهملة بعدها قاف (بأهلك فكوني عندهم حتي يقضي الله في هذا الامر) وقوله الحقي بأهلك من كنايات الطلاق ولكونه لم ينوه به لم يقع عليه (فجاءت امرأة هلال بن امية) هي خولة بنت عاصم قاله الحافظ ابن حجر وقيل اسمها عمرة بنت حبة بن صخر الانصارية قاله ابن عبد البر (رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له) للام للتبليغ (يارسول الله إن هلال بن امية شيخ) اى ذوسن (ضائع) بالمعجمة وبعد الالف همزة ثم عين مهملة وفسرته بقولها (ليس له خادم) اى من يقوم بما يحتاجه من خدمة، يقع على الذكر والانثى بلفظ واحد ويقال في المؤنث خادمة، ومنه حديث البخارى «عن ابى سهل ان امرأة أبي أسيد كانت خادمتهم فى عرسهم» فأنه بالتاء فى معظم الاصول (فهل تكره أن أخدمه) بضم المهملة (قال لا) أى لا أكره أن تخدميه (ولكن)

لا يقربُنّك فقالت: انه والله مابه من حركة الى شيء ووالله ما زال يبكى منذ ما كان من أمره ما كان الى يومه هذا. فقال لي بعضُ اهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية ان تخدمه

---

استدراك لما قد يتوهم من شمول الخدمة للتمتع بها ( لا يقربنك ) بضم الراء وفتح الموحدة بعدها نون توكيد، كناية عن الجماع ( فقالت ) لا حاجة الى منعه من ذلك ( إنه ) أى الشأن أو هلال ( والله ) جملة قسمية أتى بها لتأكيد المقال ( مابه حركة ) وفى نسخة من حركة بزيادة من ، والحركة بفتحات. أى داعية تحركه ( الى شيء ) من الجماع ومقدماته لما هو فيه من الكرب ، ثم الجملة القسمية وجوابها خبر إن وفى نسخة بتقديم القسم على إن وعليه فأن واسمها وخبرها جواب القسم ( ووالله ) يحتمل العطف على جملة القسم السابقة ويحتمل الاستئناف ( مازال يبكي ) على تخلفه المتسبب عليه ما آل اليه أمره ( منذ كان من امره ) أى شأنه ( ما كان ) من تخلفه عن الخروج وماترتب عليه ( الى الآن ) حال الاخبار وفى نسخة الى يومه هذا. وسكتت عما بعده لانه يحتمل استمراره عليه وتركه له لما يرد عليه مما يقتضى حالا من تلك الاحوال قال كعب ( فقال ) أى أشار ( لى بعض اهلى ) لما أمرت امرأتى بالذهاب لاهلها قال الحافظ لم اقف على اسمه ( لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك ) أى فى خدمتها ( فقد اذن لامرأة هلال بن امية أن تخدمه ) وقد استشكل هذا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن كلام الثلاثة ، وأجيب بأنه يحتمل أنه عبر عن الاشارة بالقول كما اشرت اليه أو أن النهى كان خاصا بالرجال والقائل كان امرأة، أو كان هذا الكلام ممن يخدم المنهى عن كلامه فلم يدخل فى

فقلت لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب. فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نُهي عن كلامنا ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا. فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى عنا قد

---

النهي قال الحافظ فى الفتح . لعله بعض ولده أو من النساء ولم يقع النهى عن كلام الثلاثة للنساء اللاتى فى بيوتهم أو أن الذى كلمه كان منافقا ( فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ) وأشار الى الفرق بين حاله وحال هلال بقوله (وما يدريني ) بضم التحتية ( ماذا يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها ) اي من الاذن فى ذلك او المنع منه ( وأنا رجل شاب ) جملة حالية من فاعل يقول وأشار به الى وجه احتمال منعه دون هلال لكونه رجلا شابا ، ويحتمل الاشارة به إلى خوف الوقوع معها لو اذن له فى مقامها عنده من حدة الشباب فيقع فى المحذور أو إلى أنه ليس بضائع لقدرته على خدمة نفسه ( فلبثت ) أي اقمت ( بذلك ) أى من ذلك المذكور من إرسال الزوجة ( عشر ليال ) أى مع أيامها ( فكمل ) بتثليث الميم أى تم بضمها الى الاربعين السابقة علي الامر باعتزال الزوجة ( خمسون ليلة ) ويوما واقتصر عليها فى جميع ماذكر لأنها الاصل والنهار تابع لها ( من ) ابتدائية ( حين ) بفتح النون لاضافته الى جملة صدرها مبنى (نهي) بالبناء للمفعول أى وقع النهى للمسلمين غير من تقدم ( عن كلامنا ثم صليت صلاة الفجر صباح ) منصوب على الظرفية أى فى صباح تلك الليلة المكملة ( خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ) الظرف الاول حال من فاعل صلى والثاني وصف لبيت ( فبينا انا جالس ، على الحال التى ذكر ) ها ( الله عنا ) أى عنا أيها الثلاثة وبينها بقوله ( قد

ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى علي سلع يقول بأعلي صوته. يا كعب بن مالك أبشر. فخررت ساجدا وعرفت أنه قد جاء فرج، فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله عز وجل علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قِبَلَ

---

ضاقت على نفسي ) اى قلبي من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها أنس ولا سرور ( وضاقت على ) بتشديد التحتية وعند مسلم وضاقت بي (الارض بما رحبت) أي برحبها ، فما مصدرية والرحب بضم الراء وسكون الحاء المهملتين السعة ( إذ سمعت صوت صارخ ) هو ابو بكر الصديق رضى الله عنه كما فى التوشيح . وفى الفتح أنه كذلك عند الواقدى وأن أبا بكر صاح : قد تاب الله علي كعب، وحكاه ابن عائذ بلفظ « زعموا » قلت : وما فى الصحيح مقدم عليه وأنه أسلمي ( أو فى ) بالفاء أى صعد وارتفع ( على سلع ) بفتح السين وسكون اللام جبل بالمدينة معروف ( يقول ) جاهرا ( بأعلى صوته ) من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وفيه المذهب للبصريين من التأويل والكوفيين من إبقائه على ظاهره ( يا كعب بن مالك) بنصب « ابن » وفى « كعب » الضم والفتح ( أبشر ) حذف المفعول لتذهب النفس فى طرق السرور كل مسلك ( فخررت [1] ساجدا ) سجدة الشكر على اندفاع ما كان فيه من الحال وبلوغه إلى نعمة البشرى والاقبال ، وفيه أن سجدة الشكر كانت معلومة عندهم معمولا بها فيما بينهم (وعرفت) من هذا التبشير ( أنه قد جاء فرج وآذن ) بالمد والقصر أى اعلم ( رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا ) اي بتوفيقه إيانا لها أو بتبرئته إيانا عن غفلة الذنب ( حين صلاة الفجر ) ظرف لآذن (فذهب الناس يبشروننا ) بالتوبة (فذهب قبل ) بكسر ففتح أى جهة

---

[1] ) هو من باب ضرب

صاحبيّ مبشرون وركض الىّ رجلٌ فرساً، وسعى ساع مِن أسلم قِبَلى وأوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبىّ فكسوتهما إياه ببشراه، والله ما أملك غيرهما

---

( صاحبى ) بتشديد الياء ( مبشرون ) قال الفربرى فى الاقناع : وخرج سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل الى هلال يبشره فلما أخبره سجد ولقيه الناس يهنئونه فما استطاع المشى لما ناله من الضعف والحزن والبكاء حتى ركب حمارا ، وبشر مرارة ابن الربيع سلكان بن سلامة أو سلمة بن سلامة بن وقش فأقبل حتي توافوا يعني الثلاثة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اﻫ . ( وركض رجل ) هو الزبير بن العوام وقال الحافظ ابن حجر يحتمل أن يكون أبا قتادة لانه كان فارس النبى صلى الله عليه وسلم. أى أجري جريا شديدا ( إلى فرسا ، وسعي ساع من أسلم ) هو حمزة بن عمر الاسلمى ( قبلى ، وأوفى ) بالفاء مقصورا أى أشرف وطلع ( على الجبل فكان الصوت ) أى وصول الصوت المذكور أى صوت الاسلمى المذكور بقرينة مجيئه له وطلبه شيئا لبشارته ( أسرع من ) وصول صاحب ( الفرس فلما جاءنى ) الاسلمي ( الذي سمعت صوته يبشرنى ) جملة فى محل الحال ويجوز كونها مستأنفة استئنافا بيانيا كأن قائلا يقول فبم سمعت صوته فقال يبشرنى ( نزعت له ثوبى ) بتشديد التحتية ( فكسوته إياهما ببشارته ) ففيه استحباب إجازة البشير بخلعة والا فبغيرها، والخلعة أحسن وهى المعتادة، وفيه كسوة البشير وإن لم يملك غيره وفيه جواز اظهار الفرح بأمور الخير والدين وجواز البذل والهبات عندها ( والله ما أملك غيرهما ) أى من الثياب كما فى رواية بن أبى شيبة: فوالله ما أملك ثوبين غيرهما. فلا ينافى قوله السابق « ان عندى راحلتين » وقوله الآتى « ان من توبتي

يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقتُ أتأمَّمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقانى الناس فوجا فوجا يهنئونني بالتوبة ويقولون لي لتَهنك توبة الله عليك حتي دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ حوله الناس، فقام طلحة ابن عبيد الله رضى الله عنه يهرول حتي صافحني وهنأني، والله ماقام رجل من المهاجرين غيره » فكان كعب لا ينساها

---

أن انخلع من مالى صدقة » (يومئذ) أى وقت كسوتى له ( واستعرت ثوبين ) زاد الواقدى: من ابى قتادة ( فلبستهما وانطلقت اتأمم ) اى اقصد ( رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانى الناس فوجا ) أى جماعة ( فوجا ) أى تلقونى زمرة بعد زمرة وجماعة بعد جماعة ( يهنئوننى بالتوبة ) أى بقبولها او بالتوفيق لها ( ويقولون لتهنك ) بكسر النون . قال الحافظ : وزعم ابن التين شارح البخارى انه بفتحها قال لانه من هنئ . وفيه نظر ( توبة الله عليك ) فيه دليل على جواز التهنئة بأمور الخير بل على ندبها اذا كانت دينية فأنها اظهار السرور بما يسر به اخوه المسلم واظهار المحبة وتصفية القلب بالمودة ( حتى دخلت المسجد ) غاية لمقدر اى فسرت وحالى ماذكر أى من تهنئة الناس لى الى ان دخلت المسجد ، والاصح ان نصب المسجد لكونه اسم مكان مختص على التوسع ( فأذا ) فجائية ( رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس) فى المسجد (حوله الناس) الظرف لغو وحوله الناس خبر بعد خبر ( فقام الى طلحة بن عبيد الله ) أحد العشرة المبشرة ( رضى الله عنه يهرول حتي صافحنى وهنأنى ) فيه استحباب مصافحة القادم والقيام له اكراما والهرولة الى لقائه بشاشة به وفرحا قال كعب (والله ماقام الى رجل من المهاجرين غيره ) بالرفع صفة رجل ويجوز نصبه على الحال لتخصيصه بالوصف بالظرف ( فكان كعب لاينساها ) أى

لطلحة قال كعب «فلما سلمتُ علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخَيْر يوم مرّ عليك مذ ولدتك امُّك فقلت أمِن عندك يارسول الله أم من عند الله؟ قالَ لا بل من عند الله عز وجل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سُر استنار وجهه حتي كأن وجهه قطعة قمر

---

تلك الافعال الجميلة من القيام له والهرولة والمصافحة والتهنئة ( لطلحة ) قال القرطبي أى انها أكدت في قلبه محبته والزمته حرمته حتي عدها من الايدى الجسيمة ( قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ) أى بعد رد السلام ( وهو يبرق ) بضم الراء اى يلمع ( وجهه ) بالانوار ( من ) تعليله أى بسبب ( السرور ) بقبول الله تعالى توبتهم. ففيه ما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام من الحبور عند ظفر أحد من أمته بنوع من الخيور حال من فاعل قال. ومقول القول ( أبشر ) بقطع الهمزة ( بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك )أى سوى يوم اسلامه، وانما لم يستثنه لانه معلوم لابد منه وقيل لااستثناء لان يوم توبته مكمل ليوم اسلامه فهو خير من جميع ايامه وان كان يوم اسلامه خيرها، فيوم توبته المضاف الي يوم اسلامه خير من يوم اسلامه المجرد عنها (فقلت أ ) هذا المبشر به (من عندك يارسول الله ) أى قلته اجتهادا لانك رأيت حصول مقصود الزجر بما وقع في هذه المدة ( أم ) هو وحي ( من عند الله عز وجل قال لا ) أى ليس من عندى ( بل من عند الله ) قال في الاقناع بدل قوله قال لا « قال من عند الله وتلا عليهم الآيات » (و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر) من أمر (استنار وجهه ) أى زاد نورا الى نوره وفى النهاية « كان اذا سر فكأن وجهه المرآة وكأن الجدر يرى شخصها في وجهه لشدة نوره وصفائه » (حتي كأنه قطعة قمر) غاية لما قبله آثر ذكر القمر لانه

وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت : يارسول الله إنَّ من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً الى الله والى رسوله

---

يتمكن من النظر اليه ويؤنس من شاهده من غير اذى يتولد عنه بخلاف الشمس لانها تغشى البصر وتؤذي . ثم تشبيه بعض صفاته بنحو القمر والشمس جرى على عادة الشعراء والعرب فى ذلك أو على سبيل التقريب والتمثيل والا فلا شيء يعادل شيئا من أوصافه . قيل شبه وجهه فى هذا الحديث بقطعة من القمر لا بكله مع أن المعهود فى التشبيه الثانى لان القصد الاشارة الى موضع الاستنارة وهو الجبين، وفيه يظهر السرور فناسب أن يشبه ببعض القمر قالت عائشة « مسرورا تبرق أسارير وجهه » ولكون مراد كعب رضى الله عنه تشبيه بعض وجهه صلى الله عليه وسلم وهو جبينه اذا سر لم يشبهه بجميع القمر، وجاء فى حديث آخر عنه تشبيه وجهه كله بدارة القمر فلزمه تشبيه بعضه ببعضه ، وهذا أحسن مما قيل سبب الاقتصار فى التشبيه على بعض القمر الاحتراز عما فيه من السواد : لان كون وجه التشبيه بالقمر ما فيه من الاضاءة والملاحة لايخفي علي احد ولا يتوهم من التشبيه خلافه فلا حاجة للاحتراز ( وكنا ) معشر الصحابة المراقبين لمحاسن ذاته الملاحظين لاحواله ( نعرف ذلك ) أى الموضع الذى يتبين فيه السرور وهو جبينه كما سبق من قول عائشة: مسرورا تبرق اسارير وجهه. وفى البخارى « كان يعرف ذلك » ( منه ) وفى نسخة « فيه » والضمير يعود الى الوجه ( فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله ان من ) شكر ( توبتي ) أى من شكر الله على توبتي أى التوفيق لها وقبولها، أو إن من علامة صدق توبتي ( أن انخلع ) أى اخرج ( من مالى ) أى من جميعه ( صدقة ) مفعول له أو مطلق على تقدير أتصدق ، أو فى معنى الحال أى متصدقا ، أو علي تضمين انخلع معنى أتصدق أى أتصدق متقربا بها ( إلى الله تعالى وإلى رسوله ) اعاد الجار للاهتمام

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك بعضَ مالِك فهو خير لك

---

وتنبيها على ان التقرب اليه صلى الله عليه وسلم مطلوب على سبيل الاستقلال . قال تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وقال القرطبي : اى ان على ذلك فهى صيغة نذر والتزام خرجت مخرج الشكر وابتغاء الثواب وأقره عليه النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك جائزا ولم يدخل فى عموم النذر المنهى عنه ، وعلي مقتضى هذا اللفظ فقد وجب عليه اخراج كل ماله لكن لما كان ذلك يؤدى إلى أن يبقى فقيرا محتاجا وربما أفضى به الى سؤال الناس وإلى الدخول فى مفاسد أمره بأمساك البعض كما قل كعب ( فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ) أي دفعا لضرر التصدق بكله ( فهو خير لك ) قال القرطبي البعض المأمور بامساكه من ماله هو الاكثر والمتصدق به هو الاقل كما قال فى حديث سعد: الثلث والثلث كثير. وفيما ذكره نظر لأنه متوقف على نص يشهد به ، ولا دليل فى حديث سعد لما ذكره لان مافيه إنما هو لمن كان فى حال المرض مراعاة لمصلحة الورثة ، والقصد هنا دفع ضرر الحاجة والفقر ، وهو قد يحصل بأبقاء الاقل من ماله أو الشطر كما وقع من عمر رضي الله تعالى عنه لما تصدق بشطر ماله وابقى الشطر الآخر لنفسه وأهله والحديث فى مسلم وغيره ، ثم رأيت فى الفتح للحافظ أن عند ابى داود عن كعب « ان من توبتي أن أخرج من مالى كله الى الله ورسوله صدقة، قال لا قلت نصفه قال لا ، قلت فثلثه ، قال نعم » ولابن مردويه من طريق ابن عيينة عن الزهرى « فقال النبي صلى الله عليه وسلم يجزي عنك من ذلك الثلث » اه . وهو شاهد للقرطبي . قال المصنف فى شرح مسلم : ولا يخالف هذا أى قوله : أمسك عليك بعض مالك. تصدق أبي بكر بجميع ماله أي وقبوله صلى الله عليه وسلم له فأنه كان

فقلت: إنى امسك سهمى الذي بخيبر وقلت: يارسول الله إن الله تعالى إنما انجانى بالصدق، وانّ من توبتي الا أحدّث إلا صدقا ما بقيت، فوالله ما علمتُ أحدا من المسلمين أبلاه الله تعالى فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلانى الله تعالى

---

صابرا راضيا اه . ( فقلت يارسول الله إنى أمسك سهمى الذي بخيبر ) بفتح المعجمة وسكون التحتية وفتح الموحدة آخره راء مهملة غير مصروف فى اكثر الاصول مرادا به البقعة ( وقلت يارسول الله ان الله تعالى إنما انجانى ) من وصمة إثم التخلف عن المأمور به (بالصدق) أى باخبارى بالخبر المطابق للواقع وإن ترتب عليه ماترتب (وإن من ) شكر أو صدق( توبتى ألا احدث ) أي إنسانا حديثا ما فى أى شأن كان ( إلا صدقا مابقيت ) أى مدة بقائى مالم يمنع من الصدق مانع وإلا كأن كان فيه إفساد مصلحة للمسلمين فى حروبهم أو نحو ذلك فلا ، وفى الحديث المحافظة على سبب التوبة ( فوالله ماعلمت احدا من المسلمين) عند مسلم «ما اعلم أحدا» (أبلاه الله ) أى أنعم عليه ومنه قوله تعالي « وفى ذلكم » أى الانجاء من فرعون « بلاء من ربكم عظيم » أى نعمة عظمى . والبلاء يستعمل ايضا فى الشر كما قيل به فى الآية بناء على ان المشار اليه ما يفعله بهم آل فرعون من قتل الابناء واستحياء النساء ولكن إذا اطلق كان غالبا للشر فاذا اريد به الخير قيد كما قال فى الحديث « احسن مما ابلانى الله » ( فى ) ملازمة(صدق الحديث)مصدر مضاف إلى مفعوله ( منذ ذكرت ذلك)الالتزام بملازمة الصدق ( لرسول الله صلى الله عليه وسلم ) إبلاء ( احسن مما ابلانى الله)به اى بتيسير الدوام على ذلك والوفاء بالالتزام قال الحافظ : فيه وفى قوله الآتى « فوالله ماانعم » الحديث الى قوله «اعظم من صدقى

والله ما تعمدت كَذْبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا، وانى لارجو أن يحفظنى الله تعالى فيما بقى » قال « فانزل الله تعالى (لقد تاب الله

---

رسول الله صلى الله عليه وسلم » شاهد على ان هذا السياق يورد ويراد به نفي الافضلية لا المساواة لان كعبا شاركه فى ذلك رفيقاه ، وقد نفي ان يكون احد حصل له احسن مما حصل له وهو كذلك لكنه لم ينف المساواة (والله ما تعمدت كذبة ) قال المصنف بفتح الكاف و كسرها كل ذلك مع اسكان الذال(١) وفى المشارق كذبة بكسر الفاء(٢) ويقال بفتحها وانكر بعضهم الكسر إلا إذا اراد الحالة والهيئة وليس هذا موضعها اه . وهو فى البخارى كذبا بحذف الهاء ( منذ) اى من حين ( قلت ذلك) لالتزام( لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا)فيه ان الخطأ والنسيان المحترز عنهما بالعمد غير مؤاخذ به الانسان ،وهما لا ينقضان الالتزام ( وإنى لارجو) من فضله تعالى ( ان يحفظنى الله تعالى ) من الكذب ( فيما بقي ) لانه تعالى كريم يستحى ان ينزع الستر من أهله ، قال تعالي « إن الله لا يغير مابقوم حتي يغيروا ما بانفسهم » ( قال ) أى كعب مبينا للآية التي نزلت فيها التوبة عليه وعلي صاحبيه ( فأنزل الله تعالى) على نبيه صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة حين بقى الثلث الاخير من الليل كما جاء فى كتاب التفسير من صحيح البخارى ( لقد تاب الله)أدام توبته وهي بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم تشريف مكانته واعلاء رتبته لا

---

١ الذى فى شرح مسلم للمصنف: (قوله فوالله ما تعمدت كذبة) هى باسكان الذال وكسرها اهـ . ش

٢ أى فاء الكلمة التى هى الكاف

على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتَّبعوه فى ساعةِ العُسْرة) حتي بلغ (إنهبهم رؤف رحيم وعلى الثلاثه الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) حتى بلغ (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)»

---

أنه عن ذنب صدر من حضرته لعصمته ، وقال بعضهم تاب الله (على النبى) أي تجاوز عنه ( والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) بالعين المضمومة والسين الساكنة بعدها راء مهملات ، أي وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك، كان الرجلان يقتسمان التمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث [١]( حتى بلغ) أى كعب فى قراءته (وكونوا مع الصادقين ) أي في الآيات الثلاث وتمامها قوله تعالى « من بعد ما كاد تزيغ» بالمثناة الفوقية والتحتية أى تميل وتذهب « قلوب فريق منهم » عن اتباعه الى التخلف لما هم فيه من الشدة « ثم تاب عليهم» بالثبات « انه بهم رءوف رحيم ، و » تاب «على الثلاثة الذين خلفوا» عن التوبة عليهم بقرينة « حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت» أى مع رحبها وسعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون اليه «وضاقت عليهم أنفسهم» قلوبهم للغمة والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا انس « وظنوا » اى ايقنوا « ان لا ملجأ » يلجئون اليه « من الله إلا اليه » قال فى الكشاف لاملجأ من سخط الله الا الى استغفاره « ثم تاب عليهم » ألهمهم اسباب التوبة ووفقهم لها « ليتوبوا » اى ليقبلها وقيل، تاب عليهم ، قبل توبتهم و ، ليتوبوا ،اي يدوموا عليها وفى تفسير سورة البقرة من البيضاوى : اصل التوبة الرجوع فأذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية الى الطاعة واذا وصف بها البارىء تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة

---

١ بفتح فسكون وهو السرجين مادام فى الكرش

قال كعب «والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد إذ هداني الله للاسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألاّ أكون كذّبتُه فاهلكَ كما هلك الذين كذبوا.

---

الى المغفرة اه . « ان الله هو التواب » علي من تاب أي يقبل توبته الصحيحة فضلا منه « الرحيم . ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله » بترك معاصيه « وكونوا مع الصادقين » في الايمان والعهود بأن تلزموا الصدق

(قال كعب ) صرح بذكره للفصل بين سياق أحواله بذكر الآى القرآنية المنزلة في التوبة (والله ماأنعم الله على من ) زائدة للاستغراق (نعمة قط) أى في الزمن الماضي (بعد أن هداني للاسلام ) أى دلني عليه واوصلني له وفي نسخة هداني الله ( أعظم ) وصف لنعمة فتجوز قراءته منصوبا باعتبار محلها لزيادة من ومجرورا باعتبار لفظها ، ويجوز رفعه بتقدير هي اعظم (في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون كذبته ) كذا في الصحيحين عند جميع رواتهما الا الاصيلي من رواة البخاري فقال «أن أكون» وليس بشيء ، والصواب الاول وتخريجه ان لازائدة كما قال عياض وتبعه المصنف وغيره ، ومعناه أن أكون كقوله تعالى « ما منعك ان لاتسجد » اه . وهذا بناء على انه مستأنف عما قبله . واظهر منه ما ذكره الشيخ زكريا في حاشيته على البخاري المسماة بتحفة القاري من انه بدل من صدقي أى أن لا نافية ، قال والمعنى ما انعم الله على نعمة هى اعظم من عدم كذبي فعدم هلاكي اه . وكذبته بفتح الذال المخففة اى قلت له قولا كذبا ( فاهلك ) بالنصب عطف على منصوب ان ، واهلك بكسر اللام على الفصيح المشهور وحكي فتحها وهو شاذ ضعيف ( كما هلك الذين كذبوا ) اى هلا كا كهلاك الذين كذبوا الله القول في ادعاء الايمان من المنافقين ، فالمفعول الثاني محذوف . قال

ان الله تعالي قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ماقال لاحد، فقال الله تعالى (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون، يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين)» قال كعب «كنّا خُلفنا أيها الثلاثة

---

الراغب فى مفرداته : يقال كذبته حديثا ومنه « كذبوا الله ورسوله » اى القول الذى قاله فيتعدى الى مفعولين نحو صدق فى قوله تعالى « لقد صدق الله رسوله الرؤيا » اه (فأن الله قال للذين كذبوا) اى عنهم (حين انزل علي) النبي (الوحي شر ماقال) اي قول قال، ويجوز ان يكون موصولا اسميا (لاحد) اي عن احد ثم بين ذلك القول المجمل المنزل فيهم بقوله (فقال تبارك وتعالى : سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم) رجعتم (اليهم لتعرضوا عنهم) بترك المعاتبة (فأعرضوا عنهم) فأعطوهم طلبتهم (انهم رجس) قذر لخبث باطنهم فلا يؤثر فيهم العقاب بخلاف المؤمن اذا فرطت منه زلة فوبخ عليها طهره التوبيخ بالتوبة منها والاستغفار (ومأواهم جهنم) يعني تكفيهم النار عتابا فلا تتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون، يحلفون) اى بالله (لكم لترضوا عنهم) اى غرضهم بالحلف طلب رضاكم لينفعهم فى دنياهم (فأن ترضوا عنهم فأن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) اى عنهم، وأتى بالظاهر موضعه نداء عليهم بسوء وصفهم المقتضى لعدم رضاه عنهم، اى ولا ينفعهم رضاكم عنهم مع سخط الله، بل يكونون عرضة لعاجل عقوبته وآجلها، فى الكشاف قيل : انما قيل لهم ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضاء المؤمنين يقتضى رضاء الله عنهم (قال كعب وكنا خلفنا) بالبناء للمجهول، اخص (ايها الثلاثة) بتأخير امرنا وبيان شأننا فلم يقض فينا بشيء

عن أمر أولئك الذين قَبِل منهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له . فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه بذلك قال تعالى : وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا . وليس الذى ذكر مما خلّفنا تخلّفُنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وارجاؤه أمرنا عمّن حلف له واعتذر اليه فقبل منه » متفق عليه

( وفى رواية )أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج فى غزوة تبوك

---

( عن امر اولئك ) المعتذرين ( الذين ) كذبوا الله ورسوله و (قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ) عذرهم فى التخلف (حين حلفوا له )انهم صادقون فيما اعتذروا به ( فبايعهم ) اى عاقدهم على الاسلام وعاهدهم عليه (واستغفر لهم ) اى بنحو غفر الله لكم (وارجأ) اخر(رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا )فلم يقض فيه بشىء ( حتى قضى الله ) أى أبرز ماسبق قضاؤه ( فيه ) وانزل فيه الآية ( فبذلك ) أى فعن ذلك التخليف ( قال الله تعالى : وعلى الثلاثة الذين خلفوا ) هو معنى ما تقدم فى تفسير الآية من قولنا خلفوا عن التوبة أى عن قبولها حالا كما قبلت من المعذورين وارجأ أمر هؤلاء الثلاثة ( وليس الذى ذكر )بالبناء للمجهول(مما خلفنا) أى من تخليفنا المخبر عنه بقوله « خلفوا » ( تخلفنا عن الغزو ، وانما هو تخليفه صلى الله عليه وسلم إيانا ) عمن قبله من أولئك المعتذرين( وإرجاؤه)تأخيره ( امرنا ) أى بيانه وإيضاحه ( عن ) أى عن امر(من حلف له واعتذر اليه ) من المعذورين (فقبل منه ) أفرد الضمير باعتبار لفظ من (متفق عليه)أى رواه الشيخان وإن وقع بينها اختلاف يسير فى زيادة كلمة أو نقصها أو تقديم أو تأخير وكذا اخرج الحديث أبو داود والترمذى والنسائى كما فى جامع الاصول فى كتاب الجهاد

(وفى رواية : أن النبي صلى الله لميه وسلم خرج )من المدينة (فى غزوة تبوك

يوم الخميس وكان يحب أن يخرج يوم الخميس (وفى رواية) وكان لا يقدم من سفر إلا نهاراً فى الضحا . فاذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه

---

يوم الخميس وكان يحب ان يخرج) لسفره (يوم الخميس) وفى الصحيحين من حديث كعب « قلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر إلا يوم الخميس » ورواه النسائى (وفى رواية) للبخارى من حديث كعب (كان لا يقدم من سفر إلا نهارا) ونهى عن طروق المسافر أهله ليلا مالم يشع خبر قدومه كأن كان فى قفل ووصلوا لقرب البلد نهارا وعلم ذلك الخبر لاهل البلد فلابأس بالقدوم ليلا حينئذ (فى الضحا) لانه أطيب مافى النهار لما فيه من حسن الهواء ، وزيادة الاضواء ، وخروج الناس للاجتماع والالقاء ، وللتبايع ونحوه ، ولذا شرعت فيه صلاة لئلا يستغرق الوقت بأمر الدنيا ويلهو بأخوانه عن إصلاح شأنه (فاذا قدم) بكسر الدال (بدأ بالمسجد) قبل دخول منزله اهتماما به ، وتعظيما لشعائر الله تعالى، وتقديما لحق الله تعالى على حق نفسه واهله ، وشكرا لنعمته عليه بسلامته من وعثاء السفر (فصلى فيه ركعتين) تحية (ثم جلس فيه) ليسلم عليه الناس

« وفى الحديث فوائد اربعون بل اكثر » منها اباحة الغنيمة لهذه الامة إذ قال يريدون عيرا لقريش ، وفضيلة أهل بدر والعقبة ، والمبايعة مع الامام ، وجواز الحلف من غير استحلاف ، وتورية المقصد اذا دعت اليه ضرورة ، والتأسف على مافات من الخير ، وتمنى المتأسف عليه ، ورد الغيبة ، وهجران اهل البدعة ، وأن للامام أن يؤدب بعض اصحابه بإمساك الكلام عنه ، وترك من تاب الزوجة ، واستحباب صلاة القادم ، ودخوله المسجد أولا ، وتوجه الناس اليه عند قدومه ، والحكم بالظاهر وقبول المعاذير ، واستحباب البكاء على نفسه ، وان مسارقة النظر فى الصلاة لاتبطلها ، وفضيلة الصدق ، وان السلام ورده كلام ، وجواز الدخول

وعن أبي نجيد، بضم النون وفتح الجيم، عمران بن الحصين الخزاعيّ رضي الله عنهما

---

بستان صديقه بدون اذنه ، وان الكناية لايقع بها الطلاق مالم ينوه ، وإيثار طاعة الله ورسوله علي مودة القريب ، وخدمة المرأة لزوجها ، والاحتياط بمجانبة مايخاف منه الوقوع في منهى عنه إذ كعب لم يستأذن فى خدمته امرأته لذلك ، وجواز إحراق ورقة فيها ذكر الله تعالى إذا كان لمصلحة ، واستحباب التبشير عند تجدد النعمة واندفاع الكربة ، واجتماع الناس عند الامام فى الامور المهمة ، وسروره بما يسر اصحابه ، والتصدق بشيء عند ارتفاع الحزن ، والنهى عن التصدق بكل المال عند خوف عدم الصبر ، وإجازة البشير بخلعة ، وتخصيص اليمين بالنية ، وجواز العارية ، ومصافحة القادم ، والقيام له ، واستحباب سجدة الشكر ، والتزام مداومة الخير الذى انتفع به

( وعن ابى نجيد ) بضم النون وفتح الجيم وسكون التحتية آخره دال مهملة كنى باسم ابنه نجيد ( عمران ) بكسر العين المهملة (ابن الحصين ) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وإسكان التحتية بعدها نون ابن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن حذيفة بن جهيمة بن عاضرة بن حبيشة بن كعب بن عمرو . كذا قاله ابن مندة وأبو نعيم وقال ابو عمر: عبد نهم ابن سالم بن عاضرة ( الخزاعي ) الكعبى ( رضى الله عنهما ) أسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوات ، وبعثه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إلى البصرة ليفقه أهلها . قال محمد بن سيرين : لم نر فى البصرة أحدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يفضل على عمران بن الحصين وكان مجاب الدعوة ولم يشهد الفتنه . روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة وثمانون حديثا اتفق الشيخان منها على ثمانية وانفرد البخارى بأربعة ومسلم بتسعة

أنَّ امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حُبلى من الزنى ، فقالت . يارسول الله أصبتُ حدًّا فأقمه عليَّ

---

وكان تسلم عليه الملائكة فى مرضه فا كتوى ففقد ذلك ثم عادت اليه ، وكان به استسقاء طال به سنين وهو صابر عليه وشق بطنه واخذ منه شحم وشق له سرير فبقى عليه ثلاثين سنة ، ودخل عليه رجل فقال : ياابا نجيد والله انه ليمنعني من عيادتك ماارى بك فقال : ياأخى فلا تجلس فوالله إن أحب ذلك الى احبه الى الله تعالى . توفى بالبصرة سنة اثنتين وخمسين ( ان امرأة من جهينة ) وفى رواية اخرى لمسلم « جاءت امرأة من غامد » بغين معجمة وميم ودال مهملة . قال المصنف وهى بطن من جهينة . وقال الحافظ ولى الدين العراقى فى مبهماته اسمها خولة بنت خويلد وفيها نزلت آية الظهار ، وفى كلام بعضهم أن آية الظهار نزلت فى خولة بنت ثعلبة انتهى ملخصا . وقال ابن النحوى فى البدر المنير : اسم الغامدية سبيعة وقيل أبية بنت فرج .حكاهما الخطيب فى مبهماته. وعدها ابو موسى الاصفهانى فى الصحابة ( أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنى ) من تعليلية و يصح كونها ا بتدائية ( فقالت يارسول الله اصبت حداً ) أى مايلزم به الحد فيكون مجازا مرسلا ( فأقمه على ) اى لاطهر من تبعته فى الآخرة ، وفى مسلم أيضا فى حديث الغامدية « قالت طهرنى » قال المصنف فيه دليل على ان الحد يكفر ذنب المعصية التي حد لها ، وقد جاء ذلك صريحا فى حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم « ومن فعل شيئا من ذلك فعوقب به فى الدنيا فهو كفارته » ولا نعلم فيه خلافا ، وإنما لم تقنع بالتوبة مع انها محصلة لغرضها من سقوط الاثم بل اختارت الرجم لان حصول البراءة به وسقوط الاثم متيقن على حال ، لاسيما واقامته الحد بأمره صلى الله عليه وسلم . واما التوبة فتخشى ألا تكون نصوحا او يختل بعض

فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليّها فقال «أحسن اليها ، فاذا وضعت فأتني» ففعل ، فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشُدَّت عليها ثيابها ، ثم أمرَ بها فرجمت ،

---

شروطها فأرادت حصول البراءة بطريق متيقن دون ما يطرقه الاحتمال انتهى ملخصا ( فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم ) عبر هنا بنبي الله وأولا برسول الله تفننا فى التعبير ( وليها فقال احسن اليها ) أمره بذلك خوفا عليها من ان تحمل أقاربها الغيرة ولحوق العار بهم على ان يؤذوها ، ورحمة لها إذ تابت ولحملها ، وحرص عليه معها لما فى نفوس الناس من النفرة من مثلها وإسماعها الكلام المؤذى ونحو ذلك ، فنهى عن ذلك كله لذلك ( فاذا وضعت ) حملها ( فائتنى بها ) ففيه تأخير حد الزنى عن الحامل إلى ان تضع وتسقيه اللبأ لئلا يموت الجنين ، وهو مجمع عليه واختلف فى اعتبار استغنائه عنها بلبن غيرها فالجمهور على اعتباره فأن كان حدها الجلد لم تجلد حتى تضع بالاجماع ( ففعل ) أى ما أمره به ( فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ) أى بأن تهيأ للرجم لانها كانت محصنة ( فشدت عليها ثيابها ) بالدال المهملة كذا فى نسخ الرياض قال المصنف فى شرح مسلم : فشكت عليها ثيابها ، كذا هو فى معظم النسخ ، فشكت وفى بعضها ، فشدت ، بالدال بدل الكاف وهو بمعني الاول اه. ولم يذكر عياض فى مشاقة غير الكاف قال أى جمعت أطرافها لتستتر وخللت عليها بعيدان اه . وقيل معناه أرسلت عليها ثيابها والشك الاتصال واللصوق وإنما فعلت ذلك لئلا ينكشف ثوبها فى تقلبها وتكرر اضطرابها ( ثم ) بعد أن شدت ثيابها (أمر بها فرجمت) فى عدم تعرضه لحضوره صلى الله عليه وسلم دلالة لمذهب الشافعى وموافقيه انه لا يلزم الامام حضور الرجم وكذا لا يلزم الشهود إذا ثبت بشهادتهم، وقال أبوحنيفة

ثم صلى عليها فقال له عمر : تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت. قال «لقد تابت توبة لو قُسمت بين سبعين من اهل المدينة لو سعتهم ،

---

وأحمد يحضر الامام مطلقا ويبدأ بالرجم إن ثبت بالاقرار ، وجاء عند النسائى : انه صلى الله عليه وسلم حضر رجم الغامدية ورماها بحجر .قالا : وتحضر الشهود إن ثبت بشهادتهم ويبدؤون بالرجم ( ثم ) بعد غسلها وتكفينها ( صلى ) النبى صلى الله عليه وسلم ( عليها ) فيه دليل لمذهب الشافعى وآخرين من أن الامام وأهل الفضل يصلون على المرجوم كما يصلى عليه غيرهم ، وما قيل من أن ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم ضعيف لكون اكثر الرواة لم يذكرها ، أومن ان صلى فيه مؤول بأنه أمر بها، او انه أريد به المعنى اللغوي اى دعا، ففاسد : لان هذه الزيادة ثابتة فى الصحيح وزيادة الثقة مقبولة والتأويل خلاف الاصل لايصار اليه إلا اذا اضطرت الادلة لارتكابه وليس هنا شىء من ذلك فوجب حمله على ظاهره (فقال له عمر : تصلى عليها يارسول الله وقد زنت ) أى اتصلى وهو استكشاف لحكمة صلاته صلى الله عليه وسلم عليها مع أنه وقع منها أمر يقتضى إهمال امرها والاعراض عنها وليس هو للانكار (فقال )مبديًا لما خفى على عمر رضى الله تعالى عنه فأنه نظر إلى ماصدر منهامن الفعل القبيح وهو الزني وغفل عما ختمت به أمرها وهو التوبةالنصوح فنبهه صلى الله عليه وسلم عليه بقوله(لقد تابت توبة ) صحيحة نصوحا (لوقسمت) بكمالها (بين سبعين)عاصيا (من أهل المدينة)أى المنافقين الذين بها ، اى لو تاب المنافقون الذين بها يومئذ توبةصحيحة من نفاقهم كتوبتها (لوسعتهم)اي لكفتهم فى رفع آثامهم فأذا رفعت ذنب الكفر فما دونه أولى ، ولعل هذا حكمة قوله صلى الله عليه وسلم من أهل المدينة قال فى البدر المنير : وعند الطبرانى « لقد تابت توبة لو تابها اهل

وهل وجَدتْ أفضلَ من ان جادت بنفْسها لله عز وجل » رواه مسلم

• وعن ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحَبَّ ان يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا الترابُ ويتوبُ الله على من تاب » متفق عليه

---

المدينة لقبل منهم » (وهل وجدت ) شيئا تبذله في مرضاة الله (أفضل) أي اعظم (من أن جادت بنفسها ) بيذلها (لله) أي لمرضاته (عز وجل. رواه مسلم ) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ، وفي الحديث بيان عظم التوبة وأنها تجب الذنب وتلحق التائب بمن لم يقترف شيئا من الذنوب وتكون سببا لحوزه انواع الفضل

(وعن ابن عباس وأنس بن مالك) تقدمت ترجمتهما في باب الاخلاص (رضي الله عنهم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : لو) ثبت ( أن لابن آدم واديا ) مملوءا ( من ذهب أحب) وفي نسخة لاحب أي من حرصه الذي هو طبعه ( أن يكون له واديان )أي آخران كما هو الانسب بحرصه ، ويحتمل أن يراد واديان بما كان له أولا فيكون المطلوب واديا آخر. والاول اظهر(ولن يملأ جوفه إلا التراب ) اي انه لايزال حريصا علي الدنيا حتي يموت ويمتلىء جوفه من تراب قبره ، وهذا حكم غالب النوع الانساني الحرص على الدنيا أما من لطف به وحفظ من ذلك ابتداء أو بالتوبة منه فستثنى كما قال (ويتوب الله على من تاب ) أي ان الله تعالي يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات (متفق عليه) وفي الجامع الصغير للحافظ السيوطي بعد ذكر الحديث بنحوه : أخرجه احمد والشيخان والترمذي عن أنس واحمد والشيخان عن ابن عباس والبخاري عن الزبير وابن ماجه عن أبي هريرة واحمد عن ابي واقد والبزار عن بريدة ، وأخرج احمد وابن حبان عن جابر مرفوعا

وعن أبى هريرة رضى الله عنه. ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يضحَكُ اللهُ سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل

---

«لو كان لابن آدم واد من نخل لتمنى مثله ثم لتمنى مثله حتي يتمنى أودية ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» اهـ. وفى الديباج للحافظ السيوطى: ورد فى حديث أن الحديث المذكور كان فى آخر سورة لم يكن، فأخرج احمد والترمذى والحاكم وصححاه عن أبى بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن فقرأ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب، قال فقرأ فيها «ولو أن ابن آدم سأل وديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا، ولو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية، غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل خيرا فلن يكفره» اهـ.

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه) تقدمت ترجمته فى باب الاخلاص (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يضحك الله سبحانه إلى رجلين) قال القاضى عياض: الضحك فى حقه تعالى ـ لاستحالة قيام حقيقته بذاته سبحانه لكونه من أوصاف الحادث ـ مجاز عن الرضى بفعلهما والثواب عليه، وحمد فعلهما ومحبته وتلقى رسله له بذلك: لان الضحك من أحدنا إنما يكون عند موافقة مايرضاه وسروره بمن يلقاه. قال: ويحتمل ان يكون المراد ضحك الملائكة الذين يوجهون لقبض روحهما وإدخالها الجنة كما يقال قتل السلطان فلانا أى أمر به اهـ. (يقتل أحدهما) أى الواحد منهما (الآخر) اى صاحبه (ثم يدخلان الجنة) ثم بين ذلك الاجمال بقوله (يقاتل)

هذا فى سبيل الله فيُقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيُسلِم فيُستشهَد » متفق عليه

﴿ باب الصبر ﴾

(هذا) يعنى المسلم (فى سبيل الله) لاعلاء كلمة الله (فيقتل) اى يقتله كافر (ثم) للترتيب فى الاخبار أو يراد بها مجرد الترتيب من غير اعتبار انضمام التراخى اليه فلا يعتبر تراخى إسلام الكافر عن قتله ذلك المسلم بل يحصل بأسلامه عقبه (يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد) عطف الفعلين بالفاء اشارة الى حصول الهداية عقب تعلق العناية بالعبد من غير تراخ إذ لا مانع لما اراده سبحانه ، والى انه لم يمكث بعد اسلامه زمنا يقترف فيه شيئا من موبقات الذنوب بل عقب إسلامه استشهد فعمل قليلا وحاز خيرا جليلا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ثم لا يلزم من تساويهما فى دخول الجنة تساويهما فى المنزلة : فأن تفاوت مراتب الجنان على حسب تفاوت مراتب الاعمال (متفق عليه) . وفى ختم المصنف الباب بهذا الحديث إشارة إلى أن الانسان ينبغى له أن يتوب من الذنب الذى اقترفه وإن كان كبيرة ، ولا يؤيسه ذلك من رحمة الله تعالى فأن الله هو التواب الرحيم ، والذنب وإن عظم قدره كالكبائر وكثر عدده إذا قوبل بفضل الله وعفوه كان حقيرا يسيرا ، قال تعالى « إن ربك واسع المغفرة » قال الابوصيرى

يانفس لا تقنطى من زلة عظمت ... إن الكبائر فى الغفران كاللمم

# ( باب الصبر )

أى هذا باب بيان فضائل الصبر من الآيات والاحاديث . قال الراغب فى مفرداته : الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع أو على البعد عما يقتضيان

قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا »

وقال تعالى (١) « ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشّر الصابرين»

وقال تعالى « انما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب»

---

حبسها عنه اه . وقال ذو النون : هو التباعد عن المخالفات والسكوت عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى عند حلول الفقر بساحة المعيشة . قال الراغب : وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه ، فأن كان حبس النفس بمصيبة سمي صبرا لاغير ويضاده الجزع ، وإن كان فى محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن ، وإن كان فى نائبة مضجرة سمى رحب الصدر ويضاده الضجر ، وإن كان فى إمساك الكلام سمى كتمانا و يضاده الهذر ، وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبرا قال تعالى « اصبروا وصابروا » اى احبسوا انفسكم على العبادة وجاهدوا هواءكم اه .

(قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا اصبروا)على الطاعات والمصائب وعن المعاصى ( وصابروا ) الكفار أى غالبوهم بالصبر فلا يكونوا أشد صبرا منكم ( ورابطوا ) أى اقيموا على الجهاد ، وفى تفسير الكواشى :قال صلى الله عليه وسلم « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » قال أبو سلمة : لم يكن فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو برابط فيه ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة .

( وقال تعالى : إنما يوفى الصابرون ) على الطاعة وما يبتلون به ، وترك ذكر الفاعل للعلم به سبحانه ( أجرهم بغير حساب ) أى بغير مكيال ولا وزن ، قال أبو

---

١) هذه الآية ساقطة من نسخ الشرح . ع

وقال تعالى « ولَمَن صبر وغفر إنّ ذلك لَمِن عزم الامور »

وقال تعالى « واستعينوا بالصبر والصلوة إنّ الله مع الصابرين »

وقال تعالى « ولنبلونّكم حتى نعلمَ المجاهدين

---

عثمان المغربى : لاجزاء فوق جزاء الصبر ، قال الكواشى فى التفسير الكبير : المراد كل صابر على ترك اهل ووطن وعلى كل مكروه يعرض له لاجل الله ، قال على رضى الله عنه : كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فأنه يحثى لهم حثيا

( وقال تعالى ولمن صبر ) فلم ينتصر لنفسه بعد ظلمها ( وغفر ) تجاوز عن ظالمه ( إن ذلك ) المذكور من الصبر والغفر ( لمن عزم الامور ) أى منه (١) فحذف للعلم به كحذفه من قولهم السمن منوان بدرهم ، والمعنى من الامور التى أمر الله تعالى بها ، وقال بعضهم الصبر على المكاره من علامات الانبياء فمن صبر على مكروه أو مصيبة ولم يجزع اورثه الله حالة الرضى وهى من أجل الاحوال ، ومن جزع من المصائب وشكا وكله الله إلى نفسه ولم تنفعه شكواه

( وقال تعالى واستعينوا ) أى اطلبوا المعونة على أموركم ( بالصبر ) أى الحبس للنفس على ما تكره ( والصلوة ) أفردها بالذكر تعظيما لشأنها ، وفى الحديث « كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه (٢) أمر بادر إلى الصلاة » وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الايمان الشره وحب الرياسة أمروا بالصبر وهو الصوم لانه يكسر الشهوة والصلاة لانها تورث الخشوع وتنفى الكبر

( وقال تعالى ولنبلونكم ) اللام فيه مؤذنة بقسم قبله ، أى والله لنختبرنكم بأن نأمركم بالجهاد ومشاق الدين فيظهر لنا منكم الطائع والعاصى ( حتى نعلم المجاهدين

---

(١) أى ممن صبر وغفر . ع (٢) بفتحات : أى نابه ألم شديد

منكم والصابرين »

والآيات فى الامر بالصبر وبيان فضله كثيرة معروفة

وعن ابي مالك الحارث بن عاصم الاشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الطهور

---

منكم والصابرين ) المراد بالعلم هنا لازمه من الوجود ، والمعنى حتى نتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره أو حتي نعلم علم ظهور

( والآيات ) القرآنية ( فى الامر بالصبر و )فى( بيان فضله كثيرة )اهتماما بشأنه ( معروفة )

(وعن ابى مالك الحارث بن عاصم) هذا أحد اقوال عشرة فى اسمه وقيل كعب ابن عاصم وقيل كعب بن كعب وقيل عبيد وقيل عبيد الله وقيل عمرو . قال الحافظ ابن حجر العسقلاني فى أمالى الاذكار: التحقيق أن أبا مالك الاشعرى ثلاثة الحارث بن الحارث وكعب بن عاصم وهما مشهوران باسمهما والثالث هو المختلف فى اسمه وا كثر ما يرد فى الروايات بكنيته وهو راوى الحديث اه . ( الاشعرى ) نسبة الى الاشعر قبيلة مشهورة من اليمن ، والاشعر هو ثبت بن أدد بن زيد بن يشجب ،وقيل له الاشعر لان أمه ولدته والشعر على بدنه.قدم ابو مالك ( رضى الله عنه ) مع الاشعريين على النبى صلى الله وسلم ، ويعد فى الشاميين ، توفى فى خلافة عمر بالطاعون وطعن هو ومعاذ وابو عبيدة وشرحبيل بن عتبة فى يوم واحد روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة وعشرون حديثا روى عنه مسلم حديثين:هذا الحديث و بدأ به كتاب الطهارة من صحيحه، وحديث« اربع فى امتي من امر الجاهلية » وروى له البخاري على الشك فقال : عن ابى مالك أو ابى عامر وروى عنه اصحاب السنن الاربع ( قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :الطهور)

قال المصنف بالضم على المختار وهو قول الأكثر اهـ. والمراد به بالضم الفعل وبالفتح الاسم كالسحور بالفتح اسم لما يتسحر به ، وقال الخليل والازهرى بالفتح فيهما بل أنكر الخليل الضم ، وحكى صاحب المطالع الضم فيهما ، و قال القرطبي : إنما روى بالفتح إما على قول الخليل أو على تقدير مضاف أى استعمال الطهور . واشتقاقه من الطهارة وهي لغة النظافة حسية كانت أو معنوية . قال جماعة من اهل اللغة هى حقيقة فى الصورية مجاز فى المعنوية، وقيل يمكن أن يقال: انها حقيقة فى القدر المشترك لرجحانه على المجاز والاشتراك . وشرعاً فعل مايترتب عليه إباحة أو ثواب مجرد (شطر) أى نصف ( الايمان ) أى ينتهي تضعيف أجره إلى نصف أجر الايمان ، فالمراد بالايمان حقيقته ، واعترض بأن الصلاة أفضل من الوضوء ولم يرد فيها ذلك ، وأجيب بالتزامه وإن لم يرد ومفهوم الاسم ضعيف ، وقيل المراد من الايمان الصلاة مثل « وما كان الله ليضيع إيمانكم » وهى لاتصح إلا بطهر فكان كالشطر، ورجحه المصنف بأنه اقرب الاقوال ، وأيده بعض محققى المتأخرين وأجاب عما اعترض به عليه بكلام ذكرته فى شرح الاذكار ( والحمد لله ) أى هذه الجملة بخصوصها لانها افضل صيغ الحمد ، ولذا بدىء بها الكتاب العزيز ، او هي ومايؤدى مؤداها من الثناء على الله سبحانه وتعالى بصفات كماله ، ورجح بعضهم الاخير ( تملأُ ) بالفوقية ، اى هذه الكلمة بالمعنى اللغوى أو الجملة لو جسمت ، او بالتحتية اى يملأ هذا المبنى وكذا ما أفاد مفاده لوكان جسما ( الميزان ) باعتبار ثواب التلفظ بذلك مع استحضار معناه اى الثناء على الله بالجميل الاختيارى والاذعان له، والميزان المراد منه حقيقته أى ما توزن به الاعمال : إما بأن تجسم، أو توزن صحائفها فتطيش بالسيئة وتثقل بالحسنة . وإنما ملأ ثواب هذه الجملة كفة الميزان مع سعتها المفرطة لان معانى

وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السموات والارض ،

---

الباقيات الصالحات فى ضمنها ، ذكره العلائي فى الجزء الذى الفه فى شرح هذا الحديث ، ولذلك قال رضى الله عنه لو شئت ان أوقر بعيرا منها لفعلت ، وذلك لان الثناء تارة يكون بإثبات الكمال وتارة بنفي النقص وتارة بالاعتراف بالعجز عن الادراك وتارة بالتفرد بأعلى المراتب .. والالف واللام فى الحمد لاستغراق جنس المدح والحمد مما علمناه وجهلناه ، وانما يستحق الالهية من اتصف بذلك، فاندرج الجميع تحت الحمد لله ، ذكره العلائى فى اثناء كلام له (وسبحان الله) منصوب على المصدر وقيل اسم مصدر وقال الزمخشرى هو علم على التسبيح وانتصب بفعل مضمر ، أى اسبحه سبحان ثم نزل منزلة الفعل فسد مسده اه . وظاهره أنه علم أضيف أو قطع عنها ، وأن إضافته للبيان لا للتعريف كزيد الخيل، وهذا ظاهر قول الاخفش إنه معرفة وضع لهذا المعنى ولذا امتنع صرفه للعلمية وزيادة الالف والنون والمحققون على أن تعريفه بالاضافة: والتسبيح تنزيه الله عن السوء والنقائص وتبعيده منها ( والحمد لله ) معطوف على ماقبله أى هاتان الكلمتان (تملآن) بالفوقية (أو) شك من الراوى (يملأ) بالتحتية أي المذكور منهما أو أجرهما وقيل: ويحتمل أن يراد أحدهما فيكون المشكوك فيه أنهما معا يملآن مابين السموات والارض أو أحدهما أو بالفوقية ، أى الكلمة الشاملة لهما وقال العاقولى فى شرح المصابيح يروى بالمثناة الفوقية (مابين ) طبقات (السموات )السبع وفى السلاح «السماء» بالافراد وعزاه لمسلم ، وكأنه باعتبار أصله (١)، وإلا فالذى عندي بأصل مصحح «السموات» بالجمع وكذا هو فى الكتب الحديثية ( والارض) أفرده والمراد به الجمع أى الارضون ولعل ذلك

---

(١) أي الاصل الذى عنده من مسلم. ع

لان طباق الارض متلاصقة لاخلاء بينها بخلاف طباق السموات قال البيضاوى فى التفسير : إنما جمع السموات وافرد الارض لأنها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة فى الحقيقة بخلاف الارضين ا هـ. وإنما ملأ ثواب ماذكر مابين المذكورات التي لا يحيط بسعتها إلا خالقها سبحانه : لان العالم كله شاهد بأن الله هو خالقه والقائم بتدبيره ، وبأنه لايجوز أن يكون له فيه شريك ولا معين ، وبأنه واجب الاتصاف بصفات الكمال منزه عن مشابهة المحدثات إذ الالهية إنما تتم بذلك قيل: وإلى هذه الشهادة يشير قوله تعالى «وإن من شيء الا يسبح بحمده » فسبحان الله والحمد لله يتضمنان إثبات الرب الواحد وجميع صفات الجلال والكمال له ونفى جميع النقائص عنه، فكأن قائلها شاهد لله بذلك، وعلى جميع العالم بأنه مربوب مخلوق فى قهره وتدبيره لا منعم عليه ولا قادر ولا مالك بالحقيقة سواه، فله من الاجر بقدر ما شهد به من الحق فملأ أجرهما ما بين السموات والارض نقله العلائى عن ابن برجان فى الكلام على لا إله إلا الله قال العلائى ويصح نقله الى هنا (والصلاة) سيأتى معناها لغة وشرعا إن شاء الله تعالى (نور) أى محسوس أى ان الصلاة نفسها تضيء لصاحبها فى ظلمات الموقف بين يديه ، ولم يجيء فى فعل متعبد به أنه نور فى نفسه سوى الصلاة ، فالظاهر أن هذا النور خاص بها وأصرح منه ما لأحمد بسند صالح عن ابن عمر : قال صلى الله عليه وسلم « من حافظ على الصلاة كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة يوم القيامة وكان مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف» وقيل النور أجرها لاهى فتكون على تقدير مضاف ، وقيل نور ظاهر على وجه المؤمن يوم القيامة فالمراد : بها أي بسببها يعلو النور وجه المؤمن فالاسناد مجازي من الاسناد للسبب ، وقيل النور معنوى لانها تنهي عن الفحشاء والمنكر وتهدى الى الصواب

والصدقة برهان ،والصبر ضياء ،

---

فتصد عن المهالك وتوصل إلى طريق السلامة كما يستضاء بالنور ، وقيل نور القلب بسببها لاشتمالها على مالم يجتمع فى غيرها من اعمال القلوب والالسن والجوارح فرضا ونفلا فالصلاة الكاملة يحصل بها من النور الالهى فى القلب مالا يعبر عنه،قيل ويمكن حمل النور على جميع ماتقدم من حقيقة اللفظ ومجازه على قاعدة الشافعى ( والصدقة برهان) أى حجة على إيمان مؤديها ،وقيل على أنه ليس من المنافقين الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ،وقيل على حبه لله ورسوله فأنه آثر رضاهما على المال الذى جبل على حبه ،وقيل برهان له يوم القيامة اذا سئل عن ماله فيم انفقه يقول تصدقت به،وقال صاحب التحرير يجوز أن المتصدق يوسم يوم القيامة بسيمى يعرف بها فتكون برهانا له على حاله ولا يسأل عن مصرف ماله ،وأيد بحديث أبى داود عن عقبة بن عامر مرفوعا « كل امرىء فى ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضى بين الناس » فيكون هذا الظل برهانا على صدق إيمانه أو على إخلاصه ( والصبر ضياء ) قيل المراد هنا بالصبر الاعم من الصبر على طاعة الله وعن معصيته وعلى المكاره ومنه الصوم ، وقيل المراد به صبر خاص وهو الصوم ورجحه صاحب مطالع الانوار بأنه صرح به فى رواية،ورجحه غيره باقترانه بالصلاة والصدقة(١) فكشفها و بين خصوصياتها(٢) وأن من استجمعها حصل له نور فى بياض انتشر له ضياء وهو من الاضاءة انتشار النور وهذا اكمل احوال النور قال تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا» وقال القرطبى: إن فسر الصبر بالصوم فالضياء النور وان اختلف لفظهما،وإن فسر بالاعم فهو إضاءة عواقب الاحوال وحسنها فى المآل اه. قال

---

١ ، ٢ يظهر أن فى هذين الموضعين سقطا ولم نعثر عليه فى الاصول الاربع التى بيدنا فليحرر . ع

والقرآن حجة لك أو عليك، كل

الفاكهاني :ولم أر من فرق بين الضياء والنور ، وقد فسر صاحب الصحاح النور بالضياء والضياء بالنور ،ورد بأن كون الضياء هو النور لانه خصوصية في النور وزائد عليه وابلغ منه ، قال : والحاصل ان النور الحادث قد يخلق كامل الضياء كالشمس ودون ذلك كالقمر، وإنما سوى القرطبي بينهما لئلا يلزم تفضيل الصوم على الصلاة وليس بلازم لان مناط الفضل ليس منحصرا بل له اسباب كثيرة واعتبارات متنوعة ، فيكون المفضول فاضلا في وقت وبالعكس اه . ( والقرآن ) أي كلام الله المنزل على حبيبه صلى الله عليه وسلم بقصد الاعجاز المتعبد بتلاوته ( حجة لك ) إن امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه فتحتج به في المواقف التي تسأل فيها عنه كسائل الملكين في القبر وكالمسأله عند الميزان وعند الصراط ( أو ) حجة (عليك) إن لم تمتثل أوامره ولم تجتنب نواهيه ،وقيل حجة لك في الدنيا على المطالب الشرعية والاحكام أو حجة عليك لخصمك المحق ، فالمرجع اليه عند التنازع، وهو دال على اتباع السنة وهي على حجية القياس ، والكتاب والسنة دالان على حجية الاجماع ، فصار القرآن مرجع جميع الاحكام لكن بواسطة تارة وبغيرها اخرى ، قال الفاكهاني والاول أظهر ، وقال العلائي والآثار شاهدة به ثم ساق احاديث منها للبيهقي بسند غريب عن جابر مرفوعا « القرآن شافع مشفع ، وما حل مصدق ،فمن جعله امامه ساقه إلى الجنة،ومن جعله خلفه ساقه إلى النار» ومنها عن ابي امامة مرفوعا « اقرءوا القرآن فأنه يأتي شفيعا لصاحبه يوم القيامة »قال العلائي بعد إيراده جملة من الاحاديث ورجح الزملكاني القول بذلك لهذه الآثار والحمل على مقتضى القولين أولى تكثيرا للفائدة ثم لما بين فضل هذه القربات ورغب فيها وكان إعمال النفس لها يقتضي سعيا اتبع ذلك بأن احدا لايترك نفسه هملا باطلة بل لا بد له من عمل يغدو له فقال ( كل

الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها : رواه مسلم

الناس يغدو ) أى يبكر فى مصالحه ( فبائع نفسه ) من الله ( فمعتقها ) من العذاب وناهيك بها صفة اغتنام ، اذ كان الثمن فيها دار السلام ، والنظر الى وجه الملك العلام ، قال الله تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » الآية . وهؤلاء سعوا فى خلاص نفوسهم وتوجهوا بقلبهم الى ربهم وطلب ماعنده ( او ) بائع نفسه لغير ربه من هواه أو الشيطان فهو ( موبقها ) أى مهلكها بالطرد عن ساحة الرضوان ، وبالبعد والحرمان ، نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه ، ويحتمل ان يكون المراد ببائع مشتر ، أى كلهم يسعى فمنهم من يشترى نفسه بالاعمال الصالحة فيعتقها من العذاب ومنهم من يعرضها للعذاب باكتساب المآثم فيوبقها ، ورجح بأن نفسه ليست ملكه فيبيعها بل مملوكة لله مرتهنة بأعمالها حتى يخلصها ، واختار القاضى عياض حمله علي المعنيين أي من اشتراها بالاعمال الصالحه اعتقها ، ومن باعها فى الاعمال السيئة أوبقها ، كما قيل فى « ولبئس ماشروا به أنفسهم لوكانوا يعلمون » وهذا علي قاعدة الشافعى فى حمل المشترك على معنييه ورد كل جملة إلى معنى ، وهو نوع من الايجاز بديع عند أرباب البيان ، لخصت معظم ماذكرته فى هذا الحديث من شرحه فقط للعلامة العلائى ( رواه مسلم ) ورواه احمد والدارمى فى مسنده وأبو عوانة فى صحيحه والترمذى فى الدعوات من جامعه وقال انه حسن صحيح والنسائى فى عمل اليوم والليلة ، وسها ابن عساكر وتبعه المزى فأغفلا فى اطرافهما عزو هذا الحديث للترمذى ، واخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير ، ووقع فى رواية ابى سلام عن ابى مالك الاشعرى اختلاف . فمن ذكرناهم رووه عنه عن ابى مالك بلا واسطة ، ورواه ابن ماجه وآخرون عنه عن عبدالرحمن بن غنم عن ابى مالك قال الحافظ السخاوى فى تخريج الاربعين للمصنف بعد كلام طويل نقله فى ذلك عن شيخه الحافظ :

وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنهما: أن ناسا من الانصار سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه

---

وبالجملة فالطريق الاولى (١) اعني كون ابي سلام سمعه من كل منهما وكون الصحابي في الطريقين واحدا . اولى

وعن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله عنه) الاولى عنهما لما سبق في ترجمته في باب التوبة من انه وأباه كانا صحابيين (أن ناسا) في تفسير البيضاوى أصله اناس لقولهم انسان وانس وأناسي، فحذفت الهمزة حذفها في لوقه (٢) وعوض عنها حرف التعريف ولذا لا يكاد يجمع بينهما ، مأخوذ من انس بوزن فرح لانهم يستأنسون بأمثالهم، أو من آنس (٣) لانهم ظاهرون مبصرون اه . وقيل مقلوب نسى ، وقيل مأخوذ من ناس ينوس اذا اضطرب وتحرك ، قال الحافظ ابن حجر في فتح البارى : لم يتعين لى اسماؤهم ألا ان النسائى روى عن ابي سعيد مايدل على أنه منهم ، وذلك انه قال « سرحتني امي الى النبي صلى الله عليه وسلم. يعني لاسأله من حاجة شديدة . فأتيته وقعدت فاستقبلني وقال من استغنى اغناه الله » الحديث وزاد فيه « ومن سأل وله أوقية فقد ألحف ، فقلت : ناقتي خير من أوقية فرجعت ولم أسأله » اه .( من الانصار ) بفتح الهمزة اسم اسلامى علم بالغلبة علي أولاد الاوس والخزرج سموا به لنصرتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه ( سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ) حذف المفعول الثاني لعدم تعلق الغرض به (فاعطاهم) أى عقب سؤالهم ولم يتوان لما جبل عليه من مكارم الاخلاق والسماحة ( ثم سألوه

---

١) بضم الهمزة وقوله أولى بفتح الهمزة خبر وما بينهما اعتراض ٢) بضم اللام وقد تسبق بهمزة مفتوحة طعام طيب أو زبد برطب . ع ٣) بمعنى أبصر كقوله تعالى « آنس من جانب الطور نارا » . ش

فأعطاهم حتي نَفِدَ ما عنده ، فقال لهم حين أنفق كلَّ شيء بيده « ما يكن من خير فلن أدَّخرَه عنكم ، ومن يستعفف يُعفَّه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر

---

فأعطاهم ) فتكرر منهم السؤال مرتين ومنه الاعطاء عقب كل مرة ( حتى نفد ) بكسر الفاء وبالدال المهملة ففي الصحاح نفد الشيء ينفد نفادا فنى ( ماعنده ) أى ذهب بالانفاق جميع ماعنده ( فقال ) عقب نفاده تنفيرا لهم من الاستكثار مما زاد على الحاجة من الدنيا ، وتحريضا على القناعة ، وحثا على الاستعفاف ، واللام فى ( لهم ) هي لام المبلغة ( حين انفق ) هو مختص بأخراج الشيء فى الخير ( كل شيء ) معد للانفاق كائن ( بيده : مايكن ) كذا هو بالجزم فيما وقفت عليه من نسخ مصححة من الرياض وهو كذلك فى أصل مصحح عندى من صحيح مسلم فتكون ماشرطيه وفى البخارى « مايكون » بالرفع قال الشيخ زكريا : فما موصول متضمن معنى الشرط وجوابه على الوجهين قوله فلن أدخره (عندى من) بيانية (خيرفان ادخره) بتشديد الدال المهملة وجاء اعجامها مدغما وغير مدغم وأصله ادتخر فقلبت التاء دالا على اللغة الاولى وذالا على اللغة الثانية ، والمعنى لا أجعله ذخيرة لغيركم معرضا عنكم ، أوفلا أخبؤه وأمنعكم إياه ( ومن يستعفف ) بفك الادغام فالفعل مجزوم بالسكون لفظا أى من طلب العفة عن سؤال الناس والاستشراف الى مافى أيديهم (يعفه الله) أى يرزقه العفة فيصير عفيفا قنوعا ، وفى النهاية : وقيل الاستعفاف الصبر والنزاهة عن الشيء يقال عف يعف عفة فهو عفيف وهو بفتح الفاء لانها أخف الحركات ، اوبكسرها لانها الاصل فى التخلص من التقاء الساكنين (ومن يستغن ) أى يظهر الغناء بالتعفف عما فى ايدي الناس (يغنه الله ) أى يجعله غنى النفس ولا غناء إلا غناؤها (ومن يتصبر ) أي يتكلف الصبر

يصبّره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاء خيرا وأوسع من الصبر» متفق عليه

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان

---

علي ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا بأن يتجرع مرارة ذلك ولا يشكو لغير مولاه (يصبره الله) أى يعطيه من حقائق الصبر الموصلة للرضى ما يهون عليه كل مشق ومكدر، واشرف مقام الصبر وعلوه لانه جامع لمكارم الاخلاق ومعالى الصفات فلا ينال شيئا منها إلا من تحلى به عقبه بقوله (وماأعطى أحد عطاء) مفعول ثان لاعطى أى ماأعطى أحد من خلق ولا مقام (خيرا) كذا هو بالنصب فى النسخ وفى البخاري : هو خير، وفى مسلم : خير، بحذف هو فى رواية، وفى رواية بنصب خير (وأوسع من الصبر) قال الشيخ زكريا خيرا هنا ليس بأفعل تفضيل بل هو كقوله تعالى « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا » اه . ومعنى كونه أوسع ان به تتسع المعارف والمشاهد والمقاصد، فأن قلت: مقام الرضى أفضل منه كما صرحوا به . قلت : هو غايته لانه لايعتد به إلا معه فليس أجنبيا عنه اذ الصبر من غير رضى مقام ناقص جدا (متفق عليه) وكذا أخرجه اصحاب السنن الاربع وزاد رزين «وقد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه» وهذه الزيادة أخرجها مسلم والترمذي من رواية عمرو بن العاص كذا فى التيسير للديبع

(وعن ابى يحيى صهيب) بضم المهملة وفتح الهاء بعدها تحتية ساكنة فموحدة (ابن سنان) بكسر المهملة ونونين بينهما الف ابن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر ابن جندلة بن جذيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس مناة بن النمر بن قاسط ابن هنساء بن أقصى بن دُعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار الربعي النمرى. كذا نسبه الكلبي وابونعيم، وصدر به ابن الاثير فى أسد الغابة ثم حكي فى نسبه قولين آخرين . كناه صلى الله عليه وسلم بأبى يحيى، وانما قيل له الرومي لان الروم

رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجبا لامر المؤمن! إنّ أمره كله له خير ، وليس ذلك لاحد إلا للمؤمن :

---

سبوه صغيرا فابتاعه منهم كلب، ثم قدموا به مكة فشراه عبد الله بن جذعان منهم فأعتقه وأقام معه الي ان هلك عبد الله، وقيل انه هرب من الروم لما كبر وعقل فقدم مكة وحالف ابن جذعان ، ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اسلم وكان من السابقين إلى الاسلام. قال الواقدى أسلم هو وعمار في يوم واحد وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلا وكان من المستضعفين بمكة الذين عذبوا، وقدم المدينة مع على بن ابى طالب فى النصف من ربيع الاول والنبي صلى الله عليه وسلم فى قباء لم يرم أى لم يبرح من مكانه بعد ، وآخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين الحارث بن الصمة ، شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وعن انس مرفوعا « السباق اربعة أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق فارس وبلال سابق الحبش » وكان عمر محبا لصهيب حسن الظن به حتي انه لما ضرب أوصى أن يصلى عليه صهيب وأن يصلى بالمسلمين حتي يتفق أهل الشورى على شخص . روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثون حديثا أخرج له مسلم ثلاثة أحاديث ولم يخرج له البخارى شيئا . توفى بالمدينة سنة ثمان وثلاثين وقيل تسع وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ودفن بالمدينة ( رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . عجبا) مفعول مطلق اى اعجب عجبا وتعجب ابن آدم من الشيء إذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه كما فى النهاية ( لامر المؤمن ) أى الكامل وهو العالم بالله الراضى باحكامه العامل على تصديق موعوده ( أن امره ) أى شأنه ( كله ) بالنصب تأكيد وبالرفع مبتدأ خبره ( له خير ) والجملة خبر إن ( وليس ذلك ) الخير فى كل شأن ( لاحد إلا للمؤمن ) الكامل ، ووضع الظاهر موضع الضمير دفعا للوهم وليشعر بالعلية أي

إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» رواه مسلم

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما ثُقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل

---

ان ايمانه الكامل سبب خيريته فى كل حال (إن اصابته سراء) بفتح السين وتشديد الراء المهملتين أى ما يسره (شكر) أى عرف قدر نعمة مولاه فشكره (فكان) شكره (خيرا له) من السراء التي نالها لكونه ثوابا أخرويا (وإن اصابته ضراء) أى ما يضره فى بدنه او مايتعلق به من أهل أو ولد أومال (صبر) واحتسب ذلك عند الله رجاء ثوابه ورضي به نظرا لكونه فعل مولاه الذى هو ارحم به (فكان) صبره فى الضراء (خيرا له) لانه حصل له بذلك خير الدارين أما غيركامل الايمان فأنه يتضجر و يتسخط من المصيبة فيجتمع عليه نصبها ووزر سخطه ولا يعرف للنعمة قدرها فلا يقوم بحقها ولا يشكرها فتنقلب النعمة فى حقه نقمة وينعكس عليه الحال نعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة ومن الحور بعد الكور (١) (رواه مسلم) وكذا رواه الامام احمد من حديث صهيب أيضا كما فى الجامع الصغير

(وعن انس رضى الله عنه) تقدمت ترجمته (قال لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم) بضم القاف من شدة المرض ورواه الديبع فى التيسير بلفظ لما احتضر بالبناء للمجهول من الاحتضار لكن فى اصله جامع الاصول كما هنا ولعل ماعند الديبع لفظ النسائى (جعل) من افعال

---

(١) قال ابن مالك فى شرح المشارق الحور بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بمعنى النقص . بعد الكور . بفتح الكاف وبالراء المهملة وهو لف العمامة يقال كار عمامته إذا لفها وحارها إذا نقضها يعنى نعوذ بك من أن تفسد امورنا بعد صلاحها واستقامتها . ع

يتغشاه الكرْب ،فقالت فاطمة رضى الله عنها : واكرب أبتاه فقال« ليس علي أبيك كرب بعد اليوم» فلما مات قالت: يا أبتاه

---

الشروع (يتغشاه) اى يغشاه (الكرب) لي وزن الضرب اى الشدة من سكرات الموت لعلو درجته وشرف رتبته . وفى الحديث « اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل » وقد أفرد بعض العارفين (١) فى هذا المعني مؤلفا سماه «القول الاجل فى حكمة كرب المصطفى عند حلول الاجل » وقد اوردته بجملته فى شرح الاذكار ( فقالت فاطمة رضى الله عنها وا ) للندبة ( كرب ابتاه ) قالته لما رأته حل به صلى الله عليه وسلم فتألم قلبها وباح بما فيه لسانها مع كمال صبرها ورضاها بفعل ربها ومثل ذلك لايقدح فى الكمال ، ففي الحديث «العين تدمع والقلب يجزع ولا نقول الا ما يرضى الرب » وهذ محمول علي انها لم ترفع صوتها بذلك وإلا لكان ينهاها ، ثم عند النسائى عن ثابت (٢) بدل « واكرب ابتاه » واكرباه ، والاول أصوب لقوله فى نفس الخبر ( فقال ) أى النبي صلى الله عليه وسلم (ليس على ابيك) أتى بالمظهر إيماء إلى ان سبب صدور ما تقدم من السيدة فاطمة هو البعضية وكونه صلى الله عليه وسلم أصلا لها ( كرب بعد اليوم) أى لا يصيبه نصب ولا وصب يجد له الما بعد اليوم لانه ينتقل من دار الاكدار إلى دار الآخرة والسلامة الدائمة ، إلى ما لا يعلم بأدناه من العطايا السنية والمراتب العلية فضلا عن اعلاه ، إلا من منحه وأولاه ، وقد ورد « لاراحة للمؤمن دون لقاء ربه» فكيف بسيد السادات فقد انتقل لمحل قرة عينه وراحة نفسه ودوام انسه ( فلما مات قالت ) فاطمة ( يا ) حرف ندبة ( أبتاه ) بأسكان الهاء واصله يا ابي فأبدلت الفوقية من التحتية لانهما

---

(١) هو الشيخ شمس الدين أحمد بن ابى الحسن البكرى .ش

(٢) فى الشمائل: عن ثابت عن أنس - ش

أجاب ربًّا دعاه. يا أبتاه جنةُ الفردوس مأواه، يا أبتاه الي جبريل ننعاه

---

من الحروف الزوائد، والالف هى التى تلحق آخر الاسم عند الندبة وكذا الهاء وتسمى هاء السكت لحقت آخر المنـدوب للوقف عليها ورأيته بضم الهاء فى نسخ الرياض ولم يظهر لى وجهه لان الهاء لاتلحق المندوب إلا فى الوقف وهى فيه ساكنة وتحذف وصلا، فالظاهر ان الضبط المذكور من بعض الكتاب ( اجابر بادعاه(١) إلى لقاه ( ياابتاه من ) اى الذى وحكي الطيبى عن نسخة من المصابيح كسر الميم على انها حرف جرو الاول أولى وفى نسخة من الرياض حذف من (جنة الفردوس) مبتدأ، والفردوس بستان يجمع كل مافى البسـاتين من شجر وزهر ونباق، قيل وهى رومية معربة، كذا فى تحفة القارى . وفى الجامع الصغير حديث « إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فانه سر الجنة » رواه الطبرانى عن العرباض مرفوعا والسر بالضم الوسط بمعنى الخيار لما فى حديث آخر عند البخارى فى كتاب الجهاد « انه وسط الجنة، وانه أعلى الجنة، وان سقفه عرش الرحمن » وخبر المبتدأ قوله ( مأواه ) أى منزله وعلى كسر الميم فهو مبتدأ خبره الظرف قبله (ياابتاه الى جبريل) بكسر الجيم والراء وإسكان الموحدة والتحتية بعدها لام وهو اسم عبرانى قيل معناه عبد الرحمن وقيل عبد الله . وفى جبريل احد عشر لغة ذكرتها فى اوائل شرح الاذكار . والظرف متعلق بقوله ( ننعاه ) أى نرفع خبره اليه: لان الانسان يذكر ماينزل به من الاحوال لاحبابه علي وجه الاخبار عما نزل . ولا يضر فى الـكمال إذا لم يكن فيه تسخط من القدر الالهى ولا تجزع بحال، قال العلقمى نقـلا عن الحافظ : زاد الطبرانى فى هذا الحـديث « ياابتاه من ربه ما ادناه » ويؤخذ من

---

١) الالف مبدلة من ياء المتكلم والمعنى أجاب ربى دعاه . ع

فلما دفن قالت فاطمة رضى الله عنها « أطابت أنفسُكم أن تَحثُوا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم التراب » رواه البخارى

---

الحديث جواز التوجع للميت عند احتضاره مثـل قول فاطمة « واكرب ابتاه » وانه ليس من النياحة : لانه صلى الله عليه وسلم أقرها على ذلك . واما قولها بعد ان قبض « وا أبتاه الخ ) فيؤخذ منه ان تلك الالفاظ اذا كان الميت متصفا بها لا يمنع ذكره بها بعد موته ، بخلاف ما اذا كانت فيه ظاهرا وهو فى الباطن بخلاف ذلك أولا يتحقق اتصافه بها فيـدخل المنع اه . ( فلما دفن ) بالبناء للمجهول ( قالت فاطمة رضى الله عنها ) جمـلة دعائية مستأنفة وعبر عنه بالماضى تفاؤلا بتحققه وأعاد ذكرها لطول الكلام بينه و بين ذكرها أولا ونظيره قوله تعالى « انـكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون» ( ياانس اطابت انفسكم ) وعند الدبيع كيف طابت انفسكم ( أن تحثوا ) أي بأن تحثوا ( على ) قبر ( رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ) قال الحـافظ : اشارت بذلك الى عتابهم على إقـدامهم على ذلك لانه يدل على خلاف ماعرفته فيهم من رقة قلوبهم وشدة محبتهم له وسكت انس عن جوابها رعاية لهـا ولسان حاله يقـول :لم تطب انفسنا بذلك إلا أنا قهرنا على فعله امتثالا لامره اه . وروى انها انشدت :

ماذا على من شم تربة أحمد ألا يشم مـدى الزمان غواليـا

صبـت علىّ مصـائب لو أنها صبت على الايام عـدن لياليا

(رواه البخارى ) فى آخر المغـازى من صحيحه وكذا رواه النسائى وابن ماجه فى الجنائز وأخرجه ابن ماجه أيضا والترمذى فى الشمائل بلفظ «لما وجد رسول الله صـلى الله عليه وسلم من كرب الموت ما وجد قالت فاطمـة وا كرب ابتاه »

## وعن أبى زيدٍ أسامةَ بنِ زيد بن حارثةَ مولىَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وحِبه وابن حبه

الحديث كذا فى الاطراف ومناسبة إيراده فى باب الصبر صبره صلى الله عليه وسلم على ما هو فيه من سكرات الموت وشدائده ورضاه بذلك وتسكين ما نزل بالسيدة فاطمة من مشاهدة ذلك بقوله: لا كرب على ابيك بعد اليوم. أى فهذا التعب الشديد يحتمل لقصر زمانه ، بل هو محبوب الكونه فعل الله سبحانه ولما يترتب عليه من الوصول إلى منازل الاحباب ونزل الكريم التى أعدها لنبيه ، فلا يعلم أدناها فضلا عن اعلاها غير من أولاه إياها

( وعن أبى زيد ) وقيل كنيته أبو محمد وقيل ابو يزيد وقيل أبو خارجة (أسامة) بضم الهمزة بعدها سين مهملة ( ابن زيد بن حارثة ) بمهملتين بينهما الف وبعد الثانية مثلثة ابن شراحيل بن كعب بن عبد العزيز بن زيد بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة ابن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب الـكلبي نسبا الهاشمى ولاء كما قال المصنف ( مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ) ولاء عتاقة منه صلى الله عليه وسلم على ابيه وسرى منه لابنه ( وحبه وابن حبه ) بكسر الحاء فيهما أي حبيبه . فى الصحاح الحب الحبيب مثل خدن وخدين اه . روى ابن عبد البر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن أسامة لاحب الناس إلى. أو من احب الناس الى ، وانى لارجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيرا » وفى أسد الغابة أن عمر رضى الله عنه لما فرض للعطاء جعل لابنه عبد الله الفين ولاسامة خمسة آلاف. فقال له فى ذلك عبد الله فقال عمر :فضلته لانه كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

رضى الله عنهما قال أرسلَت بنْت النبي صلى الله عليه وسلم: إن ابنى

---

منك وكان ابوه أحب اليه من أبيك. زاد صاحب الشفاء فقدمت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم (رضى الله عنهما) الاولى رضى الله عنهم لان حارثة والد زيد صحابى أيضا، وفى أسد الغابة روى أسامة بن زيد بن حارثة «أن النبى صلى الله عليه دعا حارثة الى الاسلام فشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم» أخرجه ابن مندة وأبو نعيم اه. وأم أسامة هي بركَة الحبشية أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته فأيمن اخو أسامة لامه، وامر صلى الله عليه وسلم أسامة على جيش فيهم عمر بن الخطاب وأمره بالمسير الي الشأم، فلما اشتد المرض بالنبى صلى الله عليه وسلم أوصى أن يسير جيش أسامة، فساروا بعد موته وقول ابن مندة «إن النبى صلى الله عليه وسلم أمر أسامة فى غزوة مؤتة» غلط. روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وثمانية وعشرون حديثا أخرج له منها فى الصحيحين سبعة عشر حديثا اتفقا منها على خمسة عشر وانفرد البخاري بحديثين توفى بالجرف بعد قتل عثمان وحمل إلى المدينة. قال أبو عمر. الاصح عندى أنه توفى فى سنة أربع وخمسين وقيل سنة ثمان وقيل سنة تسع وخمسين (قال) أسامة (أرسلت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) هى زينب كما فى مصنف ابن أبى شيبة اليه (إن ابنى) الذى استظهره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى وقال انه الصواب أن المراد منه أمامة بنت زينب كما ثبت فى مسند الامام أحمد بسند الحديث المذكور عند البخارى ولفظه: أتى النبى صلى الله عليه وسلم بأمامة بنت زينب. ولا يشكل عليه أن أمامة عاشت بعده صلى الله عليه وسلم حتى تزوجها على ابن أبى طالب وقتل معها لانه ليس فى حديث الباب ما يدل علي انها قبضت حينئذ

قد احتُضِر فاشهدْنا فأرسلَ يقْرئ السلامَ ويقول« إن لله ما أخذَ وله ما اعطى ، كل شيء عنده بأجلٍ مُسمى، فلتَصبر ولتحتَسب »

---

قال الحافظ ابن حجر: ولعل الله اكرم نبيه لامتثاله لامر ربه وصبر ابنته ولم يملك مع ذلك عينيه من الرحمة والشفقة بأن عافى ابنة ابنته فى ذلك الوقت فعاشت تلك المدة وهذا ينبغي أن يذكر فى دلائل النبوة اه . وعلى كونه صبيا ذكرا فيحتمل أنه ولد زينب واسمه على أو عبد الله بن عثمان بن رقية أو محسن بن على بن فاطمة . قال الحافظ وهذا أعنى تقدير كونه ذكرا أقرب (قد احتضر) بالبناء للمجهول أى حضرته مقدمات الموت ( فاشهدنا ) أى احضرنا( فأرسل يقرىء السلام ) بضم أوله وهو مهموز والجملة المضارعية حال من فاعل ارسل ( ويقول ان لله ما أخذ ) فلا ينبغى الجزع من أخذه لان صاحب الحق اذا أخذ حقه لايجزع منه ، وقدم ذكر الاخذ على الاعطاء وان كان متأخرا فى الواقع اهتماما بمايقتضيه المقام ( وله ما أعطى ) يعنى أن الله تعالى إذا أعطى عباده شيئا فلا يخرج بذلك الاعطاء عن ملكه بل هو باق عليه ،بخلاف إعطاء المخلوق لمثله قيل ويحتمل أن يراد بقوله «ما اعطى» ما اعطاه من الثواب على المصيبة أو الحياة لمن بقى بعد الموت أو ماهو أعم من ذلك وما ، فى الموضعين مصدرية أى لله الاخذ والاعطاء ،ويحتمل أن تكون موصولا اسميا فيكون العائد محذوفا أى ما أخذه وما أعطاه ( وكل شيء ) بالرفع جملة ابتدائية معطوفة على الجملة قبلها ، ويجوز النصب عطفا على اسم إن فيستحب التأكيد عليه ، وقوله كل شيء أي من الاخذ والاعطاء أو الانفس أو ماهو أعم من ذلك ( عنده )والمراد منه عندية العلم مجازا للملازمة بينهما ( بأجل مسمى ) أي معلوم مقدر فمحال أن يتقدم عليه أو يتأخر عنه والاجل يطلق على الجزء الاخير وعلى مجموع العمر ( فلتصبر )على مقادير الله (ولتحتسب) أى تنوى بصبرها طلب الثواب

فأرسلَت اليه تقسمُ عليه ليأتينَّها، فقام ومعه سعد بن عبادةَ ومعاذ بن جبل وأبيُّ بن كعب وزيد بن ثابت ورجال رضى الله عنهم، فرُفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي، فأقعده فى حجره ونفسُه تَقعقَع، ففاضت عيناه

---

من ربها ليحسب لها ذلك من عملها الصالح (فأرسلت اليه) أي عقب مجيء رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها كما يدل عليه العطف بالفاء التعقيبية (تقسم عليه ليأتينها) جاء فى حديث عبد الرحمن بن عوف: انها راجعته مرتين وانه قام فى ثالث مرة وكانها ألحت فى ذلك لما ترجوه من دفع ما تجده من الالم عند حضوره ببركة حضوره صلى الله عليه وسلم، وقد حقق الله رجاءها، وكان امتناعه صلى الله عليه وسلم أولا للمبالغة فى اظهار التسليم لامر الله ولبيان الجواز فى أن من دعى لمثل ذلك لا تجب عليه الاجابة بخلاف الوليمة (فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت ورجال رضى الله عنهم) الجملة حال من فاعل قام وجملة رضى الله عنهم مستأنفة، وقد سمى منهم غير من ذكر فى غير هذه الرواية عبادة بن الصامت وأسامة راوى الحديث وعبد الرحمن بن عوف (فرفع) بالراء مبنى للمجهول وفى الكلام حذف دل عليه المقام اذ تقدير الكلام فمشوا الى أن وصلوا الى بيتها واستأذنوا فأذن لهم فدخلوا فرفع (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبى فاقعده) أي وضعه (فى حجره) بفتح الحاء وكسرها وسكون الجيم، الحضن (ونفسه تقعقع) بفتح التاء والقافين أى تضطرب وتتحرك زاد فى رواية للبخارى كأنها شن وفى لفظ آخر كأنها فى شنة(١) (ففاضت عيناه) أى النبى صلى الله عليه وسلم وجاء التصريح به فى رواية

---

١) فى المختار، الشن والشنة أى بفتح الشين القربة الخلق ا هـ. وفي شرح مسلم للمصنف: الشنة القربة البالية، ومعناه انها صوت وحشرجة كصوت الماء إذا ألقي في القربة البالية ا هـ.

فقال سعد : يارسولَ الله ما هذا ؟ فقال « هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده » وفى رواية : فى قلوب من شاء من عباده و إنما يرحم الله من عباده الرحماء؛ متفق عليه

---

شعبة ( فقال سعد ) أى ابن عبادة مستبعداً مارآه منه لما يعلمه من عادته صلى الله عليه وسلم من مقاومة المصيبة بالصبر عليها ووقع عند ابن ماجه: فقال عبادة بن الصامت. والصواب ما فى الصحيح إن أخذ بالترجيح ، وإلا فلا منافاة لامكان صدوره من كل منهما ( يارسول الله ما هذا ) أى فيض الدمع وجاء فى رواية : قال سعد بن عبادة أتبكى ؟ زاد أبو نعيم فى المستخرج : وتنهى عن البكاء . ( فقال ) صلى الله عليه وسلم (هذه) أى الدمعة أثر (رحمة جعلها الله فى قلوب عباده) اى بعض عباده بدليل قوله (وفى رواية قلوب من شاء من عباده )أى ومثل هذا الفيضان الناشىء عن حزن القلب من غير تعمد من صاحبه ولا استدعاء لامؤاخذة عليه فيه ، إنما النهي عن الجزع وعدم الصبر أوعما كان مع نوح أو ندب ( وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) بالنصب على أن «ما» فى إنما كافة وبالرفع على أنها موصولة والرحماء جمع رحيم وهو من صيغ المبالغة ،وقضيته أن رحمته تعالى تختص بمن اتصف بالرحمة الكاملة بخلاف من فيه رحمة ما، لكن قضية خبر ابى داود وغيره «الراحمون يرحمهم الرحمن» انها تشمل كل من فيه رحمة ما إذ الراحمون جمع راحم وهذا هو الاوجه ، وإنما بولغ فى الاول لان القصد به الرد على من استبعد جواز فيض الدمع ، ولان لفظ الجلالة فيه دال على العظمة فناسب فيه التعظيم والمبالغة ، ولما كان الرحمن يدل على المبالغة فى العفو ذكر مع كل ذى رحمة وان قلت .قاله ابن الحوفى (متفق عليه) فى الديبع بعد اخراج الحديث الى قوله «ولتحتسب» ما لفظه اخرجه الخمسة إلا الترمذى

ومعنى « تقعقع » تحركُ وتضطرب

وعن صُهيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كان ملكٌ فيمن كان قبلكم ،وكان له ساحر ، فلما كبِر قال للملك: إني قد كبرتُ فابعث إليّ غلاما أعلمُه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه ،

---

(ومعنى تقعقع) بفتح الفوقية والقافين مضارع حذفت احدى تاءيه تخفيفا ( تتحرك وتضطرب ) والقعقعة حكاية صوت الشيء اليابس اذا حرك

(وعن صهيب) بضم المهملة وفتح الهاء وسكون التحتية مصغر تقدمت ترجمته ( رضى الله عنه ) فى الحديث الثانى من احاديث الباب ( أن ) بفتح الهمزة هي ومدخولها فى تأويل مصدر مبتدا خبره الظرف قبله ،أى عن صهيب قول رسول الله ويجوز الكسر على إضمار القول أى أروى عن صهيب حال كونه قائلا إن (رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان ملك ) بكسر اللام أي ذو ملك بضم الميم (فيمن كان قبلكم ) من الامم السابقة (و كان له ساحر)وعند الترمذى كان لبعض الملوك كاهن يتكهن له .أى والروايات يفسر بعضها بعضا (فلما كبر) بكسر الموحدة أى كبرت سنه ، أما كبر بضم الموحدة ففى القدر قال تعالى: كبرت كلمة (قال للملك إنى قد كبرت فابعث ) أى أرسل (إلى غلاما) زاد فى رواية الترمذى :فهما . أو قال : فطنا. نعتان ، والغلام لغة الصبى من الفطام إلى البلوغ ( أعلمه السحر ) جملة مستأنفة جوابا للسؤال المقدر وهو: ماتفعل به ؟ وعند الترمذى « أعلمه علمى فأنى أخاف أن أموت وينقطع عنكم هذا العلم ولايكون فيكم من يعلمه قال، فنظروا له على ملوصف » (فبعث اليه غلاما يعلمه) ذكر القرطبي فى التفسير أن الضحاك روى عن ابن عباس« كان ملك بنجران وفى رعيته رجل له ابن ، واسم الغلام عبد الله بن

وكان في طريقه اذا سلك راهب ، فقعد اليه وسمع كلامه، وكان اذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد اليه ، فاذا أتى الساحر ضربه، فشكاذلك الى الراهب ، فقال: اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي ، واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر ، فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبسَتِ الناس ،

---

تامر» ثم ساق القصة بنحو ماعند مسلم ( وكان في طريقه ) أي الغلام ( اذا سلك الى الساحر راهب ) هو المتعبد من النصارى المتخلي من أشغال الدنيا التارك لملاذها بالزهد فيها الصابر على مشاقها المعتزل عن أهلها (فقعد) الغلام (اليه) أي الى الراهب (وسمع كلامه فأعجبه) زاد الضحاك في روايته « فدخل في دين الراهب » وعند الترمذي «فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب عن معبوده كلما مر به ، فلم يزل حتى اخبره، فقال إني اعبد الله» (وكان) الغلام (إذا أتى) أي أراد أن يصل (إلى الساحر مر بالراهب) لكونه في طريقه (وقعد اليه) لمحبته لتهجه (فاذا أتى الساحر) ووصل اليه ( ضربه) وعند الترمذي «أن الكاهن أرسل إلى أهل الغلام إنه لايكاد يحضرني » ( فشكا ذلك إلى الراهب فقال) أي الراهب (إذا خشيت الساحر) لتخلفك عندي في الذهاب اليه (فقل حبسني) أي منعني (أهلي) أي شغلهم وجوز ذلك إن قيل باسلامه واستقامته لانه رأى أن مصلحة تخلفه عنده تزيد علي مفسدة تلك الكذبة، فهو نظير الكذب لاصلاح الخصمين ، أو انه من باب الكذب لانقاذ المحترم من التعدي عليه بالضرب (واذاخشيت أهلك ) لتخلفك عندي في العود من عند الساحر (فقل حبسني الساحر فبينما هو على ذلك ) المذكور من التردد بين الرجلين ( إذ أتى على دابة عظيمة ) عند الترمذي قال بعضهم إن تلك الدابة كانت أسدا ( قد حبست الناس ) أي

فقال اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا فقال: اللهم ان كان أمرُ الراهب أحبَّ اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتي يمضيَ الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتي الراهبَ فأخبره، فقال له الراهب : ايْ بنيَّ انت اليوم افضلُ مني، قد بلغ من امرك ما ارى وإنك ستُبتَلى،

---

منعتهم من المرور لخوفهم من صولتها ( فقال ) الغلام ( اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل )أى ينكشف لى ذلك (فأخذ) الغلام ( حجرا فقال اللهم ان كان أمر الراهب) أى ماهو فيه الشؤون والامور (أحب اليك من أمر ) أى حال وشأن (الساحر فاقتل هذه الدابة ) أى عقب وصول الحجر اليها ، ليكون ذلك آية على أحبية الراهب عندك وقوله (حتي يمضى الناس ) يصح أن يكون غاية مترتبة على السؤال وأن يكون علة له (فرماها) الغلام ( فقتلها) بتلك الرمية، وإسناد القتل اليه مجاز عقلى لكونه السبب الصورى فى ذلك والفاعل حقيقة هو الله سبحانه وتعالى . وفى الحديث إثبات كرامات الاولياء ، وإهانة أعداء الله الاغبياء (ومضى الناس )أى انطلقت السنتهم بالثناء عليه بالعلم وعند الترمذى « ففزع الناس وقالوا قد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد » ويحتمل أن يكون المراد فمضى الناس فى تلك السبيل لزوال المانع من سلوكها (فأتى) الغلام (الراهب فأخبره ) فيه وفيما بعده من جهة حكايته صلى الله عليه وسلم له وعدم إنكاره أنه لا بأس بذكر الانسان مفاخره وحمد الناس له والثناء عليه بحضوره إذا لم يترتب عليه فتنة من نحو عجب (فقال له الراهب أى بنى أنت اليومَ) المراد منه الحينَ كما فى يومئذ (افضل منى قد بلغ من امرك ما أرى ) اى من كمال اليقين وصدق الاعتقاد وقوله « قد بلغ الخ » كالتعليل لما قبله (وإنك ستبتلى) بالبناء للمجهول

فان ابتُليت فلا تدل عليّ ، وكان الغلام يبرىء الأكْمه والابرص ويداوى الناس من سائر الادواء، فسمع جليس للملك كان قد عمى. فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما هاهنا لك

---

ثم يحتمل أن يكون هـذا منه بطريق الكشف فيكون كرامة ، أو بطريق الفراسة أو بطريق العادة والتجربة اذ من خالف النـاس فى منهجهم ابتلوه وآذوه (فان ابتليت ) بالبناء للمجهول ، وأتى بحرف الشك ثانيا مع تحقيقه ذلك أولا وتأكيده لان ذلك بحسب ماقام عنده مما يقتضى وقوع ذلك حتى جزم به وأخبر عماعنده منه ، وما هنا باعتبار الواقع وما يبرز فى عالم الشهادة : فأن الفراسة قد تخـطىء ، والتجربة قد تتخلف ، والكشف قد يعارض ، أو قصـد به التخفيف عن الغلام فلا يخاطبه بجملتين تدلان يقينا على الابتلاء لئلا يصير فى الـكرب قبل حـلول البلاء ( فلا تدل ) بضم المهملة ( على ) بتشديد الياء ( وكان ) أى صار ( الغـلام يبرىء الاكمه ) اى يحصل البرء عقب علاجه فالاسنـاد اليه مجاز عقلى والاكمه بفتح الهمزة وسكون الـكاف هو الذى ولد أعمى ( والابرص )اى من وقع به البرص داء معروف ( ويداوى الناس من سائر ) أى جميـع ( الادواء ) أى الامراض والاسقام جمع داء والجملة معطوفـة على« يبرىء الخ » عطـف عام على خاص وخصا بالذكر لانهما داءا إعياء ( فسمع ) أى به وهى ثابتة فى الحديث فى نسخة مصححة من التيسير للديبع غير انى لم أر ذلك فى أصله جامع الاصول فلعله من الكاتب ( جليس للملك كان قد عمى فأتاه ) أى فأتى الجليس الغلام (بهدايا كثيرة) (فقال) الجليس ( ما ) أى الذى ( ها هنا ) أى فى هذا المـكان من الهدايا كائن ( لك أجمع ) تأكيد لما أو للضمير المنتقل للظرف المستقر ، وما مبتدأ خبره لك ،

انْ انت شفيتني ،قال: اني لا اشفي احدا انما يشفى الله تعالى،فان آمنتَ بالله تعالى دعوتُ الله فشفاك ، فآمن بالله تعالي فشفاه الله تعالى،فأتى الملكَ فجلس اليه كما كان يجاس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك ؟قال:ربي.

---

وها هنا صلة الموصول ، ورواه الديبع بلفظ هي لك ولعل نسخته من مسلم كانت كذلك ( إن أنت شفيتنى )أي إن شفيتنى أنت لا غيرك كما يؤذن به المقام،فان شرطية وفعل الشرط محذوف ولما حذف انفصل الضمير المتصل به،وقوله «شفيتني» تفسير لفعل الشرط المحذوف وجواب الشرط محذوف لدلالة سابق الكلام عليه أي إن شفيتني فلك جميع ما هاهنا ( فقال)الغلام ( إنى لا اشفى أحدا إنما يشفي الله تعالى) بفتح حرف المضارعة فيهما ، والجملة الثانية مؤكدة لمضمون ما قبلها ، أى اذا كان لا يشفى احد الا الله فلا أشفي أحدا إذ لا شفاء إلا شفاؤه سبحانه،وحذف المفعول من يشفي لعدم تعلق الغرض به نحو : زيد يعطى ويمنع . لبيان انه يقع منه هذان الصنفان من غير تعرض لبيان المعطي والممنوع ، أو للتعميم ( فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك ) من عمالك الحسى كما شفاك بالايمان من عمالك المعنوي ( فآمن ) أى الجليس ( بالله تعالى ) عقب قول الغلام لسبق العناية به ، وليترتب عليه ما سبق ترتبه عليه فى علم الله سبحانه ( فشفاه الله ) أى حصل له الشفاء الموعود بترتبه على الايمان ليزداد يقينه ، وزاد الترمذي « أنه أخذ عليه العهد إن رجع اليه بصره ، أن يؤمن بالذي رده عليه ، فقال نعم ،فدعا الله تعالى فرد عليه بصره،فآمن الاعمى» وما فى الصحيح مقدم على ما فى غيره عند التعارض ( فأتى )الجليس (الملك) بكسر اللام ( فجلس ) مفضيا ( اليه ) جلوسا (كما كان يجلس ) أى ان جلوسه بعد شفائه مماثل لجلوسه قبل حلول دائه ( فقال له الملك من رد عليك بصرك ) أى إدراكك للمبصرات ( قال ربى) أى رده ربى ، او ربى رده فالاول مراعاة للخبر والثانى

قال أولك رب غيري. قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام، فقال له الملك: اى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل. فقال إنى لا اشفى احداً انما يشفى الله تعالى،

---

للمبتدا (قال) يعنى الملك (ولك رب غيرى ؟) بتقدير همزة الاستفهام الانكارى قبل العاطف أى اولك رب غيرى (قال) يعنى الجليس (ربى) اي مالكى ومربى بألطافه (وربك) كذلك (الله) خبر عن قوله ربى لان المختلف فيه بينهما تعيينه ففيه قصر قلب (فأخذه فلم يزل) الملك (يعذبه) بتشديد الذال والتضعيف: إما باعتبار انواع العذاب، او باعتبار شدته وغلظه، ليدل على من علمه ماهوفيه (حتى) غائية (دل على الغلام فجيء بالغلام) اى فأمر بالغلام فجيء به، ووضع الظاهر موضع المضمر دفعا لايهامه ان المراد فأتى بالجليس (فقال له الملك اى بنى) بضم الموحدة وفتح النون وكسر التحتية المشددة ويجوز فتحها اصله «بنيو» اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فأبدلت الواو ياء وادغمت فى مثلها ثم اضيف للياء فاجتمعت ثلاث ياءات فحذفت الثالثة تخفيفا، وكسرت الثانية فى لغة للدلالة على المحذوفه، وفتحت وسكنت فى اخرى تخفيفا. قاله على سبيل التلطف به اوعلى ماجرت به العادة من مخاطبة الكبير للصغير (قد بلغ من سحرك ما) موصول اسمى او نكرة موصوفه (تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل) كناية عن كثرة تصرفاته ومزيد اعماله، وفى نسخة: وتفعل ما تفعل (فقال انى لا اشفي احدا) ردلما يفهم من كلام الملك حيث نسب اليه ابراء المريض دون الله عز وجل، ثم اثبت الغلام ذلك لله وحده بقوله (انما يشفى الله تعالى) فهو قصر قلب وما كافة وانما أداة حصر

فأخذه فلم يزل يعذّبه حتي دَلَّ على الراهب ، فجيء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مَفرِق رأسه ، فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك فأبى ، فوَضع المنشار فى مَفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بالغلام ، فقيل له ارجع عن دينك ، فأبى فدفعه الى نفر من اصحابه ،

---

على الصحيح كما تقرر فى الاصول ( فأخذه ) اى اخذ الملك الصبى (فلم يزل يعذبه) يدل على من علمه ما هو فيه (حتى) غائية اى كان غاية تعذيبه ان (دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك ) حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض ، ودينه هو ما دل عليه كلامه وصرح به من عبادة الله عز وجل ( فأبى ) اى امتنع اشد الامتناع ( فدعى بالمئشار ) بالهمزة فى رواية الا كثرين وهو الافصح ويجوز تخفيف الهمزة وقلبها ياء وروى « بالمنشار » بالنون لغتان صحيحتان إذ يقال أشرت الخشبة ونشرتها ( فوضع المئشار ) بالبناء للمجهول (فى مفرق رأسه ) بكسر الراء وسطه (فشقه حتي وقع شقه )على الارض (ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى) أى امتنع أشد امتناع (فوضع المئشار ) بالهمزة وبالنون (فى مفرق) بفتح الميم وكسر الراء أى مكان فرق شعر (رأسه فشقه) مستعينا (به ) أي بالمئشار ، واستمر يشقه (حتي وقع شقاه) بكسر الشين المعجمة أى جانباه على الارض (ثم جيء بالغلام) ولعل تأخيره حتي يرى مافعل بصاحبه فيرجع عما هو عليه ( فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر) بفتح أوليه اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة مابين الثلاثة إلى العشرة ولا واحد له من لفظه (من اصحابه) اى الملك اى أتباعه وخدمه او من اصحاب الغلام ويؤيده قوله فيما يأتى مافعل أصحابك فقصد به زجرهم

فقال . اذهبو به الى جبلِ كذا وكذا ، فاصعَدوا به الجبل ، فاذا بلغتم ذِروَتَه فان رجع عن دينه والا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل ، فقال اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك ، فقال له الملك ، ما فعل اصحابك ؟ فقال ، كفانِيهِمُ اللّٰه تعالى ، فدفعه الى نفر من اصحابه ، فقال : اذهبوا به فاحملوه فى قَرقُور ، وتوَسَّطوا به البحر ،

---

عن أن يقعوا فيما تسبب عنه عذابه (فقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ) من الفاظ الكنايات يكنى بها عن المجهول وعما لا يراد التصريح به قاله فى النهاية (فاصعدوا به الجبل ، فأذا بلغتم ذروته فأن رجع عن دينه فاتركوه ، بدليل (وإلا فاطرحوه) أى وإلا يرجع فاطرحوه فحذف فعل الشرط لدلالة سابق الكلام عليه ( فذهبوا به فصعدوا )بكسر العين المهملة (به) أى جعلوه صاعدا أو صعدوا بسببه أو معه (الجبل فقال) الغلام (اللهم اكفنيهم بما شئت) أى بمشيئتك ، فما مصدرية أو موصول ، أى بالذي شئت من انواع الكفاية إما بأهلاكهم أو بغيره ( فرجف ) بفتح أوليه الراء فالجيم ، أى تحرك واضطرب (بهم الجبل فسقطوا) اى بسبب اضطرابه . وفيه نصر من توكل على الله سبحانه وانتصر به وخرج عن حول نفسه وقواها (وجاء) الغلام (يمشي الي الملك ) ليريه آية الله تعالى بنصر أهل دينه لينكشف عن قلبه حجب الغواية فيرجع الى الايمان (فقال الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله تعالى ) وحاق سوء فعلهم بهم (فدفعه إلى نفر )آخرين (من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور) فى النهاية هي السفينة العظيمة[1] وجمعها قراقير (وتوسطوا به البحر) أى

---

(١) قوله العظيمة الذى فى شرح مسلم قيل صغيرة وقيل كبيرة . ع

فإن رجع عن دينه والا فاقذفوه ، فذهبوا به فقال ، اللهم اكفنيهم بما شئت،فانكفأت بهم السفينة فغرِقوا وجاء يمشى الى الملك، فقال له الملك مافعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى، فقال للملك، انك لستَ بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به قال: ما هو ؟ قال تجمعُ الناسَ فى صعيد واحد وتصلُبنى على جذع ، ثم خذ سهْما من كِنانتى ، ثم ضَع السهمَ فى كَبدِ

---

ليبعد الغور فيتعذر الخلاص (فأن رجع عن دينه ) فاتركوه (وإلا ) أى والا يرجع عنه(فاقذفوه )بكسر الذال المعجمة ،أى ارموه بقوة (فذهبوا به ) حتي بلغوا وسط البحر (فقال )الغلام (اللهم اكفنيهم بماشئت فانكفأت بهم السفينة ) أى انقلبت بهم (فغرقوا )يحتمل أنه كان معهم فى القرقور فنجاته دونهم آية وهذا هو الاقرب ويحتمل انه كان فى قرقور آخر فغرق قرقورهم ونجا ماكان هو فيه ( وجاء ) الغلام (يمشى إلى الملك) ليريه الآيات الكبرى المرة بعد الاخري ليبصر ضياء الايمان ، ولكن لا تبصر أعين العميان (فقال له الملك مافعل اصحابك؟قال كفانيهم الله تعالى فقال ) الغلام ( للملك : إنك لست بقاتلى ) أى فى أى حال من الاحوال كما يقتضيه تأكيد النفى بزيادة الباء فى الخبر (حتي تفعل) أى إلا فى حال أن تفعل ( ما آمرك به قال ) الملك ( ماهو ) أى أى شيء الامر الذى تأمرنى به ( قال ان تجمع الناس فى صعيد واحد ) أى أرض واحدة ومقام واحد (وتصلبنى) بضم اللام من الصلب وهو تعليق الانسان للقتل ، وقيل شد صلبه علي خشبة . كذا فى مفردات الراغب ( على جذع ) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة أى عود من أعواد النخل،وجمعه جذوع ( ثم خذ سهما من كنانتي ) بكسر الكاف وبنونين بينهما الف بيت السهام ( ثم ضع السهم فى كبد ) بفتح فكسر ، أو بفتح أو كسر مع سكون

القوس، ثم قل باسم الله رب الغلام، ثم ارم فأنك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع
الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم
في كبد القوس ثم قال باسم الله رب الغلام ثم رماه، فوقع السهم في صُدْغه
فوَضع يده في صدغه

---

للثانى فيهما ، أى وسط ( القوس ثم قل ) أتى بثم لتفاوت منزلة ما بعدها وما قبلها
وهى قد تستعار لذلك كما فى الكشاف فى قوله تعالى « ثم افيضوا من حيث أفاض
الناس » وإلا فمقتضى المقام الاتيان بالفاء لان ذلك الذكر مطلوب منه عقب وضع
السهم فى كبد القوس بلا مهلة ( باسم الله ) قال المصنف فى شرح مسلم نقلا عن
الكتاب : إنها تكتب فى هذا وأمثاله بأثبات الالف بعد الموحدة . قال : وإنما
تحذف اذا كانت البسملة بجملتها لكثرته كذلك فخفف بحذفها ( رب الغلام )
تمم به الغلام لئلا يوهم الملك الحاضرين أن الغلام أراد بقوله باسم الله معبود ذلك
الملك أو الملك ، وإن كان لفظ الجلالة لم يسم به غير الله تعالى ، ونظيره ما حكى عن
السحرة « قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون » وإلا فالجلالة أعرف الاسماء
ومتعلق الاوصاف الحسنى ( ثم أرمنى فأنك إذا فعلت ذلك ) المذكور ( قتلتنى )
إسناد القتل اليه مجاز عقلى أى أتيت بما جعله الله سببا لقتلى ، وقصد الغلام من
هذا الكلام إفشاء توحيد الله تعالى بين الناس واظهار أن لا مؤثر فى شيء سواه،
ولم يفطن الملك لذلك لفرط غباوته ( فجمع ) الملك (الناس فى صعيد) مقام(واحد
وصلبه ) الضمير المستكن يعود للملك والبارز للغلام ( علي جذع ثم أخذ سهما من
كنانته ) أى كنانة الغلام ( ثم وضع السهم فى كبد ) وتر ( القوس ثم قال باسم
الله رب الغلام ) أى أرميه لاقتله ( ثم رماه فوقع السهم فى صدغه ) بضم الصاد
وسكون الدال المهملتين هو ما بين العين الى شحمة الاذن ( فوضع الغلام يده فى )

فمات . فقال الناس . آمنّا برب الغلام. فأُتِيَ الملكُ ، فقيل له . أرأيتَ ماكنتَ تحذَر ، قد والله نزل بك حَذَرُك قد آمن الناسُ فأمر بالاخدود بأفواه السكك نخدَّت ، وأضرم فيها النّيرانُ ، وقال من لم يَرجع عن دينه فأقحموه فيها ـ وقيل له اقتحم ـ ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها ،

---

أى على ( صدغه ) لتألمه من السهم ( فمات فقال الناس ) لما رأوا الآية العظمى الشاهدة لله تعالى بالوحدانية وأنه الفاعل المختار ولا فاعل سواه وأنه هو الاله (آمنا برب الغلام ، فأتى ) بصيغة المجهول ( الملك ) أي حين وقع فيما حذرمنه من توحيد الله تعالى والايمان به ( فقيل له أرأيت ) بفتح التاء أى اخبرنى ( ماكنت تحذر ) مامبتدأ والجملة صلته والعائد محذوف أى تحذره، والخبر (قد والله نزل بك حذرك) أى ما كنت تحذر منه من إيمان الناس وقع بك، والفصل بين قد ومدخولها بالقسم للتأكيد والاهتمام الذى يقتضيه المقام ( قد آمن الناس ) تفسير للذى كان يحذرمنه ( فأمر ) بالبناء للفاعل أي الملك أو بالبناء للمفعول (بالاخدود) بضم الهمزة والدال المهملة الاولى وسكون المعجمة بينهما والواو بين الدالين ( بأفواه السكك ) الافواه جمع فوه ، والسكك بكسر أوله المهمل وفتح ثانيه جمع سكة وهى الطرق ،والمراد من افواهها أبوابها ( فخدت ) بضم الخاء المعجمة وتشديد المهملة أى شقت الاخاديد ( وأضرم ) بالبناء للمجهول ( فيها ) أى فى الاخدود ( النيران ) جمع نار (وقال) أي الملك ( من لم يرجع عن دينه ) أي الايمان الذى صار اليه ( فأقحموه ) بهمز القطع أى القوه كرها ( فيها أو ) شك من الراوى ( قيل له) أى لمن لم يرجع عن دينه ( أقتحم ) أى النار فالمفعول محذوف، والمراد أنه شك هل أمرهم بالقاء من أبى ، أو بأمره أن يلقى نفسه فيها (ففعلوا )أى ما أمروا به من الاخدود وما بعده ، واستمروا كذلك ( حتي جاءت امرأة ومعها صبي لها ) أي فى غير أو ان الكلام

فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا امه اصبري فانك على الحق رواه مسلم »

---

كما أشار اليه المصنف وزاد أنه كان سنه اكبر من سن صاحب المهد وإن كان صغيرا قلت جاء فى رواية عند ابن قتيبه : انه كان ابن سبعة اشهر . ولم يذكره صاحب الابتهاج فى المعراج ، وذكر ابن الماشطة وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم ، وقال غيره : قدتكلم فى الصغر جماعة وبلغ عده لهم عشرة ، ولا ينافى خبر الصحيحين (١) لم يتكلم فى المهد ألا ثلاثة وذكر عيسى وصاحب جريج وابن المرأة التي مر عليها بامرأة يقال لها زنت ، لاحتمال أنه قاله قبل أن يعلم الزيادة أو أن المراد «من بنى اسرائيل » وقد نظم الحافظ جلال الدين السيوطى اسماءهم فقال

تكلم فى المهد النبى محمد ويحيي وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي يقال لها تزني ولا تتكلم (٢)
وماشطة فى عهد فرعون طفلها وفى زمن الهادى المبارك يختم

قلت وقد نظمت اسماءهم فى أبيات سنأتى إن شاء الله تعالى فى باب فضل ضعفة المسلمين ( فتقاعست ) أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت ( أن تقع فيها ) اى فى النار ( فقال لها الغلام ) بلسانه ( ياامه ) بسكون الهاء وهي للوقف لحقت آخر المندوب المتفجع عليه ( أصبرى ) اي على هذا العذاب فأنه يؤول إلى جزيل الثواب (فانك على ) الدين ( الحق ) اى الايمان وفى الكشاف وقيل : قال لها قعى ولا تقاعسى وقيل : ماهى إلا غميضة . فصبرت ( رواه مسلم ) وكذا رواه الترمذى وفيه بعض

---

١ سيأتى هذا الخبر فى باب ضعفة المسلمين ٢ هذا البيت ليس من كلام السيوطى بل زاده بعضهم وزاد بعضهم اثنين بقوله

ونوح ببطن الغار فى يوم وضعه وموسي من التنور والنار تضرم

ذروة الجبل أعلاه وهي بكسر الذال المعجمة وضمها و «القرقور» بضم القافين نوع من السفن و «الصعيد» هنا الارض البارزة «والاخدود» الشقوق فى الارض كالنهر الصغير «واضرم» اوقد

---

اختلاف وزيادة ونقص وقوله فى الحديث (ذروته) اى اعلاه وهى بكسر الذال المعجمة وضمها وجمعها ذرى بضم ففتح (والقرقور) بضم القافين وإسكان الراء المهملة بينهما (نوع من السفن) تقدم عن النهاية انه السفينة العظيمة (وانكفأت السفينة) أى انقلبت وتقاعست بالقاف والعين والسين المهملتين توقفت وجبنت عن ولوج الاخدود ، وقضية مراعاة سياق الحديث ذكر هذه المادة آخر مايذكر من غريب الحديث وقد وجد كذلك فى أصل قديم (والصعيد هنا) اى فى قوله فى صعيد واحد (الارض البارزة) ومن هذه المادة قوله فى الحديث القدسى «لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد» الحديث وقيده بقوله هنا احترازعنه فى نحو قوله تعالى «فتيمموا صعيدا طيبا» فان المراد منه التراب (والاخدود بضم الهمزة الشقوق) بضم اوليه جمع شق (فى الارض كالنهر الصغير واضرم) بالضاد المعجمة (اوقد) وفى الحديث بيان شرف الصبر ، وانه وإن عظم فى الالم ، وتحمل الشدائد فهو سهل فى جنب ما اعد لصاحبه من الثواب ، وفيه فضل الثبات على الدين وان عذب بأنواع العذاب كما وقع من بلال فى اول الاسلام ، وإن كان يجوز فى مثل هذه الحالة الاتيان بألفاظ الكفر مع الايمان القلبى لعذر الاكراه كما وقع من عمار بن ياسر ، إلا ان ماوقع من بلال افضل لما فى الحديث «ان مسيلمة اخذ اسيرين من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لاحدهما ما تقول فى محمد ؟ فقال رسول الله ، فقال وما تقول فى ؟ فقال وانت . فأرسله ، وقال للآخر

« وانكفأت » اى انقلبت « وتقاعست » توقفت وجبنت

وعن انس رضى الله عنه قال . مَرَّ النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تَبكى عند قبر ، فقال اتقى الله واصبرى »فقالت « اليك عنى فانك لم تصب بمصيبتى »

---

ما تقول فى محمد ؟ فقال رسول الله . فقال وما تقول فى ؟ فقال لا ادرى ، فلم يزل يسأله وهو يجيبه بذلك حتي قطعه اربا إربا(١) فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اما احدهما فقد اخذ برخصة الله ، واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له » واورد الحديث ابن كثير وغيره فى تفاسيرهم

(وعن انس رضي الله عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر) قال فى فتح البارى : لم اقف على اسم المرأة ولا على اسم صاحب القبر، وفى رواية مسلم مايشعر بأنه ولدها ، وصرح به فى مرسل يحيى بن ابى كثير عن عبد الرزاق فقال : قد اصيبت بولدها ( فقال لها اتقى الله واصبرى ) وفى رواية ابى نعيم فى المستخرج « فقال يا امة الله اتقي الله » قال القرطبي الظاهر انها كان فى بكائها قدر زائد من نوح اوغيره ، ولهذا امرها بالتقوى ، قال فى فتح البارى : ويؤيده ان فى مرسل يحيى بن ابى كثير المذكور « فسمع فيها مايكره فوقف عليها » وقال الطيبي قوله اتقى الله توطئة لقوله واصبرى ، كأنه قال لها خافى غضب الله إن لم تصبرى، واصبرى ليحصل لك الثواب ( فقالت اليك ) اسم فعل بمعنى تنح وابعد (عني فانك لم تصب ) بالبناء للمجهول ( بمصيبتى ) وفى رواية للبخاري « فانك خلو من مصيبتى »

---

١ ) بسكون الراء أي عضوا عضوا ومن الخطا قولهم أربا بكسر ففتح من غير تكرار . ع

لم تعرفه، فقيل لها: إنه النبيّ صلى الله عليه وسلم. فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوّابين فقالت لم أعرفك فقال «إنما الصبرُ عند الصدمة الاولى»

---

وهو بكسر الخاء وسكون اللام ، ولمسلم «وماتبالى بمصيبتي» ولابى يعلى من حديث ابى هريرة « انها قالت ياعبد الله إنى الحراء الثكلى ، ولو كنت مصابا لعذرتنى » ( ولم تعرفه ) جملة حالية اى خاطبته بذلك غير عارفة انه النبى صلى الله عليه وسلم ( فقيل لها انه النبي صلى الله عليه وسلم )وفى رواية لابى يعلى « فمر بها رجل فقال لها هل تعرفينه قالت لا » وللطبرانى فى الاوسط من طريق عطية عن انس : ان الذى سألها هو الفضل بن العباس . زاد مسلم فى رواية له « فأخذها مثل الموت » اي من شدة الكرب الذى اصابها لما عرفت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه ومهابة ( فأتت )للاعتذار ( باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين) قال الطيبي :فائدة هذه الجملة انه لما قيل لها إنه النبى صلى الله عليه وسلم استشعرت خوفا وهيبة فى نفسها ، وتصورت أنه مثل الملوك له حاجب او بواب يمنع الناس من الوصول اليه ، فوجدت الامر بخلاف ماتصورته ( فقالت لم اعرفك ) فى حديث ابى هريرة : والله ماعرفتك ( فقال ) صلى الله عليه وسلم ( إنما الصبر) أى الذي يحمد عليه صاحبه كل الحمد ما كان ( عند الصدمة الاولى )اي عند مفاجأة المصيبة بخلاف مابعدها فأنه علي عود الايام يسلوا قاله الخطابى ، وقال الطيبي : صدر الجواب منه صلى الله عليه وسلم بهذا عن قولها لم أعرفك على اسلوب الحكيم ، كانه قال لها دعى الاعتذار فانى لاغضب لغير الله ، وانظرى الى نفسك فى تفويتك الثواب الجزيل بعدم الصبر عند مفاجأة المصيبة . وقال ابن المنير : فائدة جواب المرأة بذلك انها لما جاءت طائعة لما امرها به من التقوى والصبر معتذرة من قولها الصادر عن الحزن ،

متفق عليه. وفي رواية لمسلم «تبكي على صبي لها»

وعن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صفيَّهُ من اهل الدنيا

---

بين لها ان حق هذا الصبران يكون فى اول الحال فهو الذى يترتب عليه الثواب اى كماله اه. (متفق عليه) وكذا اخرجه الترمذي والنسائى كما فى امالى الاذكار للحافظ ابن حجر، لكن فى تيسير الوصول للديبع: اخرجه الخمسة إلا النسائى، يعنى الشيخين وابا داود والترمذي فليحرر ذلك. (وفى رواية) اى اخرى (لمسلم تبكي علي صبى لها) وهذه الرواية هي المشار اليها فى كلام فتح البارى السابق المشعرة بأن صاحب القبر كان ابنا للباكية

(وعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى) هذا من الاحاديث القدسية وهى اكثر من مائة حديث جمعها بعضهم فى جزء كبير، والفرق بينه وبين القرآن ان القرآن اللفظ المنزل للاعجاز والقدسى ما اخبر الله به نبيه بالالهام او رؤيا المنام او غيره من كيفيات الوحى، فعبر عنه صلى الله عليه وسلم بعبارته، فلا يكون معجزا ولا متواتر كالقرآن، ولذا لم يثبت له شيء من احكامه: من حرمة حمله ومسه على المحدث، وقراءته على الجنب، وبيعه فى رواية عن احمد وكراهته عندنا، وحصول الثواب على كل حرف منه لقارئه بعشر حسنات وغير ذلك. ثم لروايته صيغتان تقدم ذكرهما فى باب **الاخلاص**. وما عبر به فى هذه الرواية فهو قريب من العبارة الاولى وهي عبارة السلف التي عبر بها المصنف ثمة والله أعلم (ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت) بفتح الموحدة (صفيه) أى حبيبه لانه يصافيه وده ويخلصه محبته، فعيل بمعنى فاعل أو مفعول (من أهل الدنيا)

ثم احتسبه الا الجنة : راوه البخارى

وعن عائشة رضى الله عنها : أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرها انه كان عذابا يبعثه الله تعالى على من يشاء، فجعله اللهُ تعالى رحمةً للمؤمنين ، فليس من عبدٍ يقع فى الطاعونِ فيمكثُ فى بلده صابراً

---

بيان للواقع ( ثم احتسبه ) بأن يرجو ثوابه ويدخره عند الله تعالى وذلك ينبىء عن الصبر والتسليم ( إلا الجنة ) أي دخولها مع الناجين وذلك لا ينافى الورود تحلة القسم ( رواه البخارى ) فى كتاب الرقاق من صحيحه

( وعن عائشة رضى الله عنها ) جملة دعائية مستأنفة أو خبرية فى محل الحال ونظيره فيهما جملة صلى الله عليه وسلم ، وينبغى أن يراد بهما الاول منهما لاحراز ثواب الدعاء به ( انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ) شأن ( الطاعون) وحقيقته كما يؤخذ من الاحاديث بثر مؤلم يخرج غالبا فى الآباط مع لهب واسوداد حواليه وخفقان القلب والقيء ، وهو كما قال الحافظ ابن حجر أخص من الوباء لانه وخز الجن والوباء المرض العام ( فأخبرها أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء) فى نسخة من البخارى على من شاء أى من كافر أو عاص بارتكاب كبيرة أو اصرار على صغيرة ( وجعله رحمة للمؤمنين) قال الشيخ زكريا فى حاشيته على البخاري أي غير مرتكبي الكبائر. والتخصيص يحتاج للتوقيف (فليس من عبد يقع فى الطاعون) أى به أو فى بلده أو هو من قبيل التجريد[1] نحو لكم فى رسول الله أسوة حسنة وفى رواية بحذف فى ( فيمكث فى بلده ) التى وقع بها الطاعون ( صابرا ) على

---

١ هذا الوجه لا أفقهه فليحرر . ع

محتسبا يعلم انه لا يصيبُه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثلُ أجر الشّهيد»
رواه البخارى

وعن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول « إن الله عز وجل

---

مانزل به أو ببلده ( محتسبا ) أي راجيا للاجر والثواب من الله ( يعلم أنه لا يصيبه ) شيء ( إلا ما كتب له ) العائد على ما محذوف ( إلا كان له مثل أجر الشهيد ) وإن مات بغير الطاعون ، فأنه حيث كان موصوفا بما أشار اليه الحديث من قصده ثواب الله ورجائه موعوده ، عارفا أنه لو وقع به فبتقدير الله وإن صرف عنه فكذلك وهو غير متضجر لو وقع به ، معتمدا على ربه فى حال صحته وسقمه ، كان له اجر الشهيد وإن مات بغير الطاعون كما هو ظاهر الحديث ، ويؤيده رواية « من مات فى الطاعون فهو شهيد » ولم يقل بالطاعون ، وكذا لو وجد من اتصف بهذه الصفات ثم مات بعد انقضاء زمن الطاعون ، فأن ظاهر الحديث أنه شهيد ، ونية المؤمن أبلغ من عمله ، أما من لم يتصف بالصفات المذكورة فأن مفهوم الحديث أنه لا يكون شهيدا ون مات بالطاعون ، ومما يستفاد من هذا الحديث أن الصابر فى الطاعون المتصف بالصفات المذكورة يأمن من فتان القبر :لانه نظير المرابطة فى سبيل الله ، وقد صح ذلك فى المرابط كما فى حديث مسلم وغيره ا ه .ملخصا من فتح الباري ( رواه البخارى ) وكذا أحمد والنسائى

(وعن انس رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ) جملة حالية من مفعول سمعت وأتى بها مضارعة بعد سمع حكاية للحال الماضية (إن الله عز وجل ) أى عز شأنه وجل برهانه ، وأتى بهما وإن كانا فى المعنى متقاربين لان

قال : اذا ابتَلَيْتُ عبدى بحَبِيبَتَيهِ فصَبر عوضْتُه منهما الجنةَ » يريد عينيه،

رواه البخارى

وعن عطاء بن ابى رباح

---

مقام الثناء مقام إطناب ، وهذا حديث قدسى لانه صلى الله عليه وسلم روى عن ربه سبحانه أنه ( قال ) أى بكلامه النفسى الذى هو صفة ذاته (إذا ابتليت عبدي) أى عاملته معاملة المبتلى أي المختبر ، فأن الابتلاء انما يكون من الجاهل بعواقب الاحوال والله بكل شىء عليم ، وهو يستعمل فى الخير والشر ( بحبيبتيه فصبر ) على فقدهما محتسبا لاجرهما مدخرا له عند الله تعالى ( عوضته منهما ) أى بدلهما فهو كقوله تعالى «أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة» ( الجنة ) أى مع الفائزين أو منازل مخصوصة منها ( يريد ) أي النبي صلى الله عليه وسلم بحبيبتيه ( عينيه ) خصهما بذلك لانهما أحب أعضاء الانسان اليه (رواه البخارى )واخرج الترمذى وصححه من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة» ووجه هذا الجزاء ان فاقدهما حبيس فالدنيا سجنه حتى يدخل الجنة على ماورد فى الحديث «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »

(وعن عطاء) بالمهملتين المفتوحتين والمد (ابن أبى رباح) بالراء المفتوحة وبالموحدة وبالمهملة . فى الكاشف للذهبى : عطاء بن ابى رباح هو ابو محمد القرشى مولاهم المكى احد الاعلام ، روى عن عائشة وأبى هريرة ، وعنه الاوزاعى وابن جريج وأبو حنيفة والليث ، خرج عنه الستة أى وغيرهم ، عاش ثمانين سنة ومات سنة مائة واربع عشرة وقيل خمس عشرة اهـ . وسأذكر زيادة على هذا فى الكلام على

قال : قال لى ابن عباس رضى الله عنهما : ألا اريك امرأة من اهل الجنة؟ فقلت بلى قال هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت : إني أُصرَعُ وانى انكشَّف، فادعُ اللهَ تعالى لى . قال « ان شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وان شئتِ دعوتُ الله تعالي ان يعافيَك » فقالت: أصبرُ

---

ترجمته فى رجال الشمائل أعاننى الله على إتمامه ( قال ) عطاء ( قال لى ) اللام لام التبليغ ( ابن عباس رضى الله عنهما: ألا ) بفتح الهمزة وتخفيف اللام أداة عرض بدىء بها ليتوجه السامع لما بعدها ( أريك امرأة ) من الاراءة البصرية ولذا تعدت لمفعول فقط ( من أهل الجنة ) فى محل الصفة لامرأة ( فقلت بلى. قال هذه المرأة السوداء ) اسمها سعيرة بضم المهملة الاولى وفتح الثانية وسكون التحتية الاسدية، وكنيتها أم زفر بضم الزاى وفتح الفاء والراء آخره ( أتت النبى صلى الله عليه وسلم. فقالت ) مخبرة عما نزل بها من غير تبرم ولا تضجر لان البر يهدى إلى البر طالبة منه الدعاء برفع دائها (إنى أصرع ) بضم الهمزة من الصرع علة معروفة ( وإنى أتكشف ) من التفعل ، وفى نسخة من الانفعال ، أى ينكشف بعض بدنى من الصرع (فادع الله لي) أى برفع الصرع الناشيء عنه التكشف (قال إن شئت) صبرت) بكسر تاء الخطاب فيهما وصبرت مفعول شاء أي الصبر على هذا الداء محتسبة ( ولك الجنة ) وفى نسخة الاجر ، جملة حالية أفادت فضل الصبر، وجواب الشرط محذوف أى فاصبري، ويجوز أن تكون جملة صبرت جواب الشرط ومفعول شاء محذوف أي إن شئت جزيل الاجر صبرت ومثل هذا الاعراب يجرى فى قوله (وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك ، فقالت ) مختارة للبلاء والصبر عليه لجزيل الثواب المرتب عليه( اصبر )أى على الصرع لانه يرجع الى النفس، (و) لما كان التكشف

فقالت: انى اتكشفُ فادع الله ألاّ اتكشف ، فدعا لها . متفق عليه

وعن ابى عبد الرحمن عبدِ الله بن مسعودٍ رضى الله عنه

---

راجيا لحق الله تعالى : إذ هي مأمورة بستر جميع البدن لكونه عورة ( قالت إنى اتكشف فادع الله لى ألا اتكشف فدعا لها ) فهى من أهل الجنة بوعد الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ( متفق عليه ) قيل أحاديث الباب تشعر أن نفس المصائب لاثواب فيها إنما الثواب على الصبر عليها والاحتساب، وقد بسطت الكلام على ذلك فى باب أذكار المريض من شرح الاذكار

( وعن أبى عبد الرحمن ) كنية (عبد الله بن مسعود رضى الله عنه )ابن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلى . وكان ابن مسعود حالف فى الجاهلية عبد الحارث بن زهرة . اسلم عبد الله قديما بمكة سادس سنة لمامر به صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط فأراه معجزة فأسلم، ثم هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد بدرا وبيعة الرضوان والمشاهد كلها وصلى للقبلتين ، وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه ، وكان مشهورا بين الصحابة بانه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسواكه ونعليه وطهوره فى السفر ، وبشره صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال « رضيت لامتى مارضى لها ابن أم عبد . وسخطت لها ماسخط لها ابن أم عبد » وكان يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فى هديه وسمته . ولى قضاء الكوفة ومالها فى خلافة عمر وصدرا من خلافة عثمان، ثم رجع الى المدينة ومات بها وقيل بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين عن بضع وستين سنة ، وصلى عليه الزبير ليلا ودفنه بالبقيع بايصائه له بذلك لكونه صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بينهما . روى له ثمانمائة حديث وثمانية وأربعون حديثا أخرجا منها أربعة وستين وانفرد

قال: كأني أنظرُ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبيا من الانبياء صلواتُ الله وسلامه عليهم ضربَه قومُه فأدمَوه وهو يمسحُ الدمَ عن وجهه ، وهو يقولُ « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » متفق عليه

---

البخارى بأحد وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين ( قال : كانى انظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبيا من الانبياء ) جملة حالية أتى بها بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية ، وبقوله : كانى انظر الخ .إشارة لكمال استحضاره لها . قال مجاهد وذلك النبى المحكي هو نوح عليه السلام، لكن تعقبه الحافظ فى الفتح بأن ظاهر صنيع البخارى إذ أورد الحديث فى أحاديث ترجمة ذكر بني اسرائيل أن النبى من انبيائهم فليحمل عليه ( صلوات الله وسلامه عليهم ) وقوله(ضربه قومه فأدموه) بيان للمحكى ويحتمل على بعد كونه بيانا للحكاية فتكون الحكاية للفعل، أى أتى بفعل مثل فعل ذلك النبى المحكى فعله ، والمحكى به ما وقع له صلى الله عليه وسلم بأحد من شج رأسه وكسر رباعيته ( وهو ) أى ذلك النبى المحكى عنه أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ( يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومى فأنهم لا يعلمون ) وفى هذه الجملة أنواع من الصبر والحكم « الاول » أنه مسح دمه لئلا يصيب الارض فيحل بهم البلاء «الثانى» أنه قابل جهلهم بفضله فدعا لهم بالغفران والمراد غفران ذنب تلك الجريمة منهم إن كان الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مطلقا والا لآمنوا عن آخرهم إذ هو صلى الله عليه وسلم مجاب الدعوة « الثالث » انه اعتذر عن سوء فعلهم بعدم علمهم . ولا تنافى بين الدعاء بما ذكر إن كان من نوح وقوله « لاتذر على الارض من الكافرين ديارا » لإمكان حمل ما فى حديث الباب على ما قبل إياسه من ايمانهم وما فى الآية على ما بعده ( متفق عليه ) وينبغي للسالك

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما يصيب المسلمَ مِن نصَب ولا وصبٍ ولا همّ ولا حزن ولا أذًى ولا غمّ حتى الشوكةِ

---

التحلى بمافيه كما روى أن جنديا ضرب بعض العارفين وهو لا يعرفه ، فقيل إنه فلان ، فعاد اليه معتذرا ، فقال إنى قد ابرأت ذمتك ودعوت لك لما ضربتنى ، قال وكيف ذاك ؟ قال لانك كنت سببا لدخولى الجنة ، فلا أكون سببا لعذابك فا كب على الشيخ وتاب

(وعن أبى سعيد )الخدرى سعد بن مالك بن سنان (وأبى هريرة )الدوسى عبد الرحمن بن صخر (رضى الله عنهما) حال كونهما راويين (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال) بيان للمروى (مايصيب) بضم أوله (المسلم) حقيقة وخص لان الثواب الاخروى خاص به وهو مفعول الفعل (من نصب) بفتحتين التعب ومن صلة ونصب فاعله (ولا وصب ) بفتحتين وجع دائم ، خاص بعد عام : لما فى الوجع كذلك من الشده المؤدية الى التضجر والسخر بالقضاء المحبط للثواب أوالاسلام والعياذ بالله أوتأكيد بعطف مترادفات أوقريبة من الترادف اهتماما بهذا المقام الخطير : ليكون العلم بعظم الثواب مانعا من الوقوع فى ورطة خطر الضجر ( ولا هم ولاحزن ) فرق بينهما بأن الاول للمستقبل والثانى للماضى ،وقيل غيرذلك مما بينته فى باب أذكار المساء والصباح من شرح الاذكار ، وقال وكيع لم يسمع فى الهم أنه كفارة إلا فى هذا الحديث (ولا أذى )هو كل مالا يلائم النفس فهو أعم الكل (ولا غم) هو ابلغ من الحزن لانه حزن يشتد بمن قام به حتي يصير بحيث يغمي عليه (حتي) ابتدائية أو عاطفة أو بمعنى الى الغائية بيان وتقريب لادنى مراتب الاذي (الشوكة) بالرفع أو الجر

يُشاكُها إلا كفر الله بها من خطاياه » متفق عليه «والوصب» المرض

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعَك، فقلت: يارسولَ الله إنك توعك وعكا شديدا، قال «أجل

---

(يشاكها) خبر أو حال والضمير البارز هو المفعول الثاني على تقدير الجار، والنصب كذلك سماعى وهذا منه، أو على تضمين فعل متعد لاثنين أى يذاقها، والاول مضمر نائب الفاعل يعود على المسلم من شكته أدخلت فى جسده شوكة (إلا كفر الله) استثناء من أعم الاحوال المقدرة أى ما حصل للانسان فى حال المصيبة حال من الاحوال إلا الحالة التي يكفر الله (بها) أى بسببها (من خطاياه) ابتدائية أو تبعيضية قيل وهو أولى لان بعض الذنوب لا تكفر بذلك كحق الآدمى والكبائر (متفق عليه) وأخرجه الترمذي . وفيه أن الامراض وغيرها من المؤذيات التى تصيب المؤمن مطهرة له من الذنوب، وانه ينبغى للانسان ألا يجمع على نفسه بين ضررين عظيمين الاذى الحاصل وتفويت ثوابه، وقد ورد مرفوعا : المصاب من حرم الثواب (والوصب المرض) أى الدائم كما تقدم أو الشديد الكثير الاوجاع، قال فى الصحاح قد وصب (١) الرجل يوصب فهو وصب واوصبه الله فهو موصب والوصب المرض الشديد الكثير الاوجاع اه .

(وعن) عبد الله (بن مسعود رضى الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم) عائدا (وهو يوعك) بالبناء للمجهول من الوعك وسيأتى تفسيره فى الاصل (فقلت يارسول الله إنك توعك) بالفوقية مبني للمفعول (وعكا شديدا) يحتمل أنه عرف ذلك من لمس بعض أعضائه صلى الله عليه وسلم أو من ظهور الآثار عليه (قال أجل) بفتحتين وثانيه

---

(١) أى من باب تعب . ع

إنى أوعَكُ كما يوعَكُ رجلانِ منكم» قلتُ: ذلك ان لك أجرين قال «أجل. ذلك كذلك . ما مِن مسلم يصيبه أذًى شوكةٌ فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته ، وحُطّت عنه ذنوبُه كما تحُطُّ الشجرةُ ورقَها » متفق عليه

---

جيم وآخره لام ساكنة وتبدل الهمزة موحدة فيقال بجل. فى الصحاح: أجل جواب مثل نعم. قال الاخفش إلا انه أحسن من نعم فى التصديق ونعم أحسن منه فى الاستفهام اه . ( إنى ) بيان للاجمال فى قوله أجل (أوعك) بالبناء للمجهول ( كما يوعك رجلان منكم ) فالكاف مفعول مطلق واحترز بقوله منكم عن نحو الانبياء فأنه يحتمل أنه وأن وعك اشد من وعكهم زيادة فى علو درجته المقتضية لمزيد الابتلاء الشاهد به « أشدكم بلاء الانبياء » الحديث إلا أنه لايكون وعكه كوعك اثنين منهم اه . والله اعلم ( قلت ذلك ) أى زيادة الوعك ( أن لك ) بفتح الهمزة أى لان لك ( أجرين قال أجل ذلك )أى تضاعف الإجر ( كذلك) أي كتضاعف المرض ، ثم ذكر الدليل على ترتب الثواب علي أنواع البلاء عند حصول الصبر فقال ( مامن مسلم ) من مزيدة للاستغراق فيدخل فيه الكامل وغيره ( يصيبه ) بضم أوله ( أذى ) أي ما يتأذى به ( شوكة ) بدل من أذى وذكرها لانها اخف أنواعه ، ولما كان مافوقها تعجز العبارة عن تفصيل جميعه أجمله بقوله ( فما فوقها إلا كفر الله به سيئاته ) أي الصغائر المتعلقة بحقوق الله تعالى ( كما تحط الشجرة ورقها . متفق عليه ) وكذا رواه أحمد كما قال الحافظ وكذا رواه النسائى. واخرج ابن سعد فى الطبقات والبخارى فى الادب المفرد وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب عن أبى سعيد قال : دخلت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محموم ، فوضعت يدي فوق القطيفة ، فوجدت حرارة الحمى فوق القطيفة ، فقلت « ما أشد حماك يارسول الله » قال « إنا كذلك معشر الانبياء يضاعف علينا

«والوعك» مغث الحمى وقيل الحمى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من يُرد الله به خيرا يُصِب منه» رواه البخارى وضبطوا «يصب» بفتح الصاد وكسرها

وعن انس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

الوجع ليضاعف الاجر» الحديث. ذكره صاحب المرقاة فى شرح المشكاة (الوعك) بإسكان المهملة (مغث الحمى) أى حرارتها ووهنها للبدن وإضعافها إياه. وفى مختصر النهاية للسيوطى: انه ألم الحمى (وقيل الحمى) وهذا الحديث يشهد للقول المختار من حصول الاجر على الامراض والاعراض، أى بشرط الصبر وعدم التبرم من القدر والسخط منه، وقد بسطت هذا المقام فى شرح الاذكار

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يرد الله به خيرا) حالا ومآلا (يصب (١) منه) إما فى بدنه أو ماله أو محبوبه. وفى الحديث «المؤمن لايخلو من علة أو قلة أو ذلة» وإنما كان خيرا حالا لما فيه من من اللجأ إلى المولى، ومآلا لما فيه من تكفير السيئات أو كتب الحسنات أوهما جميعا (رواه البخارى) فى صحيحه ورواه الامام احمد (وضبطوا) أى شراح الحديث الصحيح (يصب) المذكور فى الحديث (بفتح الصاد) أى المهملة على البناء للمفعول ولم يذكر الفاعل للعلم به وأنه الله سبحانه (وكسرها) على البناء للفاعل

(وعن انس) بن مالك رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أى يوجه إليه مصيبة ويصيبه ببلاء اهمنذرى. وهذا التفسير يناسب ضبطه بكسر الصاد. ش

« لا يتمنَّيَنّ احدكم الموت لضُرّ أصابه ، فإن كان لا بدّ فاعلا فليقل : اللهم أحيني ماكانت الحياة خيرا لي ، وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لى »
متفق عليه

---

لا يتمنين ) بتشديد النون ( أحدكم ) أى الواحد منكم (الموت) وفى التعبير بيتمنى دون يسأل إيماء إلى أنه قد يكون من المستحيل لعدم مجيء حينه فحصو له حينئذ محال وإن كان بأنواع السؤال . فسوابق الهمم لاتخرق أسوار الاقدار والمنهى عنه علي وجه التنزيه تمنى الموت( لضر ) بفتح الضاد المعجمة وتضم وضبطها بذلك ضد النفع ( أصابه ) فى نفسه أو ماله أو من يلوذ به أو نحوه : لمايدل عليه من الجزع فى البلاء وعدم الرضا بالقضاء ، أما تمنيه شوقا للقاء رب العالمين أو شهادة سبيل الله أو ليدفن ببلد شريف أو لخوف فتنة فى الدين فلا كراهة فيه ، وعليه يحمل ماجاء عن كثيرين ( فان كان ) من أصابه الضر (لابد) أى لا فراق ولا محالة كما فى القاموس (فاعلا) لتمنى الموت لما قاساه من المحن الدنيوية التي لو كشف له عن حقائق اللطف فيها لرآها من المنح الهنية ، ولو لم يكن فيها إلا رجوع العبد إلى مولاه ، وخروجه عن حوله وقواه ، لكفاه ، فكيف وهى سبب لتكفير الخطايا ورفع الدرجات(فليقل اللهم ) يا الله فالميم عوض من حرف النداء ، ولذا امتنع جمعها إلا فى ضرورة كقوله : اقول يا اللهم يا اللهما .وقد بسطت الكلام فيما يتعلق بها فى باب مايقول إذا توجه الى المسجد من شرح الاذ كار ( أحيني ) بقطع الهمزة أى أدم لى الحياة الحسية (ما كانت الحياة) المسئولة بقولى أحيني ، وما مصدرية ظرفية أى مدة كون الحياة ( خيرا لى ) بأن أوفق لمرضاة الله تعالى وأداء عبادته وأسلم من الخذلان والغفلة والنسيان ( وتوفنى ) أى أمتنى( إذا كانت الوفاة خيرا لى) بأن انعكس الامر ( متفق عليه ) وأخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من

طرق وزاد في بعضها « لضر نزل به في الدنيا » واختلف الصوفية في الافضل : من طاب الحياة لما ورد من حديث « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله » ولرجاء التوبة وحسن العمل وحصول الامل ، أو يطلب الموت نظرا إلى الشوق إلى الله وحصول لقياه ، وقد ورد « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » وخوفا من التغير ولقاء المحن والوقوع في الفتن . والمختار التفويض والتسليم كما دل عليه الحديث الشريف

(وعن أبي عبد الله ) كنية (خباب) بفتح المعجمة وتشديد الموحدة الاولى ، وقيل كنيته أبو محمد وقيل أبو يحيى ( ابن الارت) بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية آخره ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن زيد مناة بن تميم فهو (رضي الله عنه ) تميمي في قول الاكثر ، وقيل خزاعي ، وقال بعضهم أنه تميمي النسب خزاعي الولاء زهري الحلف لان مولاته أم أنمار بنت سباع الخزاعية من حلفاء عوف بن عبد الله ابن عوف بن عبد الحارث بن زهرة . وهو من السابقين إلى الاسلام وكان سادس ستة فيه وعذب في الله تعالى . قال مجاهد : أول من أظهر إسلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وأم عمار ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه قومه ، وأما الاخرون فألبسوهم أدرع الحديد ثم اصبروهم في الشمس فبلغ منهم الجهد ما شاء الله من حر الحديد والشمس . قال الشعبي : سأل عمر بن الخطاب خبابا عما لقي من المشركين فقال يا أمير المؤمنين انظر الى ظهري ، فقال ما رأيت كاليوم ظهر رجل ، قال خباب لقد أوقدت نار وسحبت عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري . شهد بدرا والمشاهد كلها ولما هاجر آخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين تميم مولى خراش بن الصمة ، وقيل آخى بينه وبين جبر بن عتيك . مرض خباب مرضا شديدا ، روى عن قيس بن

قال: شكَوْنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسِّدٌ بردةً له في ظل الكعبة ، فقلنا « ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا » فقال « قد كان مَن قبلكم يؤخذُ الرجل فيُحفر له في

---

ابى حازم قال : دخلنا على خباب وقد اكتوى سبع كيات فقال : لو ما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان ندعو بالموت لدعوت به . ونزل الكوفة ومات بها ، وهو أول من دفن بظاهر الكوفة من الصحابة ، وكان موته سنة سبع وثلاثين . وقال على رضى الله عنه لما نعي له « رحم الله خبابا . اسلم راغبا ، وهاجر طائعا ، وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه . ولم يضيع الله أجر من أحسن عملا » وكان سنه حين موته ثلاثا وسبعين سنة . روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنان وثلاثون حديثا اتفقا على ثلاثة منها وانفرد البخارى باثنين ومسلم بواحد وخرج عنه اصحاب السنن ( قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ) أى ما بنا من أذى الكفار وعذابهم بدليل قوله فى الرواية الثانية : وقد لقينا من المشركين شدة ( وهو متوسد بردة له ) أى جاعلها تحت رأسه . والبردة بضم الموحدة الشملة المخططة وقيل كساء اسود مربع فيه صور والبردة واحد البرد وجمعه أبراد وابرد وبرود كما فى القاموس . والجملة حالية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا قوله ( فى ظل الكعبة ) ، ويصح ان تكون الثانية حالا من الضمير فى متوسد فتكون متداخلة ( فقلنا ) بيان اشكواهم اليه ( الا ) بفتح الهمزة وتخفيف اللام اداة استفتاح أو عرض ( تستنصر ) أى تسأل الله النصر ( لنا الا تدعو لنا ) أى بذلك او نحوه من كفهم عنا ومنعهم من اذانا ( فقال ) محرضا لهم على الصبر ( قد كان من ) بفتح الميم اى الذين ( قبلكم ) من الامم ( يؤخذ الرجل ) اى المؤمن منهم فالجملة خبر والرابط محذوف ، اى كان الذين قبلكم يؤخذ الرجل الذى آمن منهم ليعذب فيرجع عن ايمانه فما يرجع ( فيحفر له فى

الارض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دونَ لحمِهِ وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه . والله ليُتمنَّ اللهُ هذا الامر حتي يسير الراكب

---

الارض ) بالبناء للمفعول والظرف نائب الفاعل وحذف الفاعل لعدم تعلق الغرض بعينه ويحتمل أنه مبنى للفاعل أى يحفر الآخذ والظرف الثانى حال أو صلة يحفر ( فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار ) روى بالنون من نشرت الخشبة قال الحافظ فى الفتح وهى أشهر فى الاستعمال . وبالهمزة من أشرت الخشبة بالمئشار وبابدا لها ياء إما تخفيفا أو من وشرت ، ذكره ابن التين ( فيوضع ) أى المئشار ( علي رأسه ) فيؤشر ( فيجعل ) أى يصير ( نصفين ويمشط ) أى يعذب ( بأمشاط ) جمع مشط ، معروف ( الحديد ) أى يعذب بها ( مادون لحمه وعظمه ) زيادة فى تعذيبه ليرجع عن إيمانه وفى نسخة من البخارى « ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظام أو عصب » و ( مايصده ) أى يمنعه أو يصرفه ( ذلك ) المذكور من انواع العذاب واستعمل فيه اسم الاشارة الموضوع للبعيد مع قربه لان الملفوظ به لكونه عرضا لا يبقي زمانين كالبعيد فأشار اليه بما يشاربه للبعيد ( عن دينه ) والثبات عليه ، وفيه مدح الصبر على العذاب على الدين ، وعدم إقرار عين الكافر بالتلفظ بكلمة الكفر وإن كانت جائزة حينئذ للاكراه كما تقدم ( والله ) فيه الحلف من غير استحلاف وهو مندوب لتأكيد مايحتاج لتأكيده ( ليتمن ) بفتح التحتية ( هذا الامر ) بالرفع فاعل يتم ، وفى نسخة بضم التحتية ونصب الامر على أنه مفعول يتم أى ليتمن الله هذا الامر أى دين الاسلام ( حتي يسير ) بالنصب لانه مستقبل بالنسبة لماقبل زمن التكلم به ( الراكب ) التقييد به جرى علي الغالب من أن المسافر يكون راكبا فلا مفهوم له

من صنعاء الى حضرَموتَ لا يخاف الا الله، والذئبَ علي غنمه، ولكنكم تستعجلون »

---

والمراد الجنس فيشمل مافوق الواحد، أو يفهم مافوقه من باب أولى لانه إذا أمن الواحد مع انفراده فالعدد الاولى (من صنعاء) بالمد مدينة عظيمة باليمن ، وقيل إنها مدينة بالشام (إلى حضرموت) مدينة بقرب اليمن وهو مركب مزجى غير مصروف لذلك وللعلمية (لايخاف) أحداً (إلا الله) جملة حالية من فاعل يسير والمعني أن الاسلام يعم النواحى فيسير المسافر لايخشى أحدا يعذبه على ايمانه ولا يفتنه فى دينه فلا يخاف إلا الله سبحانه (و) لايخاف إلا من الاسباب العادية علي أموره الدنيوية فيخاف (الذئب) بكسر المعجمة بعدها تحتية بهمزة على الاصل وقد لاتهمز ، سبع معروف أن يعدو (على غنمه) والسارق أن يغير على ماله ونعمه (و) تمام هذا الامر أى الاسلام وظهوره على سائر الاديان كائن البتة (١) (لكنكم تستعجلون) أى تطلبون العجلة فى الامور ولكل شيء فى علم الله أوان، وإذا جاء الاوان يجيء وقد وقع ماأخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم كما أخبره فعم الاسلام وظهر وصار الراكب لايخشى من يفتنه ويصده عن دينه، انما يخشي بوائق الحدثان وبالله المستعان، فهو من جملة علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ، ولا يخالف هذا الحديث مانقله ابن الاثير فى أسد الغابة عن أبى صالح قال كان خباب فينا يصنع السيوف، وكان رسول

---

١ فى محيط المحيط: قولهم لا أفعله ألبتة ولا أفعله بتة «والتنكير قليل» أى هذا القول قطعة واحدة لارجعة فيه ولا تردد وهو مصدر منصوب بفعل مقدر والتاء للمبالغة وأل فى البتة للجنس والمسموع قطع همزتها على غير القياس وحكم سيبويه بأن أل فيها لازمة . ع

رواه البخارى (وفى رواية) «وهو متوسد بردة، وقد لقينا من المشركين شدة

---

الله صلى الله عليه وسلم يألفه ويأتيه، فأخبرت مولاته بذلك فكانت تأخذ الحديدة المحماة فتضعها على رأسه فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: اللهم انصر خبابا. فاشتكت مولاته ام انمار رأسها، فكانت تعوى مثل الكلاب فقيل لها اكتوى، فكان خباب يأخذ الحديدة المحماة فيكوى بها رأسها» اهـ. انتهى د الوقعات. واختلاف الاقوال لاختلاف الاحوال. والله اعلم (رواه البخارى) فى علامات النبوة وفيما يأتى آنفا وفى كتاب الاكراه ورواه ابو داود والنسائى (وفى رواية) أى للبخارى فى باب مالقى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة (وهو متوسد بردة) وفى نسخة بيرد أتي بها مع أنها فى الرواية السابقة ليبين بها محل قوله (وقد لقينا) أى معشر ضعفاء المسلمين (من المشركين شدة) أى عظيمة كما يؤذن به التنوين، فكانوا يلقون بلالا على قفاه فى وقت الظهيرة ويجعلون على صدره الصخرة العظيمة، وكانوا يلقون خبابا على ظهره على النار وجعلوا سمية أم عمار بين جملين وادخلوا فى قبلها رمحا فماتت رضى الله عنهم أجمعين، ثم هذه الشدائد التي حلت بأولئك الاماجد لكمال استعدادهم زيادة فى علو درجاتهم ورفع شأنهم، وفى الحديث الشريف: أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل. وعلى قدر المقام يكون الابتلاء، وقد كانت قلوبهم راضية وأنفسهم بذلك مطمئنة، حتى لقد رد بعضهم جوار أقاربه الكفار، ورضى أن يعذب فى الله ويبتلى فيه مع الاخيار، وشكواهم ليست عن تضجر ولا تبرم، وإنما هي لانهم رأوا أن فى السلامة من ذلك تفرغا للعباده، وتوجها إلى كمال السعاده، فأرشدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أن غاية الادب الصبر على مراد الله والرضا بقضاء الله

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان يومُ حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً فى القسمة ، فأعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل ، وأعطى عيينة بن حصن مثلَ ذلك، وأعطى ناسا من اشراف العرب وآثرهم يومئذ فى القسمة.

---

لاينعم المرء بمحبوبه حتي يري الراحة فيما قضي

(وعن ) عبد الله(بن مسعود )الهذلى وهو المراد إذا أطلق ابن مسعود (رضى الله عنه قال : لما كان يوم حنين) أى زمن غزوتها ، وهى واد بين مكة والطائف وراء عرفات بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وهو معروف ، وكانت وقعة حنين فى شوال سنة ثمان من الهجرة عقب فتح مكة (آثر) بالمد أى أعطى ( رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا) من المؤلفة ومن الطلقاء ومن رؤساء العرب يتألفهم ( فى القسمة )لغنائم هوازن ( فأعطى الاقرع ) بالقاف الساكنة بعدها مهملتان ، لقب به لقرع كان فى رأسه (ابن حابس ) بالمهملة أوله وآخره وبعد الالف موحدة، وهو من سادات تميم مكان شريفا فى الجاهلية والاسلام (مائة من الابل وأعطى عيينة) بضم المهملة وفتح التحتية الاولى(ابن حصن) بكسر المهملة الاولى وسكون الثانية ، بعدها نون ابن بدر الفزارى(مثل ذلك )مفعول ثان ، ويحتمل أن يكون مفعولا مطلقا ، أي إعطاء مثل ذلك الاعطاء ، والاول أقرب (وأعطى ناسا من اشراف العرب) والطلقاء وضعفاء الايمان (وآثرهم ) أى اعطاهم عطايا نفيسة( يومئذ ) أى يوم حنين (فى القسمة)امتنانا تألفا لهم وتركا أقواما اعتمادا على ما وقر فى قلوبهم من نور الايمان وشمس العرفان ، وفى الحديث الصحيح عن سعد مرفوعا «إنى لاعطي الرجل وغيره أحب الى منه مخافة أن يكبه الله فى النار على وجهه » والناس قلل الراغب

فقال رجل: والله ان هذه قسمة ما عُدِل فيها وما أُرِيدَ بها وجه الله فقلت: والله لاخبرنّ رسول الله صلى الله

---

فى مفرداته : قيل أصله أناس فحذف فاؤه لما أدخل عليه أل . قلت وتقدم مثله عن البيضاوي ، والناس قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم الناس تجوزا وذلك إذا اعتبر معني الانسانية وهو وجود العقل والذكر وسائر القوى المختصة به فأن كل شيء عدم وصفه المختص به لا يكاد يستحق اسمه اه .
( فقال رجل ) هذا لفظ مسلم . وعند البخارى « فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله » فقال صلى الله عليه وسلم « لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر » قال ابن الملقن : وقوله فى البخارى إنه من الانصار غريب . قلت : قال الشيخ زكريا فى تحفة القارى : اسمه معتب بن قشير اه . وهو بضم الميم وفتح المهملة وتشديد الفوقية آخره موحدة وهو من الانصار أى من قبيلهم ، وهو الذى روى عنه الزبير أنه قال : لوكان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا . أما الذي قال اعدل يارسول الله فاسمه ذو الخويصرة وهو ابو الخوارج ، وظاهر كلام عياض فى شرح مسلم انه هو القائل عن النبي صلى الله عليه وسلم ماذكر فى هذا الخبر ، والله اعلم . فأن صح ذلك فيكون معني قوله : إنه من الأنصار . اى حلفا أو ولاء (والله إن هذه لقسمة ماعدل فيها وما اريد بها وجه الله ) الاوجه انه صلى الله عليه وسلم إنما ترك قتل قائل هذا الكلام مع ان سبه صلى الله عليه وسلم كفر يقتل به فاعله : لئلا يتحدث الناس بأنه صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه فينفروا عن الاسلام فعامله معاملة غيره من المنافقين ، قال القاضي عياض : وقد رأى الناس هذا الصنف فى جماعتهم وعدوه من جملتهم قال ابن مسعود ( فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فأتيته فأخبرته بما قال ، فتغير وجهه حتي كان كالصِّرْف ، ثم قال « فمن يعدلُ إذا لم يعدل الله ورسوله » ثم قال « يرحمُ اللهُ موسى ، قد أُوذي بأكثر مِن هذا

---

عليه وسلم) ليحذر منه وليعلم ما أخفاه من حاله، وليس هذا من باب نقل المجالس هي بالامانة لان ذاك في غير نحو هذا ، أما هذا فمن النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين (فأتيته فأخبرته بما قال ) مما يدل على حجب بصيرة قائله عن مشكاة أنواره صلى الله عليه وسلم، وإلا فلو أشرق فيه بعض ذلك النور ، لامتلأ قلبه من الحبور، وعلم أنه صلى الله عليه وسلم الطبيب الحاذق، الذي يداوى كل سقيم ، ويذهب كل ضير وألم، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور قال ابن مسعود (فتغير وجهه) صلى الله عليه وسلم كما هو قضية طبع البشر عند حصول مؤذ للنفس (حتي كان) أى صار ( كالصرف ) هذا لفظ رواية مسلم. وفى رواية للبخارى فى باب بدء الخلق « فغضب حتي رأيت الغضب فى وجهه» ( ثم قال ) رادا عليه ما نسبه اليه من عدم العدل ( فمن يعدل ) استفهام انكار فهو فى معنى ما يعدل أحد ( إذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال ) مبينا أن الصفح عن عثرات اللئام سنة قديمة فى الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ( يرحم الله موسى )أتى به مع أن الاكثر من هديه صلى الله عليه وسلم فى الدعاء أي عند ذكر أحد من الانبياء كما قيده به الدميري فى الديباجة ـ أن يبدأ بنفسه فيقول مثلا غفر الله لنا ولفلان : اهتماما بشأنه لانه ذكر فى مقام المدحة له والتأسى به ( قد أوذي بأكثر من هذا ) أى من أذى السفهاء والجهال له صلى الله عليه وسلم فقالوا أنه آدر(١) ، وذلك منهم غاية العتو ونهاية الاختلاق . قاله العراقى فى

---

١ أي كبير الانثيين

فصبر » فقلت « لا جرَم لا أُرفع اليه بعدها حديثا» متفق عليه. وقوله «كالصرف » هو بكسر الصاد المهملة وهو صبغ احمر

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا أراد الله بعبده الخير عجل الله له العقوبة فى الدنيا»

---

شرح التقريب ( فصبر ) على أذاهم وقابل جهلهم بحلمه وهو صلى الله عليه وسلم المقتبس من مشكاته كل خلق حسن ( فقلت لاجرم ) مذهب الخليل وسيبويه أنهما ركبا من لا وجرم وبنيا ، والمعنى حق ، وما بعده رفع به على الفاعلية . وقال الكسائي معناها لا صد ولا منع فيكون جرم اسم لا وهو مبني على الفتح ، وقيل غير ذلك وعلى القول الاول فالتقدير حق أن ( لا أرفع اليه بعدها ) أى هذه المرة (حديثا) يقع من أولئك فيه نفثات السنتهم بما تخفيه صدورهم ، أي مما لا يعود بضرر على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على الاسلام ، وإنما رأي ذلك لانه رأي أن كلامه حصل منه بعض التعب للنبي صلى الله عليه وسلم حتى رأى أثر الغضب من تلك الحمرة فى بشرته الشريفة ، ومع ذلك صفح عن ذلك القائل كيلا يقول الناس إن محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه ( متفق عليه ) رواه البخارى فى أبواب الخمس وفى الانبياء وفى الدعوات وفى الادب ورواه مسلم فى الزكاة ( وقوله ) فى الحديث ( كالصرف هو بكسر الصاد المهملة ) وسكون الراء آخره فاء ( وهو صبغ أحمر ) زاد فى شرح مسلم يصبغ به الجلود قال ابن دريد وقد يسمى الدم أيضا صرفا اه .

(وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أراد الله بعبده ) المراد عقابه (الخير عجل له ) فى جزاء سيئاته (العقوبة فى الدنيا )

واذا اراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إنّ عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى اذا أحب

---

ببلاء فى نفسه او بموت صديقه او بفقد ماله ونحوه ، فيكون ذلك إذا سلم من التبرم من الاقدار كفارة لجناياته فيوافى القيامة وقد خلص من تبعة الذنب ودركه ، فان لم يكن من ارباب المخالفات ونزل به بلاء كان زيادة فى درجاته ، وعليه يحمل حديث : اشد الناس بلاء الأنبياء ثم الامثل فالامثل (وإذا اراد الله بعبده) المذكور (الشر) من العقاب والعذاب (امسك عنه) الاذى (بذنبه) الباء بمعنى فى او سببية، يعنى ان تأخير ما ذكر عنه وبقاءه فى تبعات ذنبه من اسباب ذنبه ، ففيه استدراجه من حيث لا يشعر (حتي يوافى به) اى بذنبه حاملا له على كاهله (يوم القيامة) فيجازي به ، واين جميع اهوال الدنيا ومضايقها من ساعة من عذاب النار ومافيها من الاغلال والانكال، وفى الحديث الحث على الصبر على ماتجرى به الاقدار ، وانه خير للناس فى الحال والمآل، فمن صبر فاز ، ومن تبرم بالاقدار فقدر الله لا يرد ، وفات المتبرم آعالى الدرجات وتكفير السيئات، والله ولى التوفيق

(و)(١) عن أنس (قال النبي صلى الله عليه وسلم) مؤكدا لما دل عليه ماقبله مبينا له (إن عظم) بكسر المهملة وفتح المعجمة فى المعانى (الجزاء) اى الثواب فى الآخرة كائن (مع عظم البلاء) فمن حل به خلاف مايهواه الانسان بالطبع من الشدائد فليفرح بها : لما فيها من التخصيص وإجزال العطاء ، فأن لم يكن من أهل مقام الرضا فلا أقل من أن يكون من أهل مقام الصبر (وإن الله تعالى إذا احب

---

(١) ظاهر المتن أن هذا قطعة مما قبله وظاهر الشرح أنه حديث مستقل وهو الذى فى المنذرى لكن فيه ومن سخط فله السخط ، وليس فيه لفظ «جرى القدر» حتى

قوما ابتلاهم. فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعن أنس رضي الله عنه قال «كان ابن

قوما ابتلاهم) لانه لو تركهم وزهرات الدنيا ربما استغرقت فيها قلوبهم فاشتغلوا بها عن مربوبهم كما وقع ذلك للكفار وأرباب الغفلات ، فمن أراد الله اقباله عليه قطع عنه العلائق وأنزل به أنواع البلايا لتقوده إلى الرجوع إلى مولاه في كل ساعة وأي نعيم يوازي نعيم الشهود، وأي جحيم يساوي الغفلة والتبعيد (فمن رضي) بما جرى به القدر ولم يتبرم ولم يتضجر ( فله الرضا ) بالاختصاص الالهي والفيض الرباني والثواب الجزيل والاجر الجميل قال تعالى هل جزاء الاحسان إلا الاحسان (ومن سخط ) من ذلك وتبرم من تلك المقادير ( جرى المقدور ) إذ لا مانع لما اراد سبحانه (وله) أي الساخط ( السخط ) بفتحتين أو بضم فسكون ، الانتقام أو أرادته : لما فيه من معارضة الاقدار الالهية والاعتراض على الاحكام الربانية ، وليس ذلك من شأن العبيد ، والله يفعل مايريد ( رواه الترمذي ) في جامعه (وقال حديث حسن ) هو ما رواه العدل الضابط . غير تامها أو المستور والمجبر وقد سلم من الشذوذ والعلة ، وفي معنى حديث الباب ما أخرجه الترمذي أيضا عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب أن لو كانت جلودهم قرضت في الدنيا بالمقاريض »

(وعن انس) الاخصر وعنه (رضي الله عنه قال: كان ابن) هو الذي قال له صلى الله عليه وسلم « يا ابا عمير . مافعل النغير » وحديثه ذلك عند الترمذي في شمائله . قيل كناه صلى الله عليه وسلم بما ذكر إشارة الى قصر عمره . وعند ابن ماجه حديث في قصة تزويج أم سليم بأبي طلحة بشرط أن يسلم وقال فيه « فحملت فولدت غلاما

لابى طلحةَ رضى الله عنه يَشتكى ، فخرج أبو طلحة ، فقُبض الصبي،فلما رجع أبو طلحة قال ما فعـل ابني ؟ قالت أم سُليم وهى أم الصبي : هو أسكنُ ما كان، فقربتْ له العشاء ،فتعشي

---

صبيحا ، فكان أبو طلحة يحبه حبا شديدا ، فعاش حتي تحركفرض فحزن ابوطلحة عليه حزنا شديدا حتي تضعضع ، وابو طلحةيغدو ويروح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فراح روحة فمات الصبي » ( لابى طلحة ) اسمه زيد بن سهل الانصارى والابن اخ لانس من امه ام سليم (١) ( ى الله عنه ) الاولى رضى الله عنهما لانه ذكر صحابيان الابن وابوه ( يشتكى ي مريض وليس المراد انه صدرت منه شكوى لكن لما كان المريض يحصل منه ذلك استعمل فى كل مريض فخرج ابو طلحة ) أي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ( فقبض ) بالبناء للمجهول ( الصبى ) زاد الاسماعيلى فى روايته فأمرت أمه انسا أن يدعو أبا طلحة وألا يخبره بموت ابنه ( فلما رجع أبو طلحة ) إلى بيته.جاء فى رواية الاسماعيلى وكان ابو طلحة صائما ( قال مافعل ابنى ) اى ماقام به من صحة او زيادة مرض ( فقالت ام سليم ) بضم المهملة مصغرا واختلف فى اسمها فقيل سهلة وقيل رميثة ومليكة والغميضاء والرميصاء ( وهى ام الصبى ) جملة معترضة ( هو أسكن ما كان ) اى اسكن اكوانه فأنه كان فى القلق والاضطراب للنزع فذهب ذلك حينئذ ، وظن ابو طلحة انها ارادت هو أسكن من الالم لحصول العافية وفى عبارتها التوجيه ( فقربت له العشاء ) بفتح المهملة ممدودا الطعام الذي يؤكل عند العشاء وهو ما بين المغرب والعتمة ( فتعشى

---

(١) أى أن أم سليم هى أم أنس بن مالك فأولادها من أبى طلحة إخوة انس ابن مالك لامه رضى الله عنهم . ش

ثم أصاب منها ، فلما فرغ قالت : واروا الصبي. فلما أصبح ابو طلحة اتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ،فقال : اعرستم الليلة قال : نعم . قال : اللهم بارك لهما . فولدت غلاما ، فقال لي ابو طلحة . احمله حتي تأتيَ به النبيّ صلى الله عليه وسلم وبعث معه بتمرات . فقال امعه شيء؟قال نعم تمرات ،

---

(ثم أصاب منها) أي جامعها وفى رواية تأتى أنها تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها ( فلما فرغ ) من حاجته ( قالت واروا ) أى استروا (الصبي) بالدفن ( فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ) أى بما عدا الجماع بدليل قوله ( فقال اعرستم الليلة ) المراد منه هنا الوطء وسماه إعراسا لانه من توابع الاعراس ، ولا يقال فيه بالتشديد كذا فى النهاية وهمزة الاستفهام مقدرة ( قال نعم ) بفتح أوليه وسكون ثالثه وبكسر ثانيه فى لغة كنانة وقد تبدل عينه حاء حكاه النضر بن شميل؛ وهى من حروف الجواب لتصديق مخبر أو إعلام مستخبر اووعد طالب (قال اللهم ) أى يا الله ( بارك لهما ) دعا لهما بالبركة وهى النماء والزيادة ( فولدت ) من ذلك الوطء المدعو بالبركة فيه (غلاما) هو عبد الله . قال انس ( فقال لى ابو طلحة احمله حتى تأتى به النبي صلى الله عليه وسلم) ليحل نظره الشريف عليه ( وبعث معه بتمرات ) بفتح الميم ليحنكه بها والتحنيك بالتمر تفاؤل بالايمان: لانها ثمرة الشجرة التي شبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤمن ولحلاوتها ايضا ( فقال ) أي النبى صلى الله عليه وسلم وفى الكلام حذف تقديره فحملته حتى أتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقال ( أمعه شيء ) أي يحنك به (قال) انس (نعم) بفتحتين فسكون (تمرات) مبتدأ خبره محذوف اكتفاء بذكره

فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها ، ثم اخذها من فيه فجعلها فى فى الصبي، ثم حنكه وسماه عبدَ الله » متفق عليه ( وفى رواية للبخارى )قال ابن عيينة فقال رجل من الانصار « فرأيت تسعة اولاد كلهم قد قرءوا القرآن » يعنى من اولادعبد الله المولود

---

فى السؤال أى معه تمرات ( فاخذها النبى صلى الله عليه وسلم فمضغها ) لتختلط بريقه الشريف ويقدر الصبي على إساغتها ، فيكون أول مايدخـل جوفه الممتضع بريق المصطفى صلى الله عليه وسلم فيسعد ويبارك فيه ( ثم أخذها ) أى التمرات الممضوغات (من فيه فجعلها فى فى الصبي) أى فى فمه ، ولا يخفى ما فيه من الجناس التام ( ثم حنكه ) فى الصحاح : حنكت الصبي وحنكته اذا مضغت تمرا او غيره ثم دلكته بحنكه والصبي محنوك ومحنك ا ه ( وسماه عبد الله ) أي وضع له هذا الاسم ففيه فضل التسمية بذلك ( متفق عليه ) فى فتح البارى : واخرجه ابن حبان والطيالسي هذا ما اتفقا عليه ( و)زاد (فى رواية للبخارى قال) سفيان ( ابن عيينة) بضم المهملة و بكسرها اتباعا للياء بعدها وفتح التحتية الاولى وسكون الثانية الهلالى قرين الامام مالك بن تابعى التابعين ( فقال رجل من الانصار )هوعباية بن رفاعة كما أخرجه سعيد بن منصور ومسدد بن سعد وغيرهم ، وسبق أن الانصار لفظ إسلامي صار علما على أولاد الاوس والخزرج الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم والاسلام ( فرايت تسعة أولاد كلهم ) بالرفع مبتدأ خبره جملة ( قد قرءوا القرآن )ويجوز أن يكون كل تأكيد تسعة وأتى بها لئلايتوهم انه رأى بعضا دون بعض وحينئذ فجملة قرءوا القرآن حالية(يعنى)هذا لفظ أحد الرواة عن سفيان لبيان أن الاولاد المرئيين (من أولادعبد الله) بن ابى طلحة (المولود)من تلك الاصابة المدعو لها بالبركة، ووقع

(وفى رواية لمسلم) « مات ابن لابى طلحةَ مِن ام سليم ،فقالت لاهلها : لاتحدثوا أباطلحة بابنه حتي اكونَ انا احدثُه .فجاء فقرّبتْ اليه عَشاءً فاكل وشرب، ثم تصنعتْ له احسن ماكانت تصنَّعُ

---

فى رواية عن سفيان انهم سبعة بتقديم السين .قال فى فتح البارى وقيل : إن فى احداهما تصحيفا أو أن المراد بالسبعة من ختم القرآن كله وبالتسعة من قرأ معظمه ، وله (١) من الولد فيما ذكر بن سعد وغيره من علماء الانساب اسحاق واسماعيل وعبدالله ويعقوب وعمرو القاسم وعمارة وابراهيم وعمير وزيد ومحمد وأربع من البنات ، ويؤخذ من قول سفيان المذكور أن فى قوله صلى الله عليه وسلم لكما تجوزا : لان ظاهره انها فى ولدهما من غير واسطة وانما المراد من أولاد ولدهما المدعو له بالبركة وهو عبد الله اه . ( وفى رواية ) اخري لمسلم ) فى صحيحه ( مات ابن لابى طلحة من أم سليم ) الظرف الاول صفة لابن والثانى محتمل لها والحالية ( فقالت لاهلها ) أى لقرابتها الذين عندها وشعروا بوفاة ابنها ( لاتحدثوا أبا طلحة ) عند مجيئه المنزل (ب)وفاة ( ابنه) لئلا يتنغص عيشه وهو صائم فلاينال حاجته من الطعام ( حتى ) تعليلية أو غائية ( أكون انا ) تأكيد للضمير المستكن ( أحدثه ، فجاء فقربت إليه عشاء ) عبر هنا بألى لانه منتهي التقريب ، وفيما تقدم باللام إشارة إلى انه مقصود بذلك العشاء مهيأ له كما أشار البيضاوى إلي نحوه فى سورة يونس فى تعدية يهدى بألى تارةو باللام أخرى (فأكل وشرب ثم تصنعت له) بتحسين الهيئة بالحلى ونحوه (أحسن ماكانت تصنع )بنصب أحسن مفعول مطلق واصل تصنع تتصنع فأدغمت احدى التائين فى الصاد المهملة هذا إن قرىء بتشديدها

---

١) أى لعبد الله . ش

قبل ذلك ، فوقع بها فلما ان رأت انه قد شبع واصاب منها قالت : يا أبا طلحة ارايت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا فقالت : فاحتسب ابنك » قال « فغضب ثم قال : تركتني حتي اذا تلطخت ثم اخبرتني بابني ، فانطلق حتي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما

---

فأن كانت مخففة فأحدى التائين محذوفة دفعا للثقل (قبل ذلك) الوقت وهذا يدل على كال يقينها وقوة صبرها (فوقع بها) اى جامعها (فلما ان) زائدة (رأت انه قد شبع) من الطعام ( واصاب منها ) بالجماع (قالت) منبهة له على أنه لاينبغي له الحزن علي موت ولده عند اطلاعه عليه لانه وديعة بصدد الاسترداد ( يا ابا طلحة أرأيت ) أخبرني ( لو ) ثبت ( ان قوما ) هو فى الاصل جماعة الرجال والاكثر فى استعمال الشرع أن يراد به مايشملهم والنساء قاله الراغب فى مفرداته ( اعاروا عاريتهم ) مفعول ثان لاعار ( أهل بيت ) مفعوله الاول (فطلبوا عاريتهم ألهم ) أي لاهل البيت المستعيرين والظرف خبر مقدم مبتدؤه ( أن يمنعوهم ) أى منعهم ويصح أن تعرب أن ومدخولها فاعلا للظرف لاعتماده على الاستفهام ( قال لا ) أى ليس لهم منعهم لان الاعارة إباحة منافع المعار والمعار باق على ملك المعير فله استرداده متي شاء ( قالت فاحتسب ابنك) أى اطلب ثواب ابنك وأجر مصيبتك فيه من الله ولا تدنسها بما يحبط الثواب فانه كان عندك عارية استرده مالكه (قال) انس (فغضب) أبو طلحة (وقال) لام سليم ( تركتني ) بكسر التاء للمخاطبة ( حتي اذا ) وقتية ( تلطخت ) بفتح الفوقية واللام وتشديد الطاء المهملة وسكون المعجمة اى تقذرت بالجماع يقال رجل لطخ اى قذر ( ثم اخبرتني ) بكسر التاء ( بابني ) اى بموته ( فانطلق ) يمشي ( حتي اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له

كان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بارك الله فى ليلتكما » قال « فحملت » قال « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر وهى معه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى المدينة من سفر لا يطرُقها طُروقا فدنَوا من المدينة فضربَها المخاضُ ، فاحتبس عليها أبو طلحة ،

---

ذلك ) اى المذكور من فعل ام سليم الدال على كمال يقينها وحسن صبرها مما يعجز عنه كثير من الرجال ( فقال النبى صلى الله عليه وسلم ) داعيا لهما بما يعود نفعه عليهما لجميل فعلهما ( بارك الله لكما فى ليلتكما ) اي فيما فعلتماه فيها من الاعراس بأن يجعله نتاجا طيبا وثمرة حسنة (قال) انس (فحملت) ام سليم إجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم بالبركة بما كان منه قوم صالحون كما تقدم عن ابن عيينة (قال) انس (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر وهي معه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اتى المدينة من سفر) بفتح اوليه سمي بذلك لانه يسفر عن اخلاق الرجال وسفره صلى الله عليه وسلم من المدينة إنما كان لاداء النسك او الجهاد ( لا يطرقها ) بضم الراء ( طروقا ) بضم اوليه المهملتين اى لا يأتيها ليلا ، وكل آت بالليل طارق ونهي عن طروق المسافر أهله ليلا لئلا يرى منهم ما قد يكره وايضا فاذا وصلوا البلد نهارا وسمع بهم اهلهم تصنعت المراة لبعلها فبرلها بمنظر حسن ، بخلاف ما اذا فجأها وهى شعثة ربما كان رؤياها كذلك سببا لفراقه لها وهذا إذا لم يترقب اهله قدومه عليهم ليلا ، وإلا كان بلغهم بخبر قدومه من اول النهار فلا بأس بالطروق حينئذ ( فدنوا) قربوا ( من المدينة فضربها المخاض) بفتح الميم وقرىء بكسرها فى الشواذ وهو وجع الولادة ( فاحتبس عليها ابو طلحة ) اى

وانطلق رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم » . قال « يقول أبو طلحة : إنك لَتعلم يارب أنه يُعجبنى أن أخرجَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج . وأدخلَ معه اذا دخل ، وقد احتبستُ بما تَرى ، تقول أم سُليم ياابا طلحة ما اجدُ الذى كنت اجد ، انطلِق . فانطلقنا وضربها المخاض حين قَدِما ، فولدت غلاما ، فقالت لى أمى :

---

حبس نفسه عليها لاشتغاله بشأنها ( وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ) فى مسيره الى المدينة (قال) انس ( يقول ابو طلحة ) أى بلفظ المضارع لحكاية الحال الماضية اشارة لكمال استحضاره للقصة واتقانه لها ( إنك لتعلم يارب ) بكسر الباء دليلا على التحتية، ويجوز فتحها على ان المحذوفة الالف المنقلبة عن الياء ، وضمها بناء على قطعه عن الاضافة ، وجملة النداء معترضة بين الفعل وماسد مسد مفعوليه وهو قوله ( انه يعجبنى ) بضم التحتية ( ان اخرج مع رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم إذا خرج ) من المدينة لسفر ( وأدخل معه ) المدينة وهو بالنصب عطف على اخرج ( اذا دخل ) اى دخلها فالمفعول محذوف لدلالة السياق عليه (وقد احتبست) اى منعت من الدخول ( بما ترى ) مما نزل بأم سليم ، فأجاب الله دعوته وكشف كربته (قال) انس مخبرا عن ذلك ( تقول أم سليم ) أى قالت امسليم وعدل عنه إلى المضارع لما ذكر آنفا ( يا أبا طلحة : ما أجد الذي كنت أجد ) العائد محذوف التقدير أجده أى ماأجد الم الوضع الذى كنت أجده قبل ( انطلق ) أمر له لان سبب التخلف زال ( قال ) أنس (فانطلقنا وضربها المخاض حين قدما) بكسر الدال أى اى وقت قدوم أبى طلحة وام سليم المدينة مع المصطفى صلى الله عليه وسلم (فولدت غلاما ) هو المسمي بعبد الله ( فقالت لى أمى ) أم سليم أم عبد الله المذكور فهو

يا انس لا يرضعه احد حتي تغدُوَ به علي رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فلما اصبح احتملتُهُ فانطاقت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم» وذكر
تمام الحديث

أخو انس لامه كما تقدم (ياانس لا يرضعه) بضم التحتية وسكون المهملة على أن لا ناهية (احد) أى ليكون أول شيء يشق جوفه ويدخل امعاءه الممزوج بريق المصطفى صلى الله عليه وسلم، فيعود عليه بخير الدارين كما ظهر أثره فى هذا الفلام بتكثير بنيه الصالحين الاتقياء المفالحين (١) قال الشاعر:

نعم الاله على العباد كثيرة    وأجلهن نجابة الاولاد

(حتى تغدو به) وتعرضه (علي رسول الله صلي الله عليه وسلم) والغدو سير اول النهار والرواح السير بعد الزوال. هذا هو الاصل فيهما وقد يتجوز فى ذلك ومنه حديث « من راح الى الجمعة فى الساعة الاولى » علي احد الاقوال فيه وعدى بعلى اشارة إلى أن القصد من الوصول به إليه عرضه عليه ليحل عليه نظره السعيد فيفوز بالخير المديد وقد حقق الله ما ارادت (فلما اصبح) أى دخل وقت الصباح ومنه قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (احتملته فانطلقت) امشى (به) منتهيا (الى رسول الله صلي الله عليه وسلم. وذكر تمام الحديث) وفيه نحو مما فى حديث البخارى السابق انه حنكه بتمر وسماه عبد الله، قال فى فتح البارى: وفى الحديث فوائد: جواز الأخذ بالشدة وترك الرخصة مع القدرة عليها، والتسلية عن المصائب وتزين المرأة لزوجها وتعرضها لطلب الجماع منه، واجتهادها فى عمل مصالحه

١) الفلاح الفوز وهو من « أفلح » الرباعي فاسم الفاعل منه « مفلح » لا فالح ولعل الشارح آثر التعبير به لشهرته. ع

وعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس الشديد بالصُّرَعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» متفق عليه . و «الصرعة» بضم الصاد وفتح الراء .

---

ومشروعية المعاريض الموهمة اذا دعت الضرورة اليها ولم يترتب عليها إبطال حق مسلم . والحامل لام سليم عليه المبالغة فى الصبر والتسليم لامر الله تعالى ، ورجاء إخلافه عليها ما فات منها : اذ لو اعلمت أبا طلحة بالامر فى اول الحال تنكد عليه وقته ولم تبلغ الغرض الذي ارادته فلما علم الله تعالى صدق نيتها بلغها مناها واصلح لها ذريتها،وفيه إجابة دعوة النبى صلى الله عليه وسلم وان من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه . وكان لام سليم من قوة القلب وثبات الجنان الغاية القصوي فكانت تشهد الحرب وتداوى الجرحى اهـ .

( وعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الشديد ) المحمودة شديديته شرعا ( بالصرعة إنما الشديد ) الممدوحة شديديته شرعا ( الذى يملك نفسه ) من الوقوع فى المنهيات ( عند ) وجود ( الغضب ) وقيامه به وذلك إنما يكون لمن راض نفسه بسياسة الاتباع واقتدى بالمصطفى فى سائر الاحوال فلم يحمله الغضب على الوقوع فى اسباب الهلاك فى دينه والغضب بالتحريك لغة ضد الرضا وسببه حصول مخالف لمراد الانسان ممن هو دونه ومحتديده فيحصل منه تلك الحالة المقتضية لفعل ما لا يجوز من قتل أو ضرب أو سب . فمن حفظ نفسه عن ذلك وقادها بزمام الشريعة وكظم غيظه وعفا فاز بالدرجة العليا وكان محموداً شرعا، وان انتقم بقدر ما اذن فيه الشرع من التأديب فلا بأس ( متفق عليه ) ورواه الامام احمد من حديث أبي هريرة ايضا ( الصرعة بضم الصاد وفتح الراء )

وأصله عند العرب من يصرع الناس كثيرا

وعن سليمانَ بن صُرَد رضى الله عنه قال « كنتُ جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان

---

المهملتين بعدهما مهملة مفتوحة (واصله عند العرب من يصرع الناس كثيرا )فان «فعلة » بضم ففتح لمن يكثر منه الفعل و«فعلة» بضم فسكون لمن يعتاد فعل ذلك الشيء به . فضحكة بوزن همزة بمعنى الفاعل لمن يكثر الضحك من الناس ، وضحكة بوزن ركبة بمعنى المفعول لمن يكثر ضحك الناس عليه وسخريتهم به ذكره الكرماني .وقد بسطت ذلك فى شرح الاذكار . وفى الحديث ان مجاهدة النفس اشد من مجاهدة العدو . وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه لما عادوا من بعض الغزوات « رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر .»

( وعن سليمان بن صرد ) زاد فى الاذكار فقال الصحابي ( رضى الله عنه ) وصرد بضم ففتح لاوليه وجميع حروفه مهملة وهو خزاعى · كان اسم سليمان فى الجاهلية «يسار» فسماه صلى الله عليه وسلم «سليمان» وكان خيرا دينا فاضلا ذا دين وعبادة وشرف فى قومه . نزل الكوفة اول ما كوفها سعد وقتل فى حرب بينت سببه فى شرح الاذكار . وحمل راسه الى مروان بن الحكم بالشام. وكان عمره حين قتل ثلاثا وتسعين سنة · روي له عن رسول الله صلي الله عليه وسلم خمسة عشر حديثا اتفقا منها علي هذا الحديث والفرد البخارى عنه بحديث واحد هو قوله صلى الله عليه وسلم « اليوم نغزوهم ولا يغزوننا » فليس له فى الصحيحين سوى حديثين وخرج عنه اصحاب السنن الاربع (قال كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان ) بفتح التحتية وسكون المهملة وفتح الفوقية وتشديد

واحدهما قد احمر وجهه وانتفخت اوداجه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد. لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه مايجد فقالوا له

---

الموحدة افتعال من السب أي يسب كل منهما صاحبه (وأحدهما) قال ابن حجر الهيثمي قيل إنه معاذ ، فان صح وأنه ابن جبل تعين تأويل ما وقع منه من قوله « هل بي من جنون » على أنه قاله من سورة الغضب من غير تأمل ، قيل وهو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم « أوصني » الحديث الآتي ، ففيه أن معاذا كان عنده سورة من الغضب ( قد احمر ) بتشديد الراء (وجهه وانتفخت أوداجه) في النهاية الاوداج ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح واحدها ودج، وقيل الودجان عرقان غليظان عن جانبي ثغرة النحر ، ومنه الحديث اهـ . ( فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لاعلم كلمة ) المراد منها معناها اللغوي وهي الجمل المفيدة ( لو قالها ) بصدق ويقين ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم ان ذلك الرجل لو قالها مطلقا ( لذهب عنه مايجد ) من شدة الغضب ببركة الكلمات وتأثير همته الشريفة في دفع ذلك عنه . ثم هذا الحديث الشريف مستمد من قوله تعالى «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم »(لو قال : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه مايجد ) من شدة الغضب وشره ، والجملة بيان لما قبلها ، واعوذ معناه ألجأ واعتصم ، والشيطان العاتي المتمرد من شاط احترق ، أو من شطن بعد ،والرجيم فعيل بمعنى مفعول اي المبعد من رحمة الله ، واللام محذوفة من « لذهب » تفننا في التعبير ( فقالوا له ) اي قال الصحابة لذلك الرجل المغضب

إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوَّذْ بالله من الشيطان الرجيم »
متفق عليه

وعن معاذ بن انس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
« مَن كظَم غيظا وهو قادر على ان يُنْفِذَه

---

(إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تعوذ بالله من الشيطان الرجيم) هذا منهم رواية للحديث بالمعنى ، لا بخصوص اللفظ والمبنى ، ففيه نص على جواز ذلك للعارف به وفى الحديث تتمة سكت عنها المصنف هنا وهى انه لما قيل له ذلك قال « وهل بى من جنون » وفيه ان الغضب إنما يثير ناره ويشعل لهبه الشيطان لما يترتب عليه من الضرائر فى الدين والدنيا فلذا كان دواؤه قطع سبب مادته وهو وسواس الشيطان الرجيم بالاستعاذة منه ( متفق عليه ) ورواه ابو داود والترمذى والنسائى وفى رواية لابى داود والترمذي والنسائى من حديث معاذ « اللهم إنى اعوذ بك من الشيطان الرجيم » كذا فى سلاح المؤمن .

(وعن معاذ) بضم الميم بعدها مهملة ( ابن انس رضى الله عنه ) هو الجهني سكن مصر روى عنه ابنه سهل له نسخة كبيرة عند ابنه سهل(١)اورد منها احمد بن حنبل فى مسنده وابو داود والنسائي والترمذى وابن ماجه والائمة بعدهم فى كتبهم ، روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثون حديثا ( ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: من كظم غيظا ) تجرعه واحتمل سببه وصبر عليه ، والغيظ تغير الانسان عند احتداده وظاهر عموم تنكير غيظا حصول الثواب على كظم الغيظ مع القدرة علي انفاذه وإن قل ( وهو قادر على أن ينفذه ) بضم التحتية أي يقضى ويعمل بما يدعوه اليه من ضرب المغتاظ منه . او قتله أو نحوه لسطوته

---

١) كذا بالاصول . ع

دعاه الله سبحانه على رءوس الخلائق يوم القيامة ، حتى يخيّره من الحور العين ما شاء » رواه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن

وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رجلا

---

على المغتاط منه بملك أو نحوه وهو قيد فى حصول ثواب كظم الغيظ المذكور ( دعاه الله سبحانه ) تنزيها له عما لا يليق بشأنه ( وتعالى ) عن ذلك فهو كالاطناب كما سبق ( على رءوس الخلائق ) تنويها بشأنه وإعلاما بعلو مكانه (يوم القيامة ) ظرف لدعاه ( حتى يخيره ) بضم التحتية الاولى وتشديد الثانية (من الحور ) بضم المهملة وسكون الواو آخره راء اى شديدات سواد العيون وبياضها ( العين ) ضخام العيون كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء ، مفرده عيناء كحمراء (ما شاء) مفعول ثان ليخير ( رواه ابو داود والترمذى) ورواه ابن ماجه (و قال) يعنى الترمذى (حديث حسن) وعند ابن ابى الدنيا فى كتاب ذم الغضب من حديث ابى هريرة مرفوعا « من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا » وعنده أيضا من حديث ابن عمر « من كف غضبه ستر الله عورته » اهـ . وقد روى أن الحسين بن على رضى الله عنهما كان له عبد يقوم بخدمته و يقرب اليه طهره فقرب اليه طهره ذات يوم فى كوز ، فلما فرغ الحسين من طهوره رفع العبد الكوز من بين يديه فأصاب فم الكوز رباعية الحسين فكسرها ، فنظر إليه الحسين ، فقال « والكاظمين الغيظ » قال « قد كظمت غيظي » فقال « والعافين عن الناس » قال « قد عفوت عنك » قال « والله يحب المحسنين » قال « اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى » قال: وما جواز (١) عتقى . قال : السيف والدرقه فانى لا أعلم فى البيت غيرهما

(وعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رجلا ) قال الشيخ زكريا فى تحفة القارى

---

١ ) اى جائزة . ش

قال للنبي صلى الله عليه وسلم : اوصنى قال « لاتغضب » فردد مرارا، قال « لاتغضب» رواه البخارى

---

هو جارية بالجيم ابن قدامة ومنه أخذجمع أنه صحابى واعتمده الحافظ ابن حجر وقيل: إنه تابعى وإن ماجاء فى رواية خرجها أحمدعنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهم، وقيل إنه سفيان بن عبد الله الثقفى ، فقد ورد عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ،فأجابه بذلك ،فردد عليه مرارا يسأله عن ذلك يقول له نبي الله: لاتغضب. رواه العراقى فى أماليه وقال إنه حسن من هذا الوجه ، قال: والحديث صحيح من وجه آخر - يعنى به حديث البخارى هذا .قال : وإنما أوردته من حديث سفيان لفائدة كونه هو السائل، قال: وقد روينا فى احاديث عن ابن عمر وعبد الله بن عمرو وأبى الدرداء وجارية بن قدامة أن كلامنهم سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال له لاتغضب اه .وجاء عن جابر وجارية كذلك، وتقدم عن شرح المشكاة لابن حجر أنه معاذ بن جبل فلعله صدر من كل منهم (قال للنبى صلي الله عليه وسلم أوصنى) توصية جامعة لخير الدارين كما يدل عليه التعميم بحذف المفعول ،وجاء فى رواية عن أبى سعيد الخدري وأبى هريرة « اخبرنى بعمل يدخلنى الجنـة ولاتكثر علي لعلى اعقله» ( قال لاتغضب )لماكان الغضب من نزغات الشيطان ولذا يخرج الانسان عن اعتداله فيتكلم بالباطل ويفعل المذموم قال له لما قال اوصنى: لاتغضب(فردد) السائل قوله اوصنى (مرارا قال) له صلى الله عليه وسلم فى جواب كل مرة(لاتغضب) ولم يزد عليه ففيه دليل علي عظم مفسدة الغضب وما ينشأ منه ،وعند الخرائطى زيادة «قال الرجل السائل ففكرت حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال فاذا الغضب يجمع الشر كله » (رواه البخارى ) فى صحيحه من حديث ابى هرير

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مايزالُ البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقىَ اللهَ تعالى وما عليه خطيئة »

---

و كذا رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه ،ورواه المحاملى عن أبى سعيد وابى هريرة ورواه ابن حبان فى روضة العقلاء له عن ابى هريرة أوجابر ورواية البخارى المذكورة رافعة للشك،ورواه مسدد فى مسنده عن أبى سعيد من غير تردد، وحديث ابى هريرة صحيح ،وهو من إفراد البخارى أى بالنسبة لمسلم ، وأصح من حديث ابى سعيد ، وروى من حديث جابر وابن عمر وابن عمرو وأبى الدرداء وجارية بن قدامة،وطرق الحديث استوعب جملة منها السخاوى فى تخريج الاربعين التى جمعها المؤلف نفع الله به يأتى نقلها عنه ملخصا فى باب الحلم

(وعن ابى هريرة ) الاخصر وعنه(رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء )بالمصائب والمتاعب نازلا (بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه ) بالمرض والفقر والغربة،التى هى فى الظاهر كربة ،وإن نظرت اليها وأنها واردة اليك من ارحم الراحمين انقلبت من كونها محنة ،إلى كونها منحة (وولده )بالموت والمرض اوعدم الاستقامة اونحوه مما يؤلم الوالد بحسب الطبع البشرى ( وماله ) بالتلف ببعض الاسباب من حرق اوسرقة اونحو ذلك(حتى) غاية لنزول البلاء بأرباب الايمان ، أى ان البلاء لايزال بالانسان — أى الصابر كما يدل عليه لفظ المؤمن والمؤمنة ، المحمول على الفرد الكامل -إلى أن يغفر الله له به الخطايا ،(يلقى)أى المبتلى ليشمل كلامنها (الله تعالى)ولقاء الله كناية عن الموت(وماعليه خطيئة )أى ذنب جملة حالية ،وقوله خطيئة ظاهر عمومه شمول الكبائر والتبعات ، فأن ثبت ذلك

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم عُيينةُ بن حِصن فنزل على ابن اخيه الحُرّ بن قيس، وكان من النفرَ الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه ،وكان القُرّاء

---

وأنه مراد ، فذاك من محض فضل الكريم الجواد : إذ صالح العمل ومنه الصبر والاحتساب إنما يكفر الصغائر المتعلقة بحقوق الله تعالى (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ) يحتمل ان يكون علي تقدير واو العطف إن كان له اسنادان أحدهما صحيح والآخر حسن وأن يكون علي تقدير أو إن كان سنده فرداً واختلف في حاله وقد تقدم بسط في هذا المقام في باب التوبة .والحديث رواه أيضاً مالك

(وعن) عبد الله ( بن عباس رضي الله عنهما قال قدم ) بكسر الدال (عيينة) بضم اوله المهمل وفتح التحتية الاولى وسكون الثانية بعدها نون فهاء (ابن حصن) بكسر فسكون لاوليه المهملين الفزاري أسلم يوم الفتح وقيل قبله . وكان من المؤلفة قلوبهم ومن الاعراب الجفاة ارتد وأتي به أسيرا إلى الصديق فاسلم فاطلقه فقدم ابن حصن المدينة ( فنزل علي ابن اخيه الحر ) بضم الحاء وتشديد الراء المهملتين (ابن قيس) ابن حصن الفزاري ، صحابي ، وهو الذي تمارى مع ابن عباس في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل اليه فقال ابن عباس هو الخضر فسأل عنه أبيا فذكر فيه خبرا مرفوعا كما قال ابن عباس وقد اخرجه كذلك البخاري في كتاب العلم من صحيحه (وكان) الحر ( من النفر )بفتح اوليه الناس كلهم أو ما دون العشرة من الرجال وجمعه أنفار كذا في مختصر القاموس (الذين يدنيهم ) بضم اوله أي يقربهم (عمر) ابن الخطاب (رضي الله عنه) لكونه من الفقهاء القراء (وكان القراء ) جمع قارىء والمراد منهم القارىء للقرآن المتفهم لمعانيه . فان عادتهم حينئذ كانت كذلك حتى اتفق أن عمر رضي الله

اصحابَ مجلس عمر رضى الله عنه ومشاورته كُهولا كانوا أو شبانا ، فقال عينية لابن اخيه «يا بن أخى لكَ وجه عند هذا الامير فاستأذِن لى عليه» فاستأذَن ، فأذِن له عمر ، فلما دخل قال «هِيْ يا بن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجَزْل ،

---

البقرة فى سبع سنين لذلك (اصحاب) اى ملازمي (مجلس عمر رضى الله عنه) لينبهوه إذا سها ويذكروه إذا نسى (ومشاوريه) يحتمل ان يكون بالفوقيه بعد الراء المهملة فيكون معطوفا علي مجالس ويحتمل ان يكون بالتحتية جمع مذكر سالم فيكون معطوفا علي اصحاب (كهولا كانوا او شبانا) الكهل الذى جاوز الثلاثين ووخطه الشيب ، وقال ابن فارس قال المبرد هو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وفى تحفة القارى : سن الشباب خمس وثلاثون سنة وسن الكهولة خمسون سنة وسن الشيخوخة ستون سنة اه. وبه يعلم ان الثلاث والثلاثين ابتداء الكهولة وتستمر الى الخمسين وما قبل ذلك من بعد البلوغ فسن الشباب ، والشبان بضم المعجمة وتشديد الموحدة آخره نون جمع شاب وفى نسخة بفتح اوليه وآخره موحدة ايضا (فقال عيينة لابن أخيه يا بن اخى لك وجه) اى جاه (عند هذا الامير) اى عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فاستأذن لى) أمر أى اسأل لى الاذن فى الدخول (عليه فاستأذن) اى الحر لعيينة (فأذن عمر له) أى لعيينة فى الوصول إليه (فلما دخل) معطوف علي مقدر أى فدخل فلما دخل (قال هى) بكسر الهاء وسكون التحتية كلمة تهديد وقيل هي ضمير وثم محذوف اى هي داهية، وفى البخارى هيه بهاء السكت فى آخره ، وفى اخرى منه إيه بالهمز بدل الهاء وهما بمعنى كما قال ابن الاثير فمعناهما بلا تنوين زدني من الحديث المعهود وبالتنوين من اى حديث كان (يا بن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل) بالنصب

و لا تحكم فينا بالعدل » فغضب عمر رضى الله عنه حتى همّ ان يوقعَ به ، فقال له الحر «يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو ، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين، وإن هذا من الجاهلين»

---

مفعول به او مطلق ، اى ما تعطينا الشيء الكثير او العطاء الكثير ،وأصل الجزل ماعظم من الحطب . وكأنه اراد انه يستأثر به عن مستحقيه (ولا تحكم فينا بالعدل) وهو ماجاء به الكتاب والسنة نصا او استنباطا ( فغضب عمر رضى الله عنه )أي لما رماه به من منع المال عن مستحقه من الانام وعدم العدل فى الاحكام ( حتى هم )بتشديد الميم أى أراد(ان يوقع به) بضم التحتية وكسر القاف والمفعول محذوف أى شيئا من العقوبة وذلك لجفائه وسوء ادبه معه (فقال له ) اى لعمر وقدمه علي الفاعل اهتماما به (الحر : يا امير المؤمنين ) تقدم اول الكتاب انه اول من لقب به من الخلفاء ( إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ) محرضا له علي الحلم والصفح أى ولكم فى رسول الله اسوة حسنة ( خذ العفو ) التيسير من اخلاق الناس ولا تبحث عنها. وفى البخاري عن عبد الله بن الزبير « ما نزلت : خذ العفو وأمر بالعرف. إلا فى اخلاق الناس » وفى رواية قال «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأخذ العفو من اخلاق الناس» وكذا فى جامع الاصول ( وأمر بالعرف )أي المعروف ( واعرض عن الجاهلين ) فلا تقابلهم بسفههم . روى انه «لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا ؟ قال لا ادرى حتي اسأل . ثم رجع فقال إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك . وتعطي من حرمك .وتعفو عمن ظلمك» ذكره البغوى فى تفسيره بلا سند قال جعفر الصادق ليس فى القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه (وإن هذا من الجاهلين) المأمور صلي الله عليه وسلم بالصفح عنهم والتجاوز عن سوء فعلهم ،والخطاب له صلى الله عليه وسلم يدخل فى

والله ما جاوزها عمر حين تلاها ، وكان وقّافا عند كتاب الله تعالى . رواه البخارى

وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «انها ستكون بعدى أَثَرَةٌ وأمورٌ تُنكِرونها » قالوا «يارسول الله فما تأمرنا » قال « تؤدُّون الحقَّ الذى عليكم ، وتسألون الله الذى لكم »

---

حكمه أمته الا ما قام الدليل على اختصاصه به (والله ما جاوزها )اى الآية (عمر) أى ما خرج عما تضمنته من الصفح والتجاوز (حين تلاها) الحر عليه (وكان وقافا عند ) حدود (كتاب الله ) كناية عن إمتثاله لها والاهتمام بأمرها وعدم تجاوز ذلك والوقاف بالتشديد للثانى من الوقوف كذا فى النهاية (رواه البخارى) فى التفسير وفى الاعتصام

( وعن ) عبد الله ( بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنها ستكون ) تحصل ( بعدى ) أى بعد وفاتى بمدة كما تومئ اليه السين (أثرة ) بالمثلثة والراء اسم مصدر استأثر أو اسم مصدر آثر يؤثر أى يستأثر عليكم أى يفضل غيركم فى نصيبه من الفيء ، والاستئثار الانفراد بالشىء (وأمور تنكرونها كما وقع من تأخير الصلوات وبعض المنكرات ( قالوا يارسول الله فما تأمرنا ) نفعله حينئذ ( قال تؤدون ) بضم الفوقية وفتح الهمزة وتشديد المهملة أى تعطون (الحق الذى )كتب (عليكم) من الانقياد لهم وعدم الخروج عليهم ( وتسألون الله الذى لكم ) من الحق فى بيت مال المسلمين ، أى تطلبون منه ذلك وهو يسخر قلوبهم لاداء ذلك أو يعوضكم عنه ،ولا يجوز لكم الخروج عليهم لمنع أداء الحق الواجب عليهم وما نقل عن بعض السلف من الخروج علي ولاة زمنه فذلك اجتهاد له، وفى

متفق عليه( والأثرة ) الانفراد بالشيء عمن له فيه حق

وعن ابي يحيي أسيد بن حُضير رضى الله عنه،

---

الحديث الصبر على المقدور، والرضا بالقضاء حلوه ومره، والتسليم لمراد الرب العليم الحكيم ( متفق عليه ) رواه البخارى فى علامات النبوة وفى الفتن ، ورواه مسلم فى المغازى ورواه الترمذى فى جامعه وقال حسن صحيح ( والأثرة ) بفتح أوليه ويقال الأثرة بضم الهمزة وبالكسر وسكون المثلثة وكالحسنى . كذا فى مختصر القاموس (الانفراد بالشيء ) اى الاختصاص به أو ببعضه ( عمن له فيه حق ) فهو منع المستحق من نصيبه مثلا أو من بعضه

( وعن أبي يحيي) كنى بابنه يحيي وقيل كنيته أبو عيسى كناه بها النبى صلى الله عليه وسلم وقيل أبو عتيك وقيل أبو حضير وقيل أبو عمرو ( أسيد بن حضير )وسيأتى ضبط هذين الاسمين . واسيد بن حضير (رضى الله عنه) أنصارى أوسى أشهلى ، اسلم قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة بعد العقبة الاولى وقيل الثانية وكان الصديق يكرمه ولا يقدم عليه أحدا ويقول إنه لاخلاف عنده ، وشهد العقبة الثانية وكان نقيبا لبنى عبد الاشهل ، واختلف فى شهوده بدرا وشهد أحدا وما بعدها ، آخي صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة، وكان من أحسن الصحابة صوتا بالقرآن ، وكان أحد العقلاء الكمل أصحاب الرأى، وأخرج فى أسد الغابة عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نعم الرجل أسيد بن حضير » روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثا قاله ابن حزم فى سيرته اتفقا منها على حديث واحد وهو هذا وانفرد البخارى عنه بحديث آخر أخرجه تعليقا توفى أسيد فى شعبان سنة عشرين وحمل عمر رضى الله عنه السرير حتي وضعه بالبقيع وصلى عليه ، وكان قد أوصى إلى عمر فى وفاء دينه فوجد عليه أربعة آلاف

أن رجلا من الانصار قال «يارسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلانا» فقال « إنكم ستلقون بعدى أثرة ، فاصبروا حتي تلقونى على الحوض»

---

دينار فسده من ثمر نخله ، باعه بذلك أربع سنين ( أن رجلا من الانصار ) قال الشيخ زكريا قيل هو أسيد بن حضير الراوى اه . قال السيوطى ولا بدع أن الراوى يبهم نفسه كما سيأتى فى حديث ابى سعيد فى قصة الرقية بالفاتحة (قال يارسول الله ألا ) بفتح الهمزة وتخفيف اللام أداة عرض (تستعملنى) أى تصيرنى عاملا فى بلاد ونحوها (كما استعملت فلانا ) هو عمرو بن العاص (وفلانا ) أى استعمالا كاستعمال فلان وفلان . قال ابن السراج لفظ فلان يكنى به عن اسم سمي به المحدث عنه خاص بالناس غالبا ، ويقال فى النداء يافل بحذف الالف والنون وقد يحذفان فى غير النداء ضرورة ويقال فى غير الناس الفلان والفلانة بأل هذا ما ذكره الجوهرى قال المصنف فى التهذيب ورد عن أبى يعلى فى مسنده باسناد على شرط مسلم عن ابن عباس قال « ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت يارسول الله : ماتت فلانة تعنى الشاة » الحديث . قال : كذا هو النسخ المعتمدة فلانة من غير أل وهذا تصريح بجوازه فهما لغتان اه . ( فقال انكم ) أى يا معشر الانصار ( ستلقون بعدى أثرة ) تقدم ما فيه من اللغات والمعني المراد منه ( فاصبروا ) علي استئثارهم عليكم بما تستحقونه ( حتي تلقونى على الحوض ) أى إلى الموت الكائن بعد البعث منه القاؤهم له صلى الله عليه وسلم على الحوض . فان قلت ما وجه المناسبة بين قوله « انكم ستلقون الخ » وما سأله من العمل . قلت لعله أن من شأن العامل الاستئثار إلا من عصم الله ، فأشفق عليه صلى الله عليه وسلم من أن يقع فيما يقع فيه بعض من يأتى بعده من الملوك ، فيستأثر على ذوي الحقوق ويمنعهم منه ، وهذا من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم فقد وقع كما اخبر ، وفى الحديث ايماء إلى أن الخلافة

متفق عليه «وأسيد» بضم الهمزة و«حضير» بحاء مهملة مضمومة وضاد معجمة مفتوحة والله اعلم

وعن أبي ابراهيم عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها

---

بعده صلى الله عليه وسلم لاتكون فيهم ، وقد أوصى عليهم صلى الله عليه وسلم (متفق عليه . وأسيد بضم الهمزة ) وفتح السين المهملة وسكون التحتية آخره دال مهملة ( وحضير بالحاء المهملة المضمومة فضاد معجمة مفتوحة ) عرف الحاء ونكر الضاد تفننا في التعبير ، وبعد الضاد تحتية ساكنة فراء مهملة

( وعن ابي إبراهيم ) وقيل ابو معاوية وقيل أبو محمد ( عبد الله بن أبي أوفى ) واسم ابي اوفى علقمة بن خالد بن الحارث بن ابي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم الاسلمي . هو وابوه صحابيان ( رضي الله عنهما ) بايع عبد الله بيعة الرضوان وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد . ولم يزل بالمدينة حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم تحول الى الكوفة وهو آخر من توفي بها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أخرج ابن الاثير في أسد الغابة عنه « أنه سئل عن أكل الجراد . فقال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست غزوات نأكل الجراد » روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وتسعون(١) حديثا اتفقا منها على عشرة وانفرد البخاري بخمسة ومسلم بواحد . توفي عبدالله بالكوفة سنة ست وقيل سبع وثمانين بعد ما كف بصره رضي لله عنه ( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه ) اى ايام غزواته وحروبه وهو متعلق بقوله الآتي « انتظر » (التي لقي فيها

---

١ في نسخة «وعشرون» بدل «وتسعون» . ش

العدوّ انتظر حتي اذا مالت الشمسُ قام فيهم ، فقال «يأيها الناس لا تتمنّوا لقاء العدوّ واسألوا الله العافية ،

---

العدو) وتقدم فى باب التوبة ان عدد المغازى التى خرج لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبع وعشرون قاتل فى تسع منها بنفسه تقدم بيانها ثمة، والعدو بفتح العين فضم الدال المهملتين وتشديد الواو يطلق على الواحد والجمع والمراد منه الكفار ( انتظر ) أى أخر قتالهم (حتى اذا مالت الشمس) عن كبد السماء إلى جهة المغرب وهو وقت الزوال ، أى كان يؤخر القتال إلى ميل الشمس ليبرد الوقت على المقاتلة ، ويخف عليهم حمل السلاح التي يؤلم حملها فى شدة الهاجرة ، وقيل بل كان يفعل ذلك لانتظار هبوب ريح النصر التى نصر بها ، وفى حديث عند ابى داود « كان صلى الله عليه وسلم ينتظر حتي تزول الشمس وتهب رياح النصر » (قام فيهم )وحتي لبيان غاية الانتظار أى ما زال منتظرا إلى ميل الشمس وقام جواب اذا والظرف حال من الضمير فى قام أى قام فيهم منبها لهم علي ما فيه صلاحهم ( فقال يأ يها الناس لا تمنوا لقاء العدو) زاد فى رواية « فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم » وحكمة النهى كما قاله ابن بطال أن المرء لا يعلم ما آل امره وهو نظير سؤال العافية من الفتن وقال الصديق « لان أعافى فأشكر احب إلى من أن أبتلى فأصبر » وقيل إنما نهى عنه لما فيه من صورة الاعجاب والاتكال على القوة والوثوق بها وقلة الاهتمام بأمر العدو وكل ذلك مباين للاحتياط والاخذ بالحزم زاد المصنف : وهو نوع بغى وقد وعد الله من بغى عليه بالنصر. وقيل إن ذلك للخوف من ادالة العدو علي المسلمين وظفره بهم وقد جاء فى هذا الحديث «فانهم ينصرون كما تنصرون» وفى هذا المحل بسط تام فى شرح الاذكار فراجعه( واسألوا الله العافية )قل المصنف كثرت الاحاديث فى الامر بسؤال العافية وهى من الالفاظ المتناولة لدفع جميع الآفات فى البدن فى

فاذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم مُنْزل الكتاب ،

---

الظاهر والباطن في الدين والدنيا والآخرة ( فاذا لقيتموهم ) أي العدو ( فاصبروا ) علي قتالهم ولا تجبنوا عن حربهم فانه تعالى مع الصابرين بالمعونة وقد وعد جنده بالظفر فقال « وإن جندنا لهم الغالبون » ففيه الحث علي الصبر وهو من أهم المطلوب في الجهاد ( واعلموا أن الجنة تحت ظلال ) بكسر الظاء المعجمة جمع ظل ( السيوف ) أي حاصلة بها قال التوربشتي معناه ثواب الله والسبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيف ومشي المجاهد في سبيل الله ، فاحضروا بصدق نية واثبتوا . وقال القرطبي هذا من الكلام النفيس البديع الذي جمع ضروب البلاغة من جزالة اللفظ وعذوبته وحسن إستعارته ، وشمول المعاني الكثيرة مع الالفاظ المقبولة الوجيزة بحيث تعجز الفصحاء اللسن البلغاء عن ايراد مثله وان يأتوا بنظيره وشكله . فانه استفيد منه مع وجازته الحض على الجهاد والاخبار بالثواب عليه والحض على مقاربة العدو واستعمال السيوف والاعتماد عليها ، واجتماع المقاتلين حين الزحف بعضهم ببعض حتي تكون سيوفهم بعضها يقع علي العدو ويرتفع عليهم حتى كأن السيوف أظلت الضاربين بها ويعني ان الضارب بالسيف في سبيل الله يدخل الجنة بذلك وهذا كما قال في الحديث الآخر « الجنة تحت اقدام الامهات » ويعني أن من بر أمه وقام بحقها دخل الجنة ( ثم قال ) داعيا بالنصر وقدم الثناء عليه تعليما للادب فيه ، وهو ان يقدم الداعي أمام دعائه ذكر بعض اسمائه تعالى وأوصافه مما يناسب حاجته ومطلوبه : لانه ( صلى الله عليه وسلم ) مطلوبه هنا النصرة وهي من آثار القدرة ، والمذكور يناسبها أيّ مناسبة ( اللهم ) يا ( منزل الكتاب ) أل فيه للجنس والكتب المنزلة الى الدنيا بتخفيف الزاي ويجوز تشديدها مائة واربعة : ستون صحف شيث ، وثلاثون صحف

ومجرىَ السحاب ، وهازم الاحزابِ . اهزمهْم ، وانصرنا عليهم»

---

ابراهيم ، وعشر صحف موسى قبل التوراة ، والتوراة ، والانجيل ، والزبور ، والفرقان . ويجوز أن تكون أل للعهد ، والمراد به القرآن، وفي ذكره إيماء الى وعده بنحو قوله « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون» ولذا جاء عنه « لا إله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده» (ومجرى السحاب) باثبات واو العطف ووقع فى بعض نسخ الحصن حذفها والذى فى الصحيح إثباتها ( وهازم الاحزاب ) الطوائف من الكفار الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحده حزب بالكسر ، وكانت وقعة الاحزاب فى السنة الخامسة من الهجرة ، وقيل فى الرابعة منها ، وإنما خصت بالذكر لان هزمهم فيها مع كثرة عددهم وعددهم إنما كان بمحض القدرة الالهية لادخل فيه لمباشرة الاسباب ، بخلاف باقى الحروب فانه كان عقب مقاتلتهم، بل واعجب من ذلك أن هزمهم كان بما يستراح به الشيء عادة وهى ريح الصبا التي تستريح بها النفوس ويرتاح بها المأنوس فكان ذلك لهم دافعا ، ولكيدهم مانعا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا (اهزمهم) أى القوم المحاربين حينئذ أى اغلبهم ( وانصرنا عليهم ) أى عجل به وإلا فرسل الله هم المنصورون وجند الله هم الغالبون وخص الدعاء عليهم بما ذكر دون الاهلاك لان فيه سلامة نفوسهم وقد يكون فيها رجا لاسلامهم بخلاف الاهلاك. وفى الحديث استعمال السجع فى الدعاء ، قال المصنف وغيره والسجع المذموم فى الدعاء هو المتكلف لانه يذهب الخشوع والخضوع والاخلاص ويلهي عن الضراعة والافتقار وفراغ القلب أما ما حصل بلا كلفة ولا إعمال فكر لكمال فصاحة الداعى ونحو ذلك أو لكونه محفوظا فلا بأس به بل هو حسن اه . وفى الحديث الدعاء حال الشدائد والخروج من الحول والقوة وذلك من أعظم الاسباب لبلوغ المآرب ونيل المطالب

متفق عليه وبالله التوفيق

وفى الحديث « لاحول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم» والله اعلم .وفى فعله صلى الله عليه وسلم جمع بين الحقيقة والشريعة فالشريعة أخذه العدة من السلاح وغيره والخروج للقتال وتحريض الصحابة على ذلك والحقيقة هي دعاؤه صلى الله عليه وسلم وإظهاره للافتقار وتعلقه بربه وكذا كان عليه الصلاة والسلام يفعل فى جميع أموره يبالغ فى امتثال الحكمة ثم بعد ذلك يرجع الى الحقيقة فيتعلق بالله تعالى ويرد الامر اليه ( متفق عليه ) ورواه احمد وابو داود وقال العارف بالله ابن ابي جمرة : قيل فى الحديث دليل للصوفية فى المجاهدة التي يأخذون بها لانفسهم فى كل ممكن يمكنهم بالمال وبالايدي وبالالسنة لانه اذا فعل ذلك فى الجهاد الاصغر فكيف به فى الجهاد الاكبر وكيفيته فى الجهاد الاكبر ألا يتصرف فى شيء من ذلك الا باتباع أمر الله تعالى واجتناب نهيه ، وفيه أيضا دليل لهم فى كونهم يطلبون العافية لانفسهم ولا يعرضون بأنفسهم الى المجاهدة (١) التى لاقدرة لهم عليها إلا أن يضطروا إلى ذلك فيفعلونه للاضطرار لانه صلى الله عليه وسلم نهى عن تمنى لقاء العدو فى الجهاد الاصغر ،وأمر بطلب العافية ، فكيف به فى الجهاد الاكبر .فعلى هذا فشأن المرء أن يطلب العافية فى كل الاشياء ولا يعرض نفسه لشيء وهو لا يقدر عليه اللهم إلا إن أتاه امر وفاجأه فوظيفته إذ ذاك الصبر والتثبت والادب فيما أقيم فيه اھ.

---

(١) أى مجاهدة النفس .ع

( باب الصدق )

قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »
وقال تعالى

---

# ( باب في الصدق )

قال العلامة ابن أبي شريف فى حواشى شرح العقائد : الصدق استعمله الصوفية بمعني استواء السر والعلانية، والظاهر والباطن، بألا تكذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله ، وجعلوا الاخلاص لازما أعم ، فقالوا كل صادق مخلص ، وليس كل مخلص صادقا اه . وفى شرح رسالة القشيرى للشيخ زكريا : سئل الجنيد أهما واحد أم بينهما فرق، فقال بينهما فرق الصدق أصل والاخلاص فرع ، والصدق أصل كل شيء والاخلاص لايكون الا بعد الدخول فى الاعمال، والاعمال لاتكون مقبولة إلا بهما اه .

( قال الله عز ) أى غاب علي مراده ( وجل ) عما لايليق بشأنه ويجوز فيهما من الحالية والاستئناف ماسبق فى جملة تعالى ، (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله) بترك معاصيه ( وكونوا مع الصادقين ) فى الايمان والعهود بأن تلزموا الصدق ، وقال بعضهم مع الصادقين المقيمين على منهاج الحق ، وقال بعضهم مع من ترتضى حاله سرا وإعلانا ظاهرا وباطنا ، وقال بعضهم « كونوا مع الصادقين » أى الذين لم يخالفوا الميثاق الاول فانهم أصدق كلمة ، قال أبو سليمان الصحبة على الصدق والوفاء تنفى كل علة من المصطحبين اذا قاما وثبتا على منهاج الصدق: لان الله تعالى يقول اتقوا الله و كونوا مع الصادقين

( وقال تعالى ) فى تعدد محاسن الاوصاف التي قيل بانها التى ابتلى بها ابراهيم

« والصادقين والصادقات » وقال تعالى « فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم »

وأما الاحاديث :— فالاول ، عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « انّ الصدق يَهدى الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتي يكتب عند الله صديقا . وانّ الكذب يَهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدى الى النار ، وان الرجل ليكذب

---

صلى الله عليه وسلم ( والصادقين ) فى الايمان ( والصادقات ) فيه وقيل فى القول والعمل .

(وقال تعالى فلو صدقوا الله ) فى الايمان والطاعة ( لكان ) الصدق ( خيرا لهم

وأما الاحاديث ) النبوية ( ف)الحديث ( الاول عن ) عبد الله ( بن مسعود) ابن غافل الهذلى (رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ) حال كونه قد(قال إن الصدق ) أى تحريه فى الاقوال ( يهدي ) بفتح أوله أى يرشد ويوصل ( الى البر ) أى العمل الصالح الخالص من كل مذموم والبر اسم جامع للخير كله، وقيل البر الجنة ، ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة كذا قال المصنف ، وفيه أن تفسير البر هنا بالجنة يأباه قوله ( وان البر يهدى الى الجنة ) فالتفسير الاول هنا متعين ( وإن الرجل ) أل فيه للجنس وذكره لانه الاشرف وإلا فذلك جار فى المرأة أيضا ( ليصدق ) أي يلازمه ويتحراه وفى رواية فى الصحيح « ليتحرى الصدق » ( حتى يكتب عند الله صديقا ) من أبنية المبالغة . وهو من يتكرر منه الصدق حتى يصير سجية له وخلقا ( وان الكذب يهدي ) يوصل ( إلى الفجور ) الاعمال السيئة ( وإن الفجور يهدى ) يوصل ( إلى النار ) لان المعاصى يقود بعضها الى بعض ، وهى سبب الورود إلى النار ( وإن الرجل ليكذب ) وفى رواية في

حتي يكتب عند الله كذابا» متفق عليه

الثانى عن ابى محمد الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما

---

الصحيح « ليتحرى الكذب » (حتي يكتب عند الله كذابا ) أى يحكم له بتحقق مبالغة الكذب منه وأنها الصفة المميزة له مبالغة فى كذبه فهو ضد الصديق .قال المصنف ومعنى يكتب هنا يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم أو بصفة الكاذبين وعقابهم ، والمراد إظهار ذلك للمخلوقين : إما بان يكتبه فى ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين فى الملأ الاعلى ، واما بأن يلقى ذلك فى قلوب الناس وألسنتهم كما يوضع له القبول أو البغضاء ، وإلا فقدر الله سبحانه وتعالى وكتابه السابق قد سبق بكل ذلك اه . قال القرطبي : حق على كل من فهم عن الله أن يلازم الصدق فى الاقوال ، والاخلاص فى الاعمال ، والصفاء فى الاحوال ، فمن كان كذلك لحق بالابرار ، ووصل الى رضا الغفار، وقد ارشد تعالى إلى ذلك كله بقوله عند ذكر أحوال الثلاثة التائبين « ياايها الذى آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » والقول فى الكذب المحذر عنه على الضد من ذلك اه . ( متفق عليه ) ورواه بنحوه من حديث ابن مسعود أحمد والبخارى فى الادب والترمذى وفى أوله عندهم « عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وإياكم والكذب » الحديث

( الثانى عن أبى محمد الحسن )كناه وسماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهما ) أمه فاطمة الزهراء رضى الله عنها . قال أبو أحمد العسكرى : سماه النبي صلى الله عليه وسلم الحسن وكناه أبا محمد . قال ولم

قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبُك ، الى مالا يريبك فانّ الصدق طُمأنينة والكذبَ ريبة »

---

يكن هذا الاسم يعرف فى الجاهلية ، ثم روى عن ابن الاعرابى عن المفضل قال : إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبي صلى الله عليه وسلم ابنيه، قال قلت فالذى باليمن ، قال ذاك حسن بأسكان السين وحسين بفتح الحاء وكسر السين ولد منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة على الاصح ، ومات مسموما من زوجته بارشاء يزيد بن معاوية لها على ذلك على ما قيل سنة أربع أو خمس أو تسع وار بعين أو خمسين أو احدي وخمسين أو ثمان وخمسين ،ودفن بالبقيع وصلى عليه سعيد بن العاص وقبره مشهور فيه ، ويكفيك فى فضله الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب فرقي اليه الحسن فأمسكه صلى الله عليه وسلم والتفت الى الناس ثم قال « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » فكان كذلك ، فانه لما استخلف بعد موت أبيه وخرج لقتال معاوية وعرف أنه لايخلص الامر لاحد حتى يقتل جمع كثير من الجانبين، امتثل إشارة جده صلى الله عليه وسلم ، ورغب عن الخلافة ونزل عنها لمعاوية وسلمها له طوعا وزهدا وحقنا لدماء المسلمين واموالهم على شروط وفى له معاوية بمعظمها ومناقبه كثيرة وفضائله جمة شهيرة وهو من الحكماء الكرماء الاسخياء. روى له عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر حديثا وروى له أصحاب السنن الاربعة ( قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : دع ) أمر ندب لان توقي الشبهات مندوب على الاصح ( مايريبك إلى مالا يريبك فأن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة) وعند ابن حبان « فان الخير طمأنينة وإن الشر ريبة » وهو كالتمهيد لما قبله ، والتقدير

رواه الترمذى وقال حديث صحيح ، قوله « يريبك » هو بفتح الياء وضمها

---

إذا وجدت نفسك ترتاب فى الشيء فاتركه : فأن نفس المؤمن جبلت على انها تطمئن الى الصدق وتنفر من الكذب وإن لم تعلم أن الذى اطمأنت اليه كذلك فى نفس الامر ، واذا جبلت على ذلك فعليك ان تأخذ برغبتها ورهبتها اذا جربت منها الاصابة كما هو شأن كثير من النفوس الصافية لان الله اطلعهم على حقائق الوجود وهم فى اما كنهم بالقاء ما يحب وقال بعضهم لما علم الله ان قلب المؤمن الكامل ذي النفس الزكية المطهرة من رديء أخلاقها يميل ويطمئن الى كل كمال ومنه كون القول أو الفعل صدقا أو حقا ، وينفر من كون احدهما كذبا أو باطلا، جعل ميله وطمأنينته علامة واضحة على الحل ، وانزعاجه ونفرته علامة على الحرام وأمر فى الاول بمباشرة الفعل وفى الثانى بالاعراض عنه ما أمكن اه . ( رواه الترمذى ) ورواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم (وقال) الترمذى ( حديث حسن صحيح ) ولا يضر توقف احمد فى أبى الجوز رواية عن الحسن فقد وثقه النسائى وابن حبان ، وبه يندفع قول بعضهم إنه مجهول لا يعرف ، وقد أخرجه احمد أيضا عن انس والطبرانى عن ابن عمر مرفوعا ، وبه يرد قول الدار قطنى : انما يروى هذا من قول ابن عمر وروى عن الامام مالك من قوله وروى باسناد ضعيف عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل «دع ما يريبك الى مالا يريبك» فقال : وكيف لى بالعلم بذلك . قال « اذا أردت أمرا فضع يدك على صدرك فان القلب يضطرب للحرام ويسكن للحلال، وان المسلم الورع يدع الصغيرة مخافة الكبيرة» زاد الطبرانى قيل له : فمن الورع ؟ قال « الذى يقف عند الشبهة » (قوله) صلى الله عليه وسلم ( يريبك بفتح الياء ) التحتية (وضمها) والفتح أفصح واشهر من راب

ومعناه اترك ما تشك فى حله ، واعدل الى ما لا تشك فيه

الثالث عن ابى سُفيانَ صخر بن حرب رضى الله عنه فى حديثه الطويل فى قصة

---

وأراب بمعنى شكك ، وقيل راب لما تتيقن فيه الريبة وأراب لما تتوهم منه (ومعناه) أى معنى قوله دع ما يريبك الخ ( اترك ) ندبا ( ما تشك فى حله واعدل الى مالا تشك فيه ) أى فى حله ، قيل وهذا نظير مافى الحديث الآخر « ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » وحاصله التنزه عن الشبه وورود صافى الحلال البين

( الثالث عن ابى سفيان صخر ) بفتح المهملة فسكون المعجمة بعدها راء مهملة ( ابن حرب ) بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى المكى (رضى الله عنه) ولد قبل الفيل بعشر سنين وأسلم ليلة الفتح وكان من المؤلفة ، ثم حسن اسلامه، وشهد حنينا واعطاه صلى الله عليه وسلم من غنائمها مائة بعير واربعين أوقية واعطى لابنيه يزيد ومعاوية ، فقال ابو سفيان « والله انك الكريم فداك ابى وامى والقد حاربتك فنعم المحارب كنت ولقد سالمتك فنعم المسالم أنت فجزاك الله خيرا » ثم شهد الطائف وفقئت عينه يومئذ وفقئت عينه الاخرى يوم اليرموك ، استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على نجران فمات النبى صلى الله عليه وسلم وهو عليها: روى له حديث هرقل بطوله ، أخرج الشيخان الحديث بطوله عنه المذكور بعضه هنا ، فاخرجه البخارى كذلك فى بدء الوحى وفى الجهاد وأخرجه فى الايمان والجهاد ببعضه، وفى التفسير والاستئذان مختصرا ، واخرجه مسلم فى المغازى بتمامه ورواه أبو داود مختصرا وكذا الترمذى وقال حسن صحيح ورواه النسائى بتمامه انتهى ملخصا من الاطراف للمزي . مات بالمدينة سنة احدى أو اثنين وثلاثين وله ثمان وثمانون أو ثلاث وتسعون سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه ( فى حديثه الطويل فى قصة

هِرَقْل « قال هرقل: فماذا يأمركم » يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ابو سفيان « قلت يقول اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق

---

هرقل ) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وهو ملك الروم ولقبه قيصر كما يلقب ملك الفرس بكسرى ، أي فى قصته لما كتب اليه صلى الله عليه وسلم يدعوه للاسلام فارسل الى من بالشام من قريش وكان أقربهم منه صلى الله عليه وسلم اباسفيان، وكان ذلك فى سنة ست من الهجرة ( قال هرقل ) متعرفا أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ( فماذا يأمركم ) يدل على أن الرسول من شأنه أن يأمر قومه والاصل ماذا يأمركم به ( يعني النبي صلى الله عليه وسلم) هذا مدرج لبيان المستفهم عنه ( قال ابو سفيان قلت يقول اعبدوا الله وحده )فيه أن للامر صيغة معروفة لانه أتى بقول اعبدوا الله فى جواب ما يأمركم ، وهو من أحسن الادلة لان أبا سفيان من اهل اللسان وكذا الراوى عنه ابن عباس . بل هو من أفصحهم وقد رواه عنه مقرا له (لا تشركوا به شيئا ) كذا هو فى الرياض بحذف الواو وهي رواية المستملى فيكون تأكيدا لقوله وحده ،وفى رواية لها بأثباتها فيكون كالعطف التفسيرى. قال البرماوى قوله اعبدوا الله الخ هو والجملتان بعده بمعنى ، وقال الشيخ زكريا متلازمات .قالوبالغ أبوسفيان فى ذلك لانه أشد الاشياء عليه والابعاد منها أهم، أو أنه فهم أن هرقل من الذين يقولون من النصارى بالاشراك فاراد تنفيره من دين التوحيد ( واتركوا ما يقول آباؤكم ) أى مقولهم أو ما يقوله آباؤكم وهي كلمة جامعة لترك ما كانوا عليه فى الجاهلية وإنما ذكر الآباء تنبيها على عذرهم فى مخالفتهم له لان الآباء قدوة عند الفريقين أى عبدة الاوثان والنصارى ( ويأمرنا بالصلاة ) أى بأقامتها ( والصدق ) وفى رواية للبخارى « الصدقة » بدل« الصدق » ورجحها السراج البلقيني .قال الحافظ ابن

والعفاف والصلة» متفق عليه

الرابع عن ابى ثابت ، وقيل ابى سعيد ، وقيل ابى الوليد ، سهل بن حنيف ، وهو بدرى رضى الله عنه

---

حجر ويقويها رواية المؤلف يعنى البخارى فى التفسير للزكاة قلت وكذا هو عند مسلم قال واقتران الصلاة بالزكاة معتاد فى الشرع ويرجحها أيضا أنهم كانوا يستقبحون الكذب فذكر مالم يألفوه أولى . قلت وفى الجملة ليس الامر بذلك ممتنعا كما فى أمرهم بوفاء العهد وأداء الامانة وقد كانا من مألوفاتهم ، وقد ثبتا عند المؤلف فى الجهاد من رواية أبي ذر عن شيخيه الكشميهنى والسرخسى قال «بالصلاة والصدق والصدقة» وفى قوله ويأمرنا بعد قوله يقول اعبدوا الله إشارة الى المغايرة بين الامرين فيما يترتب على مخالفتهما إذ مخالف الاول كافر والثاني عاص اه . ( والعفاف ) الكف عن المحارم وخوارم المروءة . قال فى المحكم العفة الكف عما لايحل ولا يجمل ( والصلة ) أى صلة الارحام وكل ما أمر الله أن يوصل وذلك بالبر والاكرام وحسن المراعاة ( متفق عليه )

( الرابع عن أبي ثابت ) بالمثلثة وبعد الالف موحدة فمثناة ( وقيل ) يكنى بـ ( أبى سعيد ) وقيل بأبي سعد ( وقيل ) بـ ( أبى الوليد ) بفتح الواو وكسر اللام وقيل أبي عبد الله ( سهل ) بفتح أوله المهمل وسكون ثانيه ( ابن حنيف ) بضم المهملة وفتح النون فسكون التحتية آخره فاء ( وهو بدرى ) مدنى ( رضى الله عنه ) شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انهزم الناس وكان بايعه فى يومئذ على الموت ، ثم صحب سهل عليا فاستخلفه علي المدينة حين سار الى البصرة وشهد معه صفين ، وولاه بلاد فارس فأخرجه أهلها ، فاستعمل عليهم زياد بن ابيه فصالحوه وأدوا الخراج ، مات سهل

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من سأل الله تعالى الشهاة بصدق بلّغه الله منازلَ الشهداء وان مات على فراشه » رواه مسلم

الخامس عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غزا نبي من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم، فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بُضع امرأة وهو يريدان

---

بالكوفة سنة ثمان وثلاثين وصلى عليه علي وكبر ستا وقال انه بدرى . روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون حديثا اتفق الشيخان منها على أربعة وانفرد مسلم باثنين وخرج له اصحاب السنن الاربع ( قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله تعالى الشهادة ) أى إنالته اياها ( بصدق ) أى حال كونه صادقا فى سؤالها ( بلغه الله ) بنيته الصادقة ( منازل الشهداء ) العليا ( وان مات علي فراشه ) ففى الحديث أن صدق القلب سبب لبلوغ الارب ، وان من نوى شيئا من عمل البر أثيب عليه وان لم يتفق له عمله ، كما تقدم فى حديث « إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر » قال المصنف ففي الحديث استحباب طلب الشهادة واستحباب نية الخير ( رواه مسلم ) قال الحافظ ابن حجر فى أمالى الاذكار وأخرجه أبو عوانة وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وفى الجامع الصغير أخرجه مسلم والاربعة ومثله فى التيسير للديبع فقال أخرجه الخمسة

« الخامس عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ) قال السيوطي فى التوشيح هو يوشع بن نون ( فقال لقومه لا يتبعنى ) فى الخروج للحرب ( رجل ملك بضع امرأة ) بضم الباء وسكون المعجمة يطلق على الفرج والنكاح والجماع ( وهو يريد أن

يَبنِيَ بها ، ولما يبن بها ، ولا احد بنى بيوتا لم يرفع سقوفها ، ولا احد اشترى غنما أو خَلِفات وهو ينتظر أولادها ، فغـزا فدنا من القرية صلاةَ العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس ، إنك مأمورة

---

يبنى بها ولما ) بتشديد الميم (يبن ) أي يدخل (بها) وكان عادة العرب أذا دخل الزوج على المرأة بنى عليها قبة من شعر ونحوه فأطلق البناء وأريد به الدخول من اطلاق اللازم وإرادة الملزوم ( ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ) أى لم يتم عملها (ولا احد اشترى غنما) أى حوامل بدليل ما بعده ( أو خلفات وهو ينتظر ولادها) ويحتمل أن هـذا خاص بالابل وان شراء الغنم عذر فى التخلف لاشتغـال قلب صاحبها بها وان لم تكن حوامل لضعفها وحاجتها الى القائم بأمرها ولا كذلك الابل قال القرطبى نهى النبى قومه عن اتباعه على أحد هذه الاحوال لان أصحابها يكونون متعلقى النفوس بهذه الاسباب فتضعف عزائمهم وتفتر رغباتهم فى الجهاد والشهادة وربما يفرط ذلك التعلق فيفضى الي كراهة الجهاد وأعمال الخـير ، ومقصود هذا النبي صلى الله عليه وسلم تفرغهم من العوائق والاشتغال الى تمنى الشهادة بنية صادقة وعزم حازم ليحصلوا على الحظ الاوفر والاجر الا كبر اه . ( فغزا فدنا من القرية) وقع فى جميع نسخ مسلم « أدنى » رباعيا قال المصنف وهو إما أن يكون تعدية لدنا أى قرب فمعنـاه ادنى جيوشه وجموعه للقرية ، وأما ان يكون أدنى بمعنى حان أو قرب فتحها من قولهم أدنت الناقة اذا حان نتاجها ولم يقولوه فى غير الناقة اه . قال القرطبي والذي يظهر لى أن هذا من باب أنجد وأغار فيكون معنى أدنى دخل فى الموضع الدانى منها اه . ومنه يعلم أن اللفظ المذ كور للبخاري و القرية هى اريحاء ( صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس انك ) وعند مسلم أنت ( مأمورة )

وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتي فتح الله عليه ، فجمع الغنائم فجاءت — يعني النار — لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلولا . فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده ، فقال : فيكم

---

أى مسخرة بأمر الله عز وجل ( وأنا مأمور ) أى مسخر كذلك (١) وكذا جميع الكائنات غير أن أمر الجمادات أمر تسخير وتكوين وأمر العقلاء أمر تكليف ( اللهم احبسها علينا ، فحبست ) معجزة له وقد حبست لنبينا صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسراء وفى حفر الخندق . قال القاضى عياض وقد اختلف هل ردت على ادراجها أو وقفت أو بطئت حركتها وعلى كل فهو من معجزات النبوة ( حتى فتح الله عليه ) البلاد وفى نسخة فتح عليه بالبناء للمفعول ( فجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها ) وعند مسلم « فجمعوا ماغنموا فأقبلت النار لتأكله فلم تطعمه » وهذه كانت عادة الانبياء صلى الله عليهم وسلم فى الغنائم أى يجمعوها فتجيء نار من السماء فتأكلها فيكون ذلك علامة قبولها وعدم الغلول فيها ، فلما جاءت هذه النار فلم تأكلها علم أن فيها غلولا ، قال الكرمانى وعبر بلم تطعمها دون لم تأكلها للمبالغة اذ معناه لم تذق طعمها كما فى قوله تعالى « ومن لم يطعمه » ( فقال ان فيكم غلولا ) بضم أوليه المعجمة فاللام الخيانة فى المغنم ( فليبايعنى من كل قبيلة رجل ) لعسر مبايعة كل واحد واحد لكمال كثرتهم فأنهم كانوا نحو سبعين الفا كما ذكره بعضهم ( فلزقت يد رجل ) منهم ( بيده ) إعلاما بأنه ممن غل قومه فلذا قال ( فقال ان فيكم ) القبيلة

---

١) عبارة الكرمانى ( إنك مأمورة ) بالغروب ( وأنا مأمور ) بالصلاة أو القتال قبل الغروب . ش

الغلول فلتبايعنى قبيلتك فلزقت يد رجلين او ثلاثة بيده فقال : فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس بقرة من الذهب ، فوضعها، فجاءت النار فأكلتها ، فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم لمأ رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا » متفق عليه « الخلفات بفتح الخا المعجمة وكسر اللام جمع خلفة ،

---

التى منها ذلك الرجل ( الغلول فلتبايعنى قبيلتك ) أى كل فرد منهم ( فلزقت يد رجلين أو ثلاثة ) وكان علامة الغلول عندهم التصاق يد الغال ( بيده فقال ) النبى ( فيكم ) أى عندكم ( الغلول فجاء (١) ) أى الغال المذكور ( برأس مثل راس بقرة من الذهب ) بيان لرأس ( فوضعها ) فى جملة الغنيمة ( فجاءت النار ) المؤذن أكلها بالقبول ( فأكلتها فلم تحل الغنائم ) بفتح الفوقية وكسر الحاء المهملة على البناء للمفعول ( لاحد قبلنا ) من سائر الانبياء والامم السابقين ( ثم أحل الله لنا الغنائم ) أى للنبى صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الآخر وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى ولامته ولم تحل لاحد غيرهم أصلا ( رأى ) علم ( ضعفنا ) فى الابدان ( وعجزنا ) عن قوى الاعمال ( فأحلها ) أى الغنائم ( لنا ) أورده الديبع فى التيسير بلفظ ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى عجزنا وضعفنا فأحلها لنا وقال اخرجاه وقوله فأحلها يحتمل أن يكون جواب لما (٢) دخلت فيه الفاء كما أجازه بعض النحاة ويحتمل أن جوابها محذوف لدلالة ما قبلها عليه وما بعد الفاء معطوف ( متفق عليه « الخلفات » بفتح الخا المعجمة وكسر اللام جمع خلفة ) بفتح الخاء وكسر اللام أيضا ويجمع على خلف كذلك بحذف الهاء كما

١ الذى فى صحيح مسلم في نسخة صحيحة « فجاؤا » وبعد ذلك « فوضعوها » . ش

٢ أى التى فى رواية التيسير . ش

وهى الناقة الحامل

السادس عن ابي خالد حكيم بن حزام رضى الله عنه ـ أسلم عام الفتح وأبوه من سادة قريش جاهلية واسلاما

---

فى مختصر القاموس وعلى خلائف كما فى مختصر النهاية (وهى الناقة الحامل) كذا فى النهاية وغيرها ، وقال القرطبي هى الناقة التي دنا ولادها

و(السادس عن ابى خالد حكيم) بفتح المهملة و كسر الكاف (ابن حزام) بكسر المهملة بعدها الزاى ، وهذا الضبط فى كل ماجاء على هذه الصورة من اسماء قريش وما جاء منه فى اسماء الانصار فهو بالمهملتين المفتوحتين ، وابن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى ، القرشى الاسدى ( رضى الله عنه ) ولد فى الكعبة ولم يتفق ذلك لغيره وهو من مسلمة الفتح (١) وكان من أشراف قريش ووجوهها فى الجاهلية والاسلام ، وكان من المؤلفة ، أعطاه صلى الله عليه وسلم يوم حنين مائة بعير ، ثم حسن اسلامه ولم يصنع شيئا من المعروف فى الجاهليه إلا صنع مثله فى الاسلام ، وكانت بيده دار الندوة فباعها من معاوية بمائة الف درهم فقال له ابن الزبير بعت مكرمة قريش فقال حكيم « ذهبت المكارم إلا التقوي » وتصدق بثمنها ، وحج فى الاسلام ومعه مائة بدنة قد جللها بالحبرة أهداها ، ووقف فيها بمائة وصيف بعرفة فى أعناقهم اطواق الفضة منقوش فيها عتقاء الله عن حكيم بن حزام ، واهدى الف شاة وكان جوادا ، كف قبل موته ، وعاش مائة وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام ، ونظر فيه ابن الاثير فى أسد الغابة . وتوفى سنة اربع وخمسين أيام معاوية وقيل سنة ثمان وخمسين . روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

١ أى من الذين أسلموا حين الفتح . ش

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البيّعان بالخِيار مالم يتفرقا فان صَدقا وبيّنا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كتما وكَذبا مُحقَت بركة بيعهما » . متفق عليه

---

اربعون حديثا اخرج منها الشيخان أربعة أحاديث اتفقا عليها وسيأتى ان شاء الله فى باب القناعة والاقتصاد مزيد فى ترجمته (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان ) بتشديد التحتية ( بالخيار ) بكسر الخاء المعجمة اسم من الاختيار والتخيير وهو طلب خير الامرين من الفسخ والاجازة ( مالم يتفرقا ) قال الفضل بن سلمة افترقا بالكلام وتفرقا بالابدان ( فان صدقا ) فيما يخبران به : البائع فى المبيع ، والمشترى فى الثمن ، قدرا وصفة ، وأن اعن انتهت الرغبات فيه الى كذا ، ويخبر بما يترتب عليه تفاوت الرغبات من عيب ونحوه ( وبينا ) البائع ما فى المبيع والمشترى مافى الثمن من غش وشبهة قوية قامت قرائن أحوال أحدهما أنه اذا اطلع على مثلها لايأخذه ( بورك لهما فى بيعهما ) وشرائهما بتسهيل الاسباب المقتضية لزيادة الربح ، من كثرة الراغبين وحسن المعاملين ومنع الخيانة فى المبتاع والحسد والعداوة المقتضية للخسران ( وإن كتما ) مافى السلعة من العيوب ونحوها ( وكذبا ) فيما يمدحانها ( محقت ) ذهبت وتلفت ( بركة بيعهما ) فلم يحصلا منه الا على مجرد التعب ( متفق عليه ) وكذا أخرجه أصحاب السنن الاربع غير ابن ماجه. وفى روايه « فان صدق البيعان وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وان كذبا وكتما فعسى أن يربحا ربحا ما ، ويمحقا بركة بيعهما ، اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للربح (١) » اخرجه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى كذا فى التيسير مع تصرف يسير

---

١) رواية المنذرى فيها الكسب بدل الربح

« فائدة » كما أن التاجر إذا صدق فى سلعته ولم يغش بورك له فى معاملته كذلك العبد إذا صدق فى معاملته مع ربه ولم يغش فى أداء حق عبوديته برياء أو سمعة أو نظر لعمله بورك له فى تلك المعاملة وأعطي أمله « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ولكون صدق المعاملة مبنيا على كمال المراقبة تارة ومحصلا له اخرى كما تقدم « وأن البر يهدى الى الجنة » عقب باب الصدق به فقال:

# (باب المراقبة)

هو أحد مقامى الاحسان المشار اليه فى حديث جبريل الآتى بقوله « فان لم تكن تراه فانه يراك » وفى الحديث عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان » وما أحسن ما قيل :

كان رقيبا منك يرعي خواطرى    وآخر يرعى ناظرى وجنانى

وقال ابن عطاء فى الحكم : الهى عميت عين لاتراك عليها رقيبا

( قال الله تعالى ) مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ( الذى يراك حين تقوم ) الي الصلاة (وتقلبك) فى اركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا (فى الساجدين) أى المصلين . وقال الواسطى فى أصلاب الانبياء والمرسلين . وقيل تقلب سرك فى القربة فان السجود محل القربة والاقتراب . وقيل فى الآية إشارة إلى أن من لزم الاقبال عليه بنحو الصلاة سارعت اليه العناية به ، ومن خصوصياته صلى الله عليه وسلم أنه كان يري من خلفه ، والآية محتملة لافادة هذه الخصوصية

وقال تعالى «وهو معكم اينما كنتم»

وقال تعالى «ان الله لايخفي عليه شيء فى الارض ولافى السماء»

وقال تعالى «ان ربك لبالمرصاد»

وقال تعالى «يعلم خائنةَ الاعين وما تُخفِي الصدور»

والآيات فى الباب كثيرة معلومة

---

( وقال تعالى وهو معكم ) بعلمه ( أينما كنتم ) لا يحجبه مكان ولا يخفى عليه شأن قال تعالى « وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور. ألا يعلم من خلق »

( وقال تعالى : إن الله لايخفى عليه شيء ) كائن ( فى الارض ولافى السماء ) لعلمه بما يقع فى العالم من كلى وجزئى وخصهما بالذكر لان الحس لايتجاوزهما ، وقيل فيه لا يخفى عليه شيء فطالعوا هوممكم أن تكون خالية عن الاهواء والشبه وطالعوا أسراركم لايكون فيها شيء غير الحق والتعلق به فانه لا يخفى عليه شيء وقال جعفر فى قوله تعالى إن الله لايخفي عليه شيء لا يطلعن عليك فيرى فى قلبك سواه فيمقتك

( وقال تعالى إن ربك لبالمرصاد ) يرصد اعمال العباد لا يفوته منها شيء

(وقال تعالى يعلم ) أى الله (خائنة الاعين ) بمسارقتها النظر الى محرم ( وما تخفى الصدور )أى القلوب قيل : فيه اشارة الى التذكير بصغائر الذنوب فكيف بالكبائر ، وأنه تعالى يعلم البواطن اى ومن علم ذلك علم الظواهر بالقياس العادي

( والآيات فى الباب كثيرة معلومة ) كقوله تعالى « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولافى السماء ولااصغر من ذلك ولااكبر الا فى كتاب

وأما الاحاديث : —

فالاولُ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم إذ طلعَ علينا رجل شديدُ بياضِ الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفُه منّا أحد

---

مبين » ( وأما الاحاديث ) جمع أحدوثة بمعنى الحديث ويجوز ان يكون جمع حديث على غير قياس كما تقدم أى الاحاديث النبوية

(فالاول) منها (عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ) بينما كبينا ظرفا زمان فيهما معنى المفاجأة ومعنى الشرط ولذا استدعيا جوابا ، واصلها بين التى هى ظرف بمعني وسط دخلت عليها ما الكافه عن الجر واشبعت أخري فتحة النون فصارت الفا والعامل فيها هنا معنى المفاجأة فى قوله ( اذ طلع علينا رجل ) والمعنى وقت حضورنا فى اشرف مجلس فاجأنا طلوع ذلك الرجل ، وقال ابن جني : عامل بينا محذوف وطلع عامل فى إذ بناء على عدم اضافتها إليه ، وقال الشلوبين : عامل بينما محذوف وإذ بدل منه والجملة فى محل جر بأضافة إذ اليها ، وقيل إذ مبتدأ خبره ذات يوم أى طلوع ذلك الرجل وقع بين تلك الاحوال ، وذات يوم ظرف ويجوز أن يكون « ذات » صلة أى نحن عنده يوما . والاتيان بها للتوكيد ودفع توهم أنه تجوز باليوم عن مطلق الزمان . وقوله إذ طلع هو مستعار من طلعت الشمس لايذكر إلا فيماله شأن كما حققه في الكشاف فى قوله تعالى « أطلع الغيب » ( شديد بياض الثياب . شديد سواد الشعر . لايرى ) بضم التحتية بالبناء للمجهول وبفتح النون للمتكلم ومعه غيره مبنى للفاعل ( عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ) معناه التعجب المتضمن لدعوى كونه ملكا

حتي جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه الي ركبتيه ، ووضع كفيه على فَخِذيه ،

---

إذ لو كان غريبا لكان عليه أثر السفر وشعثه ولو كان مدنيا لعرفوه، واستدل به على ندب حسن الهيئة . قال بعض المحققين طاوعه كذلك يقوى معنى قولهم حسن الادب في الظاهر عنوان حسن الادب فى الباطن ، ولذا استحب التزين في الجمعة والعيد وشديد صفة لرجل ، وأل فى المضاف اليه أغنت عن الضمير العائد منه اليه والأصل شديد بياض ثيابه شديد سواد شعره، واختار قوله « ولا يعرفه منا أحد » على قوله لانعرفه لانه آكد في تنكيره ( حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم ) قيل يتعلق بمحذوف تقديره استأذن وأتي حتي جلس . قال العاقولي فى شرح المصابيح وفيه نظر لان الكلام مستقيم من دون هذا التقدير لان معنى طلع علينا اتانا والاستئذان لا حاجة للملك اليه بل معنى المفاجأة يدل علي عدمه اه . وفيه أن الاستئذان للدنو وقد جاء التصريح به عند النسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر فذكر القصة الى أن قال : السلام عليكم يا محمد . فرد عليه السلام فقال : ادنو يا محمد قال: ادنه . فما زال يقول : أدنو . مرارا ويقول: ادنه . حتى وضع يديه علي ركبتى النبي صلى الله عليه وسلم . واستئذانه ليعمي امره علي القوم ( فأسند ركبتيه ) أي جبريل ( إلى ركبتيه ) أي إلى ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم زيادة فى التقريب الباعث علي التنبيه على أنه إنما جاء لامر كلي ( ووضع كفيه على فخذيه ) أى فخذى نفسه كما هو الادب وهى جلسة المتعلم بين يدى المعلم ، قال العاقولى فلا معنى لقول من قال إنه وضع يديه على فخذى النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان شأن تقريبه يقتضى ذلك وفيه ان ذلك القول جاء التصريح به عند النسائي فله وجه وجيه، ومن ثم قال السيد معين الدين الصفوي إنه اقوى دليلا قال بل هو الوجه لانه حينئذ يكون على نسق

وقال يا محمد أخبرني عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه

---

قوله ركبتيه إلى ركبتيه لان اتكاء الركبة والجلوس إليه ليسا من شأن الادب المطلوب من المتعلم وأشعرت تلك الهيئة بأنها ليست هيئة تلميذ بل هيئة معلم مهتم بشأن التعليم ووضع الكف على الفخذين طريق المتعلمين وبينهما بون ، وإن أمكن ان يقال هذا وجه آخر لتعجب الحاضرين كما فى السؤل والتصديق ، وقال جدى رجوع الضمير فى هذه الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى لتتفق مع رواية النسائى اه . ( وقال يا محمد ) ناداه باسمه مع قوله تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » زيادة فى التعريب عند افتتاح الخطاب بالمسألة ، على أن الملائكة ليسوا داخلين فى مثل ذلك الخطاب ( أخبرنى عن الاسلام ) هو والايمان لاعتبار التلازم بين مفهوميهما شرعا فلا يعتبر فى الخارج إيمان شرعا بلا إسلام ولا عكسه متحدان ما صدقا فى الشرع مختلفان مفهوما ، فكل مؤمن شرعا مسلم كذلك ، وكل مسلم مؤمن ، فما دل عليه حديث جبريل من اختلافهما هو باعتبار المفهوم إذ مفهوم الاسلام الشرعى الانقياد بالافعال الظاهرة الشرعية ، والايمان فى الشرع التصديق بالقواعد الشرعية ، على أنه قد يتوسع الشرع فيهما فيستعمل كل واحد منهما فى مكان الآخر ، كاطلاق الايمان على الاعمال الظاهرة فى حديث « الايمان بضع وسبعون بابا أدناها إماطة الاذى عن الطريق وارفعها قول لا إله الا الله » على أحد الوجوه فى ذلك وسيأتى مافيه فى باب الدلالة على كثرة طرق الخير ، ولطلاق الاسلام على التصديق القلبى فى قوله تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » قال القرطبى : وهذا الاطلاق من باب التجوز والتوسع واذا حقق ذلك زاح كثير من الاشكال الناشىء من هذا الاستعمال ( فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: الاسلامُ أن تشهد أنْ لا إِلهَ الا اللهُ وأنّ محمداً رسول الله. وتقيمَ الصلاة

---

وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله ) خبر لمبتدا محذوف . أى الاسلام أن تشهد ، حذف لقرينة وجوده فى السؤ ل ، والمراد أن يقول ذلك بلسانه المتمكن من النطق فهو معتبر فى الاسلام فمن صدق بمضمونها ولم يأت بها مع عدم مانع من النطق فليس بمسلم ولا مؤمن ، وحكى المصنف الاجماع عليه فى شرح مسلم لكن حكي غيره قولا أنه مؤمن عاص بترك النطق بها ، ولا يعتبر النطق بها بالعربية على الصحيح مع التصديق القلبي بمضمونها ، فقوله تشهد أى تقر وتبين ، وأن مخففة من الثقيلة لتقدم مايدل علي العلم عليها وبدليل عطفها عليها فى (وأن محمدا رسول الله ) ولا ، فى لا اله الا الله هى النافية للجنس نصا ومحلها مع اسمها رفع بالابتداء واسم الله تعالى خبر لها ، وعن الزمخشرى الاسم الكريم مبتدا والنكرة خبر علي القاعدة ثم قدم الخبر ثم ادخل النفى عليه والايجاب علي المبتدا وركب لا مع الخبر . وقد بسطت الكلام على اعراب هذه الكلمة فى باب فضل الذ كر من شرح الاذ كار. وحكم الاسلام فى الظاهر يثبت بالشهادتين . قال ابن الصلاح وانما اضيف اليهما الصلاة ونحوها لكونها أظهر شعائر الاسلام واعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه وانقياده ، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده ، فالمقصود من ذ كر الاركان الخمسة فى الحديث بيان كمال الاسلام وتمامه فلذلك ذ كر هذه الامور مع الشهادتين ، أما أصل الاسلام فالشهادتان كافيتان فيه . ( وتقيم ) بالنصب عطف علي تشهد خلافا لمن زعم رفعه وما بعده استئنافا إيماء الى أن الاسلام يكفى فى حصوله الشهادتان وحدهما ، وتقدم أن المذ كور فى الحديث الاسلام الكامل (الصلاة) أى تعدل اركانها أوتديم اقامتها . والصلاة لغة الدعاء بخير وشرعا اقوال وافعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة غالبا ، وأصلها « فعلة » بفتحات ولامها واو ، واختار

وتؤتيَ الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا.
قال صدقْتَ ، فعجبْنا له يسأله ويصدّقه

بعض المحققين أنها مأخوذة من الصلاء عرق متصل بالظهر يفترق من عند عجب الذنب ويمتد منه عرقان فى كل ورك عرق يقال لهما « الصلوان » فاذا ركع المصلي انحنى صلاه وتحرك ومنه سمى ثانى خيل السباق مصليا لانه يأتي مع صلوى السابق وعلم مما مر أنها بمعنى الدعاء حقيقة لغوية مجاز عرفى علاقته تشبيه الداعى فى تخشعه ورغبته بالمصلى ( وتؤتي الزكاة ) الواجبة من الانواع الواجبة هى فيها المقررة فى كتب الفقه. والزكاة لغة النماء والتطهير وشرعا اسم المخرج من ذلك (وتصوم) من الصوم وهو لغة الامساك وشرعا إمساك مخصوص( رمضان)(١) صريح فى عدم كراهة ذلك مطلقا وهو الاصح وسمى شهر الصوم بذلك لانه يرمض الذنوب اى يحرقها كما جاء ذلك فى خبر مرفوع ( وتحج البيت ) أى تقصده بنسك حج أو عمرة اذ الاصح وجوبها علي انه جاء عند ابن حبان زيادة :وتعتمر وتغتسل من الجنابة وأن تتم الوضوء. وقال وتفرد بهذه الزيادة سليمان التيمي .والحج لغة القصد وشرعا قصد الكعبة للنسك ، والبيت . علم بالغلبة على الكعبة كالنجم للثريا ( ان استطعت اليه سبيلا ) صح عند الحاكم وغيره أنه صلى الله عليه وسلم فسر السبيل فى الآية بالزاد والراحلة لكن ضعفه آخرون . وسبيلا منصوب على التمييز . وإنما قيد الحج بالاستطاعة مع أن ما مر مقيد بها ايضا اتباعا للنظم القرآنى فانه لم يقيد بهذا اللفظ غيره . أو اشارة الى انه فيه من المشاق ما ليس فى غيره .وأيضا فعدم الاستطاعة فى الحج يسقط وجوبه من اصله بخلافه فى نحو الصلاة فانما يسقط وجوب الأداء فقط دون أصل الوجوب ( قال ) جبريل ( صدقت) قال عمر ( فعجبنا له) اى منه أولاجله ( يسأله ويصدقه ) إذ السؤال يدل على عدم علم السائل والتصديق

١) أى أن قولنا رمضان من غير اضافة لفظ شهر غير مكروه . ع

قال : فأخبِرنى عن الايمان .

---

يدل على علمه، وجملة يسأله فى محل الحال « تنبيه » ـ الاسلام له فى الشرع اطلاقان: يطلق على الاعمال الظاهرة كما فى هذا الحديث وعلى الاستسلام و الانقياد، والتلازم بينه وبين الايمان باعتبار الما صدق شرعا إنما هو باعتبار المعنى الثانى، واما باعتبار المعنى الاول فالايمان ينفك عنه إذ قد يوجد التصديق والاستسلام الباطنى بدون الاعمال المشروعة ، أما الاسلام بمعنى الاعمال المشروعة فلا يمكن ان ينفك عنه الايمان لاشتراطه لصحتها وهي لا تشترط لصحته خلافا للمعتزلة (قال) جبريل ( فاخبرنى عن الايمان ) هو لغة مطلق التصديق من آمن بوزن أفعل لا فاعل، وإلا لجاء مصدره فعالا ، وهمزته للتعدية كأن المصدق جعل الغير آمنا من تكذيبه أو للصيرورة كأنه صار ذا أمن من أن يكذبه غيره . ويضمن معنى اعترف وأقر فيعدي بالباء كما فى الحديث . وأذعن فيعدى باللام نحو فآمن له لوط. وشرعا التصديق بالقلب فقط أى قبوله وإذعانه لما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلي الله عليه وسلم، وتعريفه بما ذكر هو قول جمهور الاشاعرة وعليه الماتريدية ، وقيل يشترط أن ينضم لذلك إقرار اللسان وعمل سائر الجوارح فيكفر من أخل بواحدة من هذه الثلاثة وهو مذهب الخوارج فلا صغيرة عندهم . وقيل يعتبر ضمها إليه على وجه التكميل لا الركنية وهو مذهب المحدثين . وقيل تصديق بالجنان وإقرار باللسان واشتهر عن أصحاب أبى حنيفة وبعض محققى الاشاعرة لان التصديق لما اعتبر بكل منهما كان كل منهما جزءاً من مفهوم الايمان ، لكن تصديق القلب ركن لا يحتمل السقوط وتصديق اللسان يسقط بنحو خرس أو إكراه ، واستدل لركنيته عند القدرة بخبر « حتي يقولوا أو يشهدوا ، أن لا إله الا الله » ورد بأنه لا يدل لخصوصية وكنية القول التى النزاع فيها ، بل كما يحتملها يحتمل أنه شرط لاجراء أحكام الاسلام، وما تقدم عن المصنف

قال : أن تؤمن بالله وملائكته

---

من نقله اتفاق اهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين على أن من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلدا فى النار فقد اعترض بأنه لا إجماع على ذلك وبأن لكل من الائمة الاربعة قولا بأنه مؤمن عاص بترك التلفظ، بل الذى عليه جمهور الاشاعرة وبعض محققي الحنفية أن الاقرار باللسان انما هو شرط لاجراء الاحكام الدنيوية فحسب (قال) صلى الله عليه وسلم مفسرا للايمان بذكر متعلقاته ولم يفسر لفظه بل أعاده بقوله ( ان تؤمن ) لانه كان معروفا عندهم أنه لغة مطلق التصديق وشرعا التصديق بالامور المعلومة من الدين بالضرورة ، فمن تلك المتعلقات التي يجب الايمان بها الايمان ( بالله ) أى بأنه تعالى واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له فى الالوهية وهى استحقاق العبادة منفرد بخلق الذوات بصفاتها وأفعالها وبقدم ذاته وصفاته الذاتية(١) وبأن ذاته لها صفات واجبة لها قديمة وهى الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام، وهذه الصفات ليست اعراضا ولا عين ذاته ولا غيرها بناء على أن الغيرين ماينفك أحدهما عن الآخر، والحاصل أنه يجب الايمان بأنه تعالى متصف بكل كمال متنزه عن كل وصف لا كمال فيه واجب الوجود لذاته منفرد باستحقاق العبودية على العالمين ( وملائكته ) جمع ملك نظرا إلى أصله الذى هو ملاك مفعل من الالوكة أى الرسالة والتاء زيدت فيه لتأكيد معنى الجمع أو لتأنيث الجمع وقدم الملائكة على الكتب مراعاة للترتيب الواقع لانه تعالى ارسل الملك بالكتاب الى الرسل ولا حجة فيه لتفضيلهم عليهم وإلا للزم تفضيلهم على الكتب ولا قائل به أى فيجب الايمان بأنهم عباد الله مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون

---

١ فى ابن حجر قال الحنفية: وافعاله ككونه خالقا رازقا فأن هذا الوصف ثابت له فى الازل . والاشعرية يردون ذلك إلى صفة القدرة . ش

كتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمنَ بالقدر خيره وشره

الملائكة باعتبار الاحوال والاعمال أقسام ذكرتهم فى اوائل شرح الاذكار (وكتبه) ى بأنها كلام الله تعالى الازلى القديم القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت ، بأنه تعالي أنزلها على بعض رسله بألفظ حادثة فى الواح او على لسان الملك ، وبأن كل ما تضمنته حق وصدق ، وبأن بعض أحكامها نسخ وبعضها لم ينسخ ، قال لزمخشرى وغيره : وهى مائة كتاب واربعة كتب ، خمسون على شيث . وثلاثون على ادريس وعشرة على آدم . وعشرة على ابراهيم والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وهو مخالف فى التفصيل لما تقدم (١)، وذلك هو الذى ذكره السمرقندى وغيره ( ورسله ) اى بأنه ارسلهم الى الخلق لهدايتهم وتكميل معاشهم ومعادهم وايدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم فبلغوا عنه رسالته وبينوا للمكلفين ما امروا ببيانه وأنه يجب احترام جميعهم ولا يفرق بين أحد منهم فى الايمان به وانه تعالى نزههم عن كل وصمة ونقص فهم معصومون من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها على المختار بل هو الصواب، واخرج الامام أحمد فى مسنده عن ابى ذر قال: قلت يارسول الله كم وفاء عدد الانبياء قال (مائة الف واربعة وعشرون الفا ، أرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا ( واليوم الآخر ) وهو يوم القيامة وصف بذلك لانه لا ليل بعده ، ولانه آخر أيام الدنيا ، وفى رواية والبعث الاخر، ووصفه بالآخر تأكيد كامس الدابر ، أى بوجوده وما اشتمل عليه من الحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك مما نطق به الكتاب والسنة الثابتة ( وتؤمن بالقدر خيره وشره ) أي ان الجميع بتقدير الله ومشيئته، وأعاد العامل ومتعلقه تنبيها على الاهتمام بالتصديق

١ أي في آخر باب الصبر . ش

قال : صدقت قل : فاخبرنى عن الاحسان .

---

به لانه موضع مزلة اقدام الضعفاء الراكنين الى مشاهدة ظواهر أفعال البشر ، وأكده بالابدال منه فقال خيره وشره وفى رواية لمسلم وبالقدر كله لان البدل توضيح مع توكيد لتكرير العامل وحقيقة الايمان بالقدر الاعتراف بان جميع افعال العباد مخلوقة لله تعالى وانها مرادة له وانها مكتسبة للعبد والقضاء عند الاشعرية إرادته الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال ، والقدر ايجاده إياها على قدر مخصوص وتقدير معين فى ذواتها واحوالها أو اقتضاء علمه أولا بالاشياء على ما هى عليه فيما لا يزال ، والقدر إيجاده اياها على ما يطابق العلم ، واعلم ان الايمان بالقدر علي قسمين : احدهما الايمان بأنه تعالى سبق فى علمه ما يفعله العباد من خير وشر وما يجازون به وأنه كتب ذلك عنده وأمضاه (١) وأن أعمال العباد تجرى على ما سبق فى علمه وكتابه ، ثانيهما أنه تعالى خلق أفعال عباده كلها من خير وشر وهذا القسم تنكره القدرية كلهم والاول لا ينكره إلا غلاتهم (قال صدقت قل فاخبرنى عن الاحسان) قال القرطبي : أل فيه للعهد الذهني وهو الذي قال فيه تعالى : هل جزاء الاحسان إلا الاحسان وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ، فلما تكرر الاحسان في القرآن وترتب عليه هذا الثواب العظيم سأل عنه جبريل ليعلمهم بعظيم ثوابه وكمال رفعته اهـ . وهو مصدر أحسنت كذا إذا حسنته وكملته متعديا بالهمزة وبحرف الجر أو أحسن متعديا بحرف الجر فقط كأحسنت اليه اذا فعلت معه ما يحسن فعله والمراد هنا الاول اذ حاصله راجع إلى اتقان العبادة بأدائها على وجهها المأمور به مع رعاية حقوق الله تعالى ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله ابتداء واستمرارا ، وهو على قسمين أحدهما

---

١ وفى نسخة وأحصاه . ع

قال : ان تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فإنه يراك قال:فاخبرني عن الساعة .قال :

---

غالب عليه مشاهدة الحق كما ( قال ) صلى الله عليه وسلم الاحسان (أن تعبد الله) من « عبد » أطاع ، والتعبد التنسك ، والعبودية الخضوع والذل (كأنك تراه )قيل أصله كأنك تراه ويراك ،فحذف الثانى لدلالة الاول عليه،وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لانه جمع فيه مع وجازته بيان مراقبة العبد ربه فى إتمام الخضوع والخشوع وغيرهما فى جميع الاحوال والاخلاص له فى جميع الاعمال والحث عليهما مع بيان سببهما الحامل عليهما، والثانى من لا ينتهى إلى تلك الحالة لكن يغلب عليه أن الحق مطلع عليه ومشاهد له وقد بينه صلى الله عليه وسلم بقوله (فان لم تكن تراه فأنه يراك )وهذا من جوامع الكلم أيضا أى فان لم تكن تراه فلا تغفل فأنه يراك ، وماأحسن ماقيل:

إذا ماخلوت الدهر يوما فلا تقل　　　خلوت ولكن قل على رقيب

وقوله كانك مفعول مطلق أوحال من الفاعل ، ثم هذان الحالان هما ثمرتا معرفة الله تعالى وخشيته ، ومن ثم عبر بهما عن العمل فى خبر « الاحسان ان تخشى الله كانك تراه » فعبر عن المسبب باسم السبب توسعا ( قال صدقت ) وأخر الاحسان عما قبله : لانه غاية كمالهما بل والمقوم لهما : إذ بعدمه يتطرق الى الاسلام بمعنى الاعمال الظاهرة الرياء والشرك ، والى الايمان النفاق ، فيظهره رياء أو خوفا.ومن ثم قال تعالى : بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن : « ثم اتقوا وآمنوا» «ثم اتقوا واحسنوا» فشرطه فيهما(قال فاخبرنى عن الساعة )اى عن زمن وجود يوم القيامة سمى بذلك مع طول زمنه اعتبارا بأوله فانها تقوم بغتة ، أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها ، أو لانها على طولها عند الله كساعة من الساعات عندنا ( قال

ما المسئول عنها بأعلمَ من السائل قال ، فأخبرنى عن أماراتها قال.أن تلد الامةُ ربَّتَها ، وان ترى الحفاةَ العراة

---

(ما المسئول عنها بأعلم من السائل ) بل كلانا سواء فى عدم العلم بالزمن المعين لوجودها وقيل : هذا كان اولا ثم أطلعه الله عليها وأمره بكتمها نقله السيوطى فى انموذج اللبيب عن أهل الحق ،وعبر بما ذكره فى الجواب لتتأكد فائدة التعميم فى استواء كل سائل ومسئول فى عدم العلم بوقت وقوعها المعين ، وفيه أنه ينبغي لمفتي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، قال بعض السلف اذا أخطأ العالم لاأدرى أصيبت مقاتله ،« فائدة » وقع هذا السؤال والجواب بين عيسى بن مريم وجبريل لكن عيسى كان سائلا وجبريل كان مسئولا ، أخرج الحميدى فى أفراده عن الشعبى قال سأل عيسى بن مريم جبريل عن الساعة فانتفض بأجنحته وقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ذكره السيوطي فى التوشيح ( قال فاخبرنى عن أماراتها ) بفتح الهمزة اى أشراطها وعلاماتها الدالة على اقترابها وربما روى أمارتها ( قال أن تلد الأمة ) أى القنة وأل فيها للماهية وكذا ما يأتى بعده دون الاستغراق ؛ لعدم اطراد ذلك فى كل أمة ( ربتها )اى سيدتها وفى رواية « ربها »أى سيدها وفى أخرى « بعلها» بمعنى ربها كناية إما عن كثرة التسرى اللازمة لاستيلائنا على بلاد الكفرة حتي تلد السرية بنتا أو ابنا لسيدها فيكون ولدها سيدها كأبيه فالعلامة استيلاؤنا علي بلادهم وكثرة الفتوح والتسرى ، أو عن كثرة بيع المستولدات لفساد الزمان حتي تشترى المرأة أمها وتسترقها جاهلة أنها أمها فتكون العلامة غلبة الجهل الناشىء عنها بيع أم الولد الممنوع منه ( وأن ترى الحفاة ) جمع حاف بالمهملة وهو من لا نعل برجليه ( العراة ) جمع عار وهو من لا شيء على جسده وفى رواية الحفاة أى الخدمة

العالة رِعاء الشاء يتطاولون فى البنيان.

---

وال هنا وان احتملت الاستغراق الا ان المادة القطعية دالة علي تخصيصه وأن كل واحد منهم لايحصل له ذلك فالاولى كون ال للماهية ( العالة ) بتخفيف اللام جمع عائل وهو الفقير من عال افتقر وأعال كثرت عياله ( رعاء ) بكسر أوله وبالمد جمع راع ، ويجمع أيضا علي رعاة بضم اوله وهاء آخره مع القصر . والرعى الحفظ (الشاء) الغنم واحده شاة بالهاء كشجر وشجرة . وخص مطلق الرعاء لانهم أضعف الناس ورعاء الشاء لانهم أضعف الرعاء ومن ثم قيل رواية رعاء الشاء أنسب بالسياق من رعاء الابل فانهم أصحاب فخر وخيلاء وليسوا عالة ولا فقراء غالبا ويجاب بان فخرهم إنما هو بالنسبة لرعاء الشاء لا لغير الرعاء فالقصد حاصل بذكر مطلق الرعاء ولكنه برعاء الشاء ابلغ ( يتطاولون فى البنيان ) وهو كناية عن اسناد الامر لغير أهله وصيرورة الاسافل من ضعفاء أهل البادية الغالب عليهم الفقر ملوكا أو كالملوك حتى يشرئبون لانقلاب الاحوال واتساع الدنيا عليهم بعد ضيقها ، الى تشييد المبانى ، وهدم أركان الدين بعدم العمل بآى المثانى ، وفى الحديث « من أشراط الساعة أن توضع الاخيار وترفع الاشرار » وفى حديث آخر مرفوعا ، وهما صحيحان : لا تقوم الساعة حتى يكون اسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع ، اى لئيم بن لئيم . وفى حديث آخر « إذا وسد الأمر الى غير اهله فانتظروا الساعة » ولبعضهم :

إذا عز فى الدنيا الاذلا واكتست ∴ اعزتها ذلا وساد مسودها

هناك فلا جادت سماء بصوبها ∴ ولا امرعت ارض ولا اخضر عودها

واقتصر فى الجواب علي امارتين مع شمول السؤال لاكثر ومع ان لها امارات اخر صغارا وعظاما كالدجال والمهدى وعيسى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما الف فى استقصائه كتب مدونة تحذيرا للحاضرين وغيرهم منهما لاقتضاء الحال ذلك ،

ثم انطلق ، فلبثت ملياً ، ثم قال : يا عمرُ أتدرى مَن السائل ، قلت : اللهُ ورسوله اعلم قال : فانه جبريل ،

---

واعل منهم من تعاطى شيئا منهما فزجره عنه وإن قلنا إن جعل الشيء امارة للساعة لا يدل على ذمه لان معناه كما هو ظاهر أنه لا يستلزم ذلك ، وإلا فالغالب أنه ذم (ثم انطلق ) اي جبريل ( فلبثت ) زمانا ( مليا ) بتشديد الياء اي كثيرا من الملوين الليل والنهار . اما المهموز فمن الملاءة أى اليسار . وهو هكذا بتاء المتكلم ، وفى نسخة من مسلم فلبث بحذفها ، يعنى أقام النبى صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه حينا ، وعلى الاول فهو إخبار من عمر عن نفسه وجاء فى رواية أبى داود والترمذى وغيرهما فلبثت ثلاثا وظاهره ، أنه ثلاث ليال ، وفى رواية أبى عوانة « فلبثنا ليالى فلقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث » ولابن حبان « بعد ثالثة » ولابن منده « بعد ثلاثة أيام » وقد ينافيه خبر البخارى « فأدبر الرجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ردوه فأخذوا يردونه فلم يجدوا شيئا فقال هذا جبريل » وأجيب بأنه يحتمل ان عمر لم يحضر قوله هذا بل كان قد قام فأخبر به بعد ثلاث ، ( ثم قال ياعمر أتدرى من السائل ) فيه ندب تنبيه العالم تلامذته والكبير من دونهم على فوائد العلم وغرائب الوقائع ، طلبا لنفعهم وتيقظهم ( قلت الله ورسوله أعلم ) فيه ما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم من حسن الادب معه صلى الله عليه وسلم برد العلم الى الله وإليه ، وأنه ينبغى لمن سئل عما لا يعلم أن يقول ذلك كما تقدمت الاشارة اليه ( قال فأنه جبريل ) اسم أعجمى سريانى فيه لغات عديدة بينتها ونظمتها وأوردتها فى أوائل شرح الاذكار ، قيل معناه عبد الله وقيل عبد الرحمن ، والفاء فى قوله « فانه » جواب شرط مقدر أى أما إنكم حيث لم تسألوا عن الرجل وفوضتم الامر

أتاكم يعلمكم دينكم» رواه مسلم.

---

الى الله ورسوله فأنه جبريل، على تأويل الاخبار أى تفويضكم هو سبب الاخبار لكم بأنه جبريل وقرينة الشرط قوله : الله ورسوله اعلم . وظاهر رواية البخارى أنه لم يعرفه إلا فى آخر الامر ، وورد « ماجاءنى فى صورة لم أعرفه الا فى هـذه المرة » وفى رواية ابن حبان « والذى نفسى بيده ما شبه علي منذ أتانى قبل مرته هـذه وما عرفته حتي ولى » ورواه كذلك ابن خزيمة وأما رواية النسائى «وإنه لجبريل نزل فى صورة دحية الـكلبي » فوهم من الراوى وشذوذ مخالف للمحفوظ فى باقي الروايات فان دحية معروف عندهم وقال عمر « ما يعرفه منا أحد » وفيه دليل علي أن الله مكن الملك أن يتمثل فيما شاء من الصور البشرية وقد كان يتمثل جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية ، ولم يره صلى الله عليه وسلم على صورته الاصلية غير مرتين كما صح الحديث بذلك ( أتاكم يعلمـكم ) بسبب سؤاله، وإسناد التعليم اليه مجاز اذ المعلم بالحقيقة النبى صلى الله عليه وسلم ( دينـكم ) أى قواعده أو كليات دينكم . وفى رواية ابن حبان « يعلمكم أمر دينكم فخذوا عنه » ففيه أن الدين مجموع الاسلام والايمان والاحسان ، ولا ينافيه أن الاسلام وحده يسمى دينا كما فى آية «ان الدين عند الله الاسلام» لانه كما يطلق علي هذا المجموع يطلق على هذا الفرد بالاشتراك أو بالحقيقة والمجاز أو التواطؤ أو غير ذلك، وحكمة مجيء جبريل لتعليمهم أنهم كانوا أكثروا السؤال على النبى صلى الله عليه وسلم فنهاهم كراهية لما قد يقع من سؤال تعنت أو تجهيل ، فألحوا فزجرهم فخافوا وأحجموا واستسلموا امتثالا، فلما صدقوا فى ذلك أرسل لهم من يكفيهم المهمات ، ومن ثم قال لهم صـلى الله عليه وسلم : هذا جبريل أراد ان تعلموا اذ لم تسألوا ( رواه مسلم ) فهو من إفراده عن البخارى

ومعنى « تلد الامة ربتها » أى سيدتها، ومعناه ان تكثر السرارى حتى تلد الامة السرية بنتا لسيدها ، وبنت السيد فى معني السيد ،وقيل غيرذلك

---

فلم يخرج البخارى عن عمر فيه شيئا ورواه الاربعة الا الترمذى وأخرجاه عن ابى هريرة .وهو حديث متفق على عظم موقعه وكثرة أحكامه. قال القاضى عياض وقد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الايمان وأعمال الجوارح واخلاص السرائر والتحفظ من آفات الاعمال حتى ان علوم الشريعة كلها راجعة اليه ومتشعبة منه . قال القرطبي فيصلح هذا الحديث أن يقال فيه إنه أم السنة لما تضمنه من جمل علم السنة كما سميت الفاتحة أم القرآن لما تضمنته من جمل معانى القرآن اه . ومن ثم قيل لو لم يكن فى السنة كلها غير هذا الحديث لكان وافيا بأحكام الشريعة لاشتماله على جملها مطابقة وعلي تفصيلها تضمنا ، فهو جامع لها علما ومعرفة وأدبا ولطفا،ومرجعه من القرآن والسنة كل آية تتضمن ذكر الاسلام أو الايمان أو الاحسان أو الاخلاص أو المراقبة أو نحو ذلك (ومعنى ان تلد الامة ربتها ) بالمثناة الفوقية ( أى سيدتها ومعناه ) أعاده تأكيدا لطول الكلام بين معني الذى هو مبتدأ وخبره أعنى ( أن تكثر السرارى) وذلك ناشىء عن الاستيلاء على بلاد الكفار فيكون الاستيلاء هو العلامة عليها كما تقدم (حتي تلد الامة السرية) فعلية من السر وهو الخفية لخفاء أمرها بالنسبة الى الازواج ( بنتا لسيدها وبنت السيد فى معنى السيد وقيل غيرذلك)من ذلك أنه كناية عن عقوق الاولاد لامهاتهم فيعاملونهم معاملة السيدة لامتها من الاهانة والسب ويستأنس له برواية وان تلد المرأة ،وبحديث لاتقوم الساعة حتي يكون الولد غليظا ،وقيل إنه كناية عن كثرة بيع السراري حتي يتزوج الانسان أمه وهو لا يدري،وهذا بناء على رواية بعلها أى زوجها

« والعالة » الفقراء وقوله « مليا » أى زمانًا طويلا ، وكان ذلك ثلاثا

الثاني عن أبي ذرجندب بن جنادة وابي عبدالرحمن معاذ بن جبل

---

وقيل غير ذلك ( والعالة ) بتخفيف اللام جمع عائل ( الفقراء وقوله مليا ) بتشديد الياء ( أى زمنا طويلا وكان ذلك ) الزمن كما جاء عند ابى داود والترمذى وغيرهما ( ثلاثا ) ظاهره من الليالى ويحتمل أن يكون من الايام وحذفت التاء لحذف المعدود فهو كحديث « وأتبعه ستا من شوال » ويؤيده رواية ابن منده السابقة

( الثانى عن أبى ذر ) بتشديد الراء ( جندب ) بضم الجيم وسكون النون وتثليث الدال المهملة وآخره موحدة ( ابن جنادة ) بكسر الجيم (١) وبالنون واهمال الدال وقيل برير (٢) بن جندب وقيل جندب بن عبد الله وقيل جندب بن السكن وعلى كل فهو غفارى يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم فى كنانة . روى عنه انه قال « أنا رابع الاسلام » ويقال « خامس الاسلام » اسلم بمكة قديما وخبر اسلامه فى صحيح مسلم ثم رجع الى قومه ثم هاجر الى المدينة ، ووصفه صلى الله عليه وسلم فى عدة أحاديث بأنه أصدق الناس لهجة ، وهو أول من حيا النبى صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وقال على فى حقه « وعاء ملىء علما ثم أوكىء عليه فلم يخرج منه شىء حتى قبض » روى له عن النبى صلى الله عليه وسلم مائتا حديث وأحد وثمانون حديثا اتفقا منها على اثنى عشر حديثا وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بسبعة عشر مات بالربذة سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين ( وابى عبد الرحمن معاذ بن جبل ) الانصارى اسلم وعمره ثمان عشرة سنة وشهد العقبة وبدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

١ الذي فى ابن حجر وكتب اللغة أنه بضم الجيم . ع

٢ بضم الباء وراء مكررة . اه . شبراخيتى

رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال «اتق الله حيثما كنتَ

روي له عن رسول الله صلى الله عليه مائة حديث وسبعة وخمسون حديثا اتفقا على حديثين منها وانفرد البخارى بحديثين (١) ومسلم بواحد وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال « اعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل » وأنه قال : يامعاذ إني أحبك . فقال : وأنا أحبك والله يارسول الله . قال «فلا تدع أن تقول فى دبر كل صلاة : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »وانه قال « يأتى معاذ يوم القيامة بين يدى العلماء برتوة» أى رمية بسهم وقيل بحجر وقيل بل وقيل حد (٢) البصر وفضائله كثيرة وقد ذكرت جملة منها فى ترجمته فى شرح الاذكار مات بناحية الاردن فى طاعون عمواس ـ بفتح اوليه قرية بين الرملة والقدس نسب اليها لانه أول ماظهر منها ـ سنة ثمانى عشرة وهو ابن ثلاث وقيل أربع وقيل ثمان وثلاثين سنة ، وقبره بغور بيسان فى شرقيه ( رضى الله ) تعالى (عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ) أى لكل منهما: لابى ذر لما اسلم ولمعاذ لما انطلق الى اليمن وقد جاء التصريح بذلك ( اتق الله ) أمر من التقوى وهى امتثال اوامره تعالى واجتناب نواهيه ، وهذا على حد قوله تعالى « اتقوا الله » أى غضبه ، وهو أعظم ما يتقى لما ينشا عنه من العقاب الدنيوى والاخروى « ويحذركم الله نفسه » ( حيثما كنت ) أى فى اى مكان كنت حيث يراك الناس وحيث لايرونك اكتفاء بنظره تعالى قال تعالى « ان الله كان عليكم رقيبا » ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لابى ذر « أوصيك بتقوى الله فى سرائرك وعلانيتك » وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فان التقوى وان قل لفظها جامعة لحقوقه تعالى اذ هي اجتناب كل

---

١ الذى فى ابن حجر: وانفرد البخارى بثلاثة . ش

٢ الذي فى ابن حجر :وقيل بمد البصر . ش

وأتبِع السيئة الحسنة تمحُها، وخالق الناس بخُلق حسن » رواه الترمذى، وقال حديث حسن

---

منهى عنه وفعل كل مأمور به فمن فعل ذلك فهو من المتقين الذين شرفهم الله تعالى فى كتابه بأنواع من الكمالات يأتى ذكرها اول باب التقوى ان شاء الله تعالى ( واتبع السيئة الحسنة تمحها ) وجه مناسبتها لما قبلها ان العبد مأمور بالتقوى فى كل حال ، ولما كان ربما يفرط إما بترك بعض المأمورات او فعل بعض المنهيات وذلك لا ينافى وصف التقوى كما دل عليه نظم سياق « اعدت للمتقين » الى ان قال فى وصفهم « والذين اذا فعلوا فاحشة. الخ » امره بما يمحو به ما فرط فيه وهذا الحديث على حد « إن الحسنات يذهبن السيئات » وظاهر قوله « تمحها » وقوله تعالى « يذهبن السيئات » أن الحسنة تمحو السيئة من الصحف، وقيل عبر به عن ترك المؤاخذة بها فهي موجودة فيها بلا محو الى يوم القيامة ، وهذا تجوز يحتاج لدليل وإن نقله القرطبى فى تذكرته وقال بعض المفسرين إنه الصحيح عند المحققين. ثم هذا فى الصغائر المتعلقة بحق الله تعالى ، اما الكبائر فلا يكفرها على الصحيح إلا التوبة بشروطها ، وحينئذ يصح ادخالها فى الحديث بان يراد بالسيئة ما يعم الكبيرة ، وبالحسنة ما يشمل التوبة منها ، واما التبعات فلا يكفرها إلا إرضاء اصحابها ( وخالق الناس بخلق حسن ) جماعه ينحصر كما ذكر عن الترمذى وغيره فى طلاقة الوجه لهم وكف الاذى عنهم وبذل المعروف اليهم وقال بعضهم هو أن تفعل معهم ما تحب ان يفعلوه معك فتجتمع القلوب ويتفق السر والعلانية ، وحينئذ يأمن كيد الكائد وذلك جماع الخير وملاك الامر . وقد جاءت أحاديث كثيرة فى مدح الخلق الحسن وسيأتى بعضها ( رواه الترمذى وقال حديث حسن ) زاد المصنف فى الاربعين : وفى بعض النسخ يعني نسخ الجامع حسن صحيح . وأشار بهذا الى اختلاف نسخ الترمذى فى

الثالث عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : كنتُ خلْف النبي صلى الله عليه وسلم

---

التحسين والتصحيح فقد يوجد عقب حديث فى بعضها حسن وفى بعضها صحيح وفى اخرى حسن صحيح وفى اخرى حسن غريب وسبب ذلك اختلاف الرواة عنه والضابطين لكتابه . ثم تحسينه لهذا الحديث مقدم علي ترجيح الدارقطني إرساله للقاعدة المقررة ان المسند لزيادة علمه يقدم على المرسل واما تصحيحه فى تلك النسخة فيوافقه قول الحاكم إنه على شرط الشيخين لكن وهم بأن ميمونا أحد رواته لم يخرج له البخارى شيئا ولم يصح سماعه من احد من الصحابة فلم يوجد فيه شرط البخارى فحكمه بأنه على شرط الشيخين من تساهله المعروف . قال السخاوى ودونه حكم العراقى عليه فى اماليه بالصحة . ويؤيد تحسين الترمذى له انه ورد لهذا الحديث طرق متعددة فرواه احمد والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى وابن عبد البر وغيرهم من طرق يفيد مجموعها الحسن له ففى الجامع الصغير للسيوطى ان الحديث رواه احمد والترمذى والحاكم والبيهقى عن ابى ذر واحمد والترمذى والبيهقى عن معاذ بن جبل وابن عساكر عن انس . وذكر السخاوى فى تخريج احاديث الاربعين ان الاصح كون الحديث من مسند أبى ذر والى ذلك أشار البيهقى ثم بسط فى بيان ذلك

( الثالث عن ) عبد الله ( بن عباس رضى الله عنهما قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم ) أى علي دابته كما جاء فى رواية ، ففيه جواز الارداف على الدابة إن اطاقته . وقد تتبعت الذين اردفهم النبى صلى الله عليه وسلم معه على دابته فبلغت بهم فوق الاربعين وجمعتهم فى جزء سميته تحفة الاشراف بمعرفة الارداف . وقد نظمت اسم جماعة منهم واوردته آخر ذلك الجزء وهاهو :

يوما فقال « يا غلام اني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ،

---

| | |
|---|---|
| لقد اردف المختار طه جماعة | فسن لنا الارداف إن طاق مركب |
| أبو بكر عثمان على أسامة | سهيل سويد جبرئيل المقرب |
| صفية والسبطان ثم ابن جعفر | معاذ وقيس والشريد المهذب |
| وآمنة مع خولة وابن أكوع | وزيد أبوذر سما ذاك جندب |
| معاوية زيد وخوات ثابت | كذاك ابو الدرداء فى العد يكتب |
| وأبناء عباس وإبن أسامة | صدي بن عجلان حذيفة صاحب |
| كذلك جافيهم أبوهر من روى | ألوفا من الاخبار تروى وتكتب |
| وعد من الارداف ياذا أسامة | هو ابن عمير ثم عقبة يحسب |
| واردف غلمانا ثلاثا كذا أبو | إياس وأنثى من غفار تقرب |
| وأردف شخصائم أردف ثانيا | وما سميا فيما روى يامهذب |
| أولئك أقوام بقرب نبيهم | لقد شرفوا طوبى لهم يامقرب |

( يوما ) أى فى ساعة منه كما يدل عليه تنكيره ( فقال ياغلام ) بضم الميم لانه نكرة مقصودة وتقدم انه هو الصبي من حين يفطم الى البلوغ وسنه اذ ذاك كان نحو عشر سنين ( إنى أعلمك كلمات ) ينفعك الله بهن كما فى رواية اخري . وذكره ذلك ليتنبه السامع فيشتد شوقه ويلقى سمعه فيقع فى نفسه فيكمل نفعه . وجاء بها بصيغة القلة ليؤذنه بأنها قليلة اللفظ فيسهل حفظها ، ومنونة إيذانا بعظم خطرها ورفعة محلها . وتأهيله لهذه الوصايا الرفيعة المقدار الجامعة من العلوم والمعارف ما يفوق الحصر دليل على أنه صلى الله عليه وسلم علم ما يؤول إليه أمر ابن عباس من العلم والمعرفة وكمال الاخلاق وحسن الاحوال ( احفظ الله ) بملازمة تقواه ، واجتناب نواهيه ومالا يرضاه ( يحفظك ) بالجزم ، فى نفسك واهلك ودنياك ودينك لا سيما

احفظ الله تجده تُجاهَك ، اذا سألتَ فاسأل الله ، واذا استعنتَ

عند الموت : اذ الجزاء من جنس العمل ومنه « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فقد جمعت سائر احكام الشريعة قليلها وكثيرها ( احفظ الله ) بما ذكر ( تجده تجاهك ) أى تجده معك بالحفظ والاحاطة والتأييد والاعانة حيثما كنت فتأنس به وتغنى به عن خلقه فهو كالتأكيد لما قبله وهو من المجاز البليغ لاستحالة الجهة التي هي مدلول « تجاه » عليه تعالى. وتجاه بضم التاء واصله وجاه بضم الواو وكسرها فابدلت فوقية كما فى ترات ومعناه أمام كما جاء ذلك فى الرواية الآتية اى تجده معك بالحفظ فهو نظير « ان الله مع المتقين » ونحوه: إذ هي معية معنوية لاظرفية وخص الأمام من بين باقى الجهات الست بالذكر اشعاراً بشرف المقصد وبأن الانسان مسافر إلى الآخرة والمسافر إنما يطلب أمامه لاغير ، فكان المعنى تجده حيثما توجهت وتيممت من امر الدنيا والاخرة ( إذا سألت ) اى اردت السؤال ( فاسأل الله ) ان يعطيك مطلوبك قال تعالى « واسئلوا الله من فضله » ولا تسأل غيره فان خزائن الوجود بيده تعالى وأزمتها إليه إذ لا قادر ولا معطى ولا متفضل غيره فهو أحق ان يقصد ويسأل ، ولا فائدة فى سؤال الخلق اذ لا يملكون نفعا ولا ضرا لانفسهم فضلا عن غيرهم ، وما أحسن قول الاستاذ ابى الحسن الشاذلى «أيست من نفع نفسى لنفسى ، فكيف لا أيأس من نفع غيرى لنفسي ، ورجوت الله لغيرى ، فكيف لا ارجوه لنفسى » وإنما يميل القلب الى المخلوق ويركن اليه لضعف يقينه ووقوعه فى الغفلة عن حقائق الاشياء ، وبقدر بعده من مولاه يكون ركونه لمن سواه ، ولما نجا من تلك الهوة وتيقظ من تلك الغفلة أصحاب التوكل واليقين أعرضوا عن السوى ، وأنزلوا جميع حوائجهم بباب كرم وجود المولى : لانه المتكفل لكل متوكل بما يحب ويتمنى قال تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (واذا استعنت) أى طلبت الاعانة

فاستعن بالله ،واعلم ان الامّة لو اجتمعَتْ على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك،وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك .

---

على أمر من أمور الدارين ( فاستعن بالله ) لانه القادر على كل شيء وغيره عاجز عن كل شيء فمن أعانه تعالي فهو المعان ومن خذله فهو المخذول ، ومن ثم كانت « لا حول ولا قوة الا بالله» كنزا من كنوز الجنة لتضمنها براءة النفس من حولها وقوتها إلى حوله وقوته ، و كتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز « لا تستعن بغيره تعالى بكلك الله اليه » ( واعلم أن الامة ) المراد بها هنا سائر المخلوقين كما صرحت به رواية أحمد « فلو أن الخلق جميعا أرادوك الخ » وأما مدلولها وضعا فالجماعة وأتباع الانبياء ، والرجل الجامع للخير المقتدى به ، والدين والملة نحو « انا وجدنا آباءنا على أمة» والزمان نحو « وادكر بعد أمة» والرجل المنفرد بدينه الذي لم يشركه فيه أحد كقوله صلى الله عليه وسلم « يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده» فالامة لفظ مشترك ومن جملة معانيه الام كهذه أمة زيد أي أم زيد ( لو اجتمعت ) لو هنا بمعنى إن إذ المعنى على الاستقبال ونكتة العدول أن اجتماعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف اجتماعهم على الاذى فانه ممكن ( على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ،وان ) عبر بها بدل لو تفننا فى التعبير ( اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ) كما يشهد له قوله تعالى «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو،وإن يردك بخير فلا راد لفضله » والمعنى وحد الله فى لحوق الضر والنفع فهو الضار النافع ليس معه

« رفعت الاقلام وجفّت الصحف » رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح

---

أحد فى ذلك (١) لما تقرر أنه القادر لاسواه فأزمة المخلوقات بيده يتصرف فيها بما يشاء ، فهذا تقرير وتأكيد لما قبله من توحيد الله تعالى فى لحوق النفع والضر على أبلغ برهان وأوضح بيان ، وحث على التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى فى جميع الامور وعلى شهود أنه الفاعل المختار النافع الضار وغيره ليس له من ذلك شىء ، وعلى الاعراض عما سواه . وفى بعض الكتب الالهية «وعزتى وجلالى لأقطعن أمل من يؤمل غيرى ، ولا لبسنه ثوب المذلة عند الناس ، ولاحجبنه عن قربى ولابعدنه عن وصلى ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيرى فى الشدائد والشدائد بيدى وأنا الحى القيوم ، ويطرق بالفكر أبواب غيرى وبيدى مفاتيح الابواب ، وهى مغلقة وبابى مفتوح لمن دعانى » ( رفعت الاقلام ) أي تركت الكتابة بها لفراغ الامر وانبرامه ( وجفت ) بالجيم بالبناء للمفعول (٢) ( الصحف ) التي فيها تقادير الكائنات كاللوح المحفوظ ، أى فرغ من الامر وجفت كتابته فلم يمكن أن يكتب فيها بعد ذلك تبديل أو نسخ لما كتب من ذلك واستقر لانها أمور ثابتة لاتبدل ولا تغير عما هي عليه ، فذلك كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد ، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها ، وقد دل الكتاب والسنة على ذلك ، فمن علم ذلك وشهده بعين بصيرته هان عليه التوكل على خالقه والاعراض عما سواه ( رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ) قال السخاوى فى تخريج

---

١ عبارة ابن حجر : ليس لاحد معه فى ذلك شىء ش ٢ عبارة الشبراخيتى: وجفت بالجيم أى يبست اهـ، وفى المختار وغيره : جف الثوب بفتح الجيم . ع

وفى رواية غير الترمذى « احفظ الله تجدْه امامَك . تعرَّف الى الله فى الرخاء يَعرفْك فى الشدة »

---

احاديث الاربعين ، حديث حسن . وبين ذلك ثم قال : وبالجملة فالحديث ثابت من حديث الليث وغيره ممن قدمناه ، ولذا اورده الضياء فى المختارة من هذا الوجه بل صححه العراقى فى أماليه تبعا للترمذى . وقال ابن منده إسناده مشهور ورواته ثقات اهـ . وقد اورده جماعة من طرق عن ابن عباس وجاء أنه صلى الله عليه وسلم وصاه بذلك ومن على وأبى سعيد رواه العسكرى فى كتاب الامثال وسهل بن سعد رواه ابن مردويه ، وعبد الله بن جعفر رواه ابن عاصم فى السنة . وقد خرج طرقها كلها السخاوى وقد قال ابو جعفر العقيلى : كل أسانيد هذا الحديث لينة وبعضها أصلح من بعض . وليس هذا بجيد فحديث ابن عباس حسن جيد وأصح طرقه رواية حنش كما صرح به ابن منده وغيره وهى التى أخرج الترمذى الحديث من طريقها ( وفى رواية غير الترمذى ) وهو عبد بن حميد فى مسنده لكن باسناد ضعيف وقد رواه أحمد باسنادين منقطعين ولفظه أتم من حديث عبد حميد وقد أوردته فى شرح الاذكار ( احفظ الله تجده أمامك تعرف ) بتشديد الراء أى تحبب ( الى الله فى الرخاء ) بالدأب فى الطاعات والانفاق فى وجوه القرب والمثوبات حتى تكون متصفا عنده بذلك معروفا به ( يعرفك فى الشدة ) بتفريجها عنك وجعله لك من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا بواسطة ما سلف منك من ذلك التصرف ، وقيل إنه على حذف مضاف أى تعرف الى ملائكة الله فى **الرخاء** بالتزام طاعته تعالى والتزام عبوديته يعرفك فى الشدة بواسطة شفاعتهم عنده فى تفريج كربك وغمك ، وتعقب بأنه تكلف فالاول أولى . ومعرفة العبد ربه ضربان : عامة وهى الاقرار بوحدانيته وربوبيته والايمان به وخاصة وهي الانقطاع اليه والانس به والطمأنينة بذكره والحياء

واعلم أنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك . وما أصابك لم يكن ليُخطئك،

منه وشهوده فى كل حال ، ومعرفة الله تعالى كذلك عامة وهى علمه بعباده واطلاعه على أعمالهم ، وخاصة وهي محبته لعبده وتقريبه اليه، واجابة دعائه وانجاؤه من الشدائد فلا يظفر بهذه الخاصة إلا من تحلى بتلك الخاصة (واعلم أن ما أخطأك) من المقادير فلم يصل اليك (لم يكن) مقدرا عليك (ليصيبك) أى محال أن يصيبك لانه بان بأنه اخطأك أنه مقدر على غيرك ، وفيه مبالغة من وجوه من حيث دخول اللام المؤكدة للنفي على الخبر وتسليط النفي على الكينونة وسرايته فى الخبر (وما أصابك) منها (لم يكن) مقدار على غيرك (ليخطئك) وانما هو مقدر عليك اذ لا يصيب الانسان الا ما قدر عليه . ومعنى ذلك أنه فرغ مما أصابك واخطأك من خير أو شر فما إصابته لك محتومة لا يمكن ان يخطئك وما اخطأك فسلامتك منه محتومة فلا يمكن أن يصيبك لانها سهام صائبة وجهت من الازل فلا بد أن تقع مواقعها وما أحسن ما قيل

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون

فلم يبق سوى التوكل على الله سبحانه والسكون تحت جرى المقادير وما حسن ما قيل :

ولما رأيت القضا جاريا بلا شك فيه ولا مرية

توكلت حقا على خالقى وأسلمت نفسى مع الجرية

أففى الحديث تقرير وحض على تفويض الامور كلها الى الله تبارك وتعالى مع شهود أنه الفاعل لما يشاء وأن ما قضاه وأبرمه لا يمكن أن يتعدى حده المقدر له وهذا راجع الى قوله تعالى « ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها » ثم مدار هذه الوصية على هذا الاصل إذ ماقبله وما

واعلم ان النصرَ مع الصبر، وان الفرج مع الكرْب، وان مع العسر يسراً

بعده مفرع عليه وراجع اليه : فان من علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب له وان اجتهاد الخلق كلهم بخلاف المقدور لا يفيد شيئا البتة علم أن الله وحده هو الضار النافع فأفرده بالطاعة وحفظ حدوده وخافه ورجاه وأحبه وأفرده بالاستعانة والسؤال له والتضرع اليه والرضا بقضائه فى حالة الشدة والرخاء ( واعلم ) تنبيه على ان شأن هذه الدار لا سيما مع الصالحين الاخيار كثرة الاعراض والانصاب، فينبغي الصبر للظفر بجزيل الثواب والرضا بالقضاء والقدر ( أن النصر ) من الله للعبد على جميع اعداء دينه ودنياه كائن (مع الصبر) على طاعة الله وعن معصيته ، وقيل الصبر على نكايتهم وعدم الانتصار منهم لنفسه (وأن الفرج) وهو كما فى الصحاح الخروج من الغم اه . حاصل سريعا (مع الكرب) هو الغم الذى يأخذ بالنفس فلا دوام للكرب وحينئذ فينبغى لمن نزل به ذلك أن يكون صابرا محتسبا راجيا سرعة الفرج مما نزل به حسن الظن بمولاه فى جميع أموره ، فانه ارحم به من كل راحم إذ هو ارحم الراحمين ( وأن مع العسر يسرا ) كما نطق به قوله تعالى « فان مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا » ومن ثم ورد عنه صلى الله عليه وسلم « لن يغلب عسر يسرين » أى لان النكرة اذا كررت كانت الثانية غير الاولى ، والمعرفة اذا أعيدت كانت الثانية عين الاولى غالبا فيهما ، وليست الاية من غير الغالب خلافا لمن فهم ذلك فقال وفى الآية عسران ايضا عسر الدنيا ومعه يسر وعسر الاخرة ومعه يسر ، ولا ينافى وقوع العسر لنا ـ كما صرحت به هذه الاية ، عدم وجود وقوعه كما صرح به قوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » لاختلاف المراد بالعسرين لان المثبت هو العسر فى العوارض الدنيوية التي تطرق العبد بما لا يلائم نفسه كضيق الارزاق ونحوها ، والمنفى هو العسر بالتكليف بالاحكام الشاقة كما قال تعالى « وما

الرابع ، عن انس رضى الله عنه قال «انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم مِن الشعَر كنّا نعُدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات »

---

جعل عليكم في الدين من حرج » ثم اليسر السهولة ، ومنه اليسار لانه تسهل به الامور ، والعسر نقيضه ، وفى الصحاح كل ثلاثى اوله مضموم ووسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه . وما تقرر فى «مع» فى محالها الثلاث من انها على بابها هو الظاهر اذ أواخر أوقات الصبر والكرب والعسر هي أول أوقات النصر والفرج واليسر ، فقد تحققت المفارنة بينهما ، ومن لطائف اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر أن الكرب اذا اشتد وتناهى ايس العبد من جميع المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده وهذا هو حقيقة التوكل ، وقد قال تعالى «ومن يتوكل على الله فهو حسبه » والحديث بطريقيه أصل عظيم فى مراقبة الله ومراعاة حقوقه والتفويض لامره والتوكل عليه وشهود توحيده وتفرده وعجز الخلائق كلهم وافتقارهم اليه

( الرابع . عن انس رضى الله عنه قال ) مخاطبا للمتساهلين فى الاعمال (انكم لتعملون اعمالا ) تستهونونها لعدم نظركم الى عظم المعصى بها (هى) لذلك ( ادق فى اعينكم من الشعر ) استخفافا بها ( كنا نعدها ) لكمال الخشية الناشئة عن كمال المعرفة بالله الحاصلة بحلول نظر النبى صلى الله عليه وسلم ( على عهد ) زمن (رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات) وهذا كما جاء فى الخبر الاخر « لا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى عظم من عصيت » وفى الخبر الآخر « المؤمن يرى ذنبه كانه صخرة يخاف ان تقع عليه والكافر يرى ذنبه كانه ذباب يمر على انفه» وفى الحديث

رواه البخارى ، وقال « الموبقات » المهلكات

الخامس عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « ان الله تعالى يَغار ، وغَيْرةُ الله تعالي ان يأتيَ المرء ما حَرَّم الله عليه » متفق عليه « والغيرة » بفتح الغين واصلها الانفة

السادس عن ابي هريرة رضى الله عنه ، انه سمع النبيصلى الله

---

كمال مراقبة القوم لله تعالى وكمال استحيائهم منه حتى انهم يرون تلك الامور التى استهون غيرهم الوقوع فيها مهلكات لهم لعظم شهودهم جلال الله تعالى وعظمته . أحيا الله قلوبنا من موت الغفلة بمنته (رواه البخاري، وقال) أي البخارى (الموبقات) بضم الميم ( المهلكات ) وفيه أن الانسان ينبغي له ان يحذر من صغار الذنوب فلعلها تكون المهلكة له فى دينه كما يحترز من يسير السموم خشية ان يكون فيها حتفه

( الخامس . عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى يغار ، وغيرة الله ان يأتى المرء ماحرم الله عليه ) اى منعه ان يأتى ذلك ( متفق عليه ) ورواه احمد والترمذى كلهم بزيادة « والمؤمن يغار » ورواه بأسقاطها البخارى ( والغيرة بفتح الغين ) المعجمة وسكون التحتية بعدها راء مهملة ( وأصلها ) فى وضع اللغة ( الانفة ) بفتح اوليه اى الامتناع من الضيم ونحوه ، وفى شرح مسلم « اصلها المنع » والرجل غيور علي اهله يمنعهم من التعلق بأجنبى بنظر او غيره ، ومعنى غيرة الله تعالى منعه الناس من الفواحش اى وسائر المحرمات كما فى حديث الباب لكن الغيرة فى حق الناس يقارنها تغير حال الانسان وانزعاجه وهذا مستحيل فى حق الله تعالى اه .

( السادس . عن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع ) كلام ( النبي صلى الله

عليه وسلم يقول «ان ثلاثةً من بنى اسرائيل . ابرصَ واقرَعَ ، واعمى اراد الله ان يبتليهم ، فبعث اليهم ملكا ، فاتي الابرصَ ، فقال : اىّ شىء احبُّ اليك ، قال : لونٌ حسَن ، وجلد حسن

عليه وسلم يقول ) تقدم أن جملة يقول بدل اشتمال من مفعول سمع أو جملة حالية من المفعول المحذوف الذى قدرته ، وأتي به مضارعا بعد سمع الماضى إما حكاية لحال وقت السماع أو لاحضار ذلك فى ذهن السامع (إن ثلاثة من بنى اسرائيل) أى أولاد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم ( ابرص ) أى به وضح وهو بالنصب بدل من ثلاثة وخبر إن محذوف ، أي أقص عليكم شأنهم ، ولو روى بالرفع لكان على القطع ، والفاء فى فأراد الله لتعقيب المفسر للمجمل ، ويصح عند من جوز دخول الفاء فى خبر إن أن يكون الخبر الجملة بعدها وكذا علي حذفها كما فى نسخة ( وأقرع ) أي من ذهب شعر راسه من آفة (وأعمى) العمي عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا ( فأراد الله أن يبتليهم ) (١) أى يعاملهم معاملة المبتلى المختبر والا فعلمه أزلى شامل للموجود وللمعدوم قبل وجوده ( فبعث ) أرسل ( اليهم ملكا) بفتح اللام فى صورة انسان (فأتي) الملك (الابرص) بدأ به ثم بالاقرع اهتماما بالتسجيل عليهما وتعجيلا للانتقام منهما ، وقدم الابرص لان داء أقبح وأشنع ولونه أعظم ( فقال ) له ( أى شىء أحب اليك قال لون حسن ) بالتنوين علي الوصف (و) كذا ( جلد حسن ) لم يقتصر علي طلب اللون الحسن لان جلد البرص يحصل له من التقلص والتشنج والخشونة مايزيد به قبح

١) فى بعض نسخ مسلم (يبليهم) باسقاط المثناة فوق ومعناهما الاختبار اهـ. شرح مسلم

ويذهبَ عنى الذى قدقَذِرني الناس ،فمسحه فذهب عنه قذره، واعطى لونًا حسنًا وجلداً حسناً . قال فأى المال احب اليك؟ قال الابلُ ، اوقال البقر — شك الراوى — فأعطى ناقةً عُشَراء

---

صاحبه وعاره ، فلم يكف طلب حسن اللون عن طلب حسن الجلد ( ويذهب ) عطف علي ما قبله بتقدير أن ( عنى ) الداء ( الذى قد قذرني ) بكسر الذال أى تباعد عنى وكرهني ( الناس ) أى بسببه ، والعائد محذوف أى به ، قال الكرمانى وفى نسخة « قذروني » علي لغة أكلوني البراغيث (قال) صلى الله عليه وسلم (فمسحه) الملك ، أى أمر يده عليه ( فذهب عنه قذره ) أى سبب قذره وهو البرص الذي كان به ( وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا ، قال ) الملك له ( فاى المال ) معروف وتصغيره مويل والعامة تقول مويل بتشديد الياء كذا فى الصحاح ( أحب اليك . قال الابل ) بكسرتين وتسكن الموحدة تخفيفا أى الجمال ، اسم يقع علي الواحد والجمع وليس بجمع ولا اسم جمع كذا قال ابن سيدة ، وقال الجوهرى ليس لها واحد من لفظها وهى مؤنثة لان اسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم ، واذا صغرتها أدخلتها التاء فقلت أبيلة وغنيمة ونحو ذلك ( أو قال البقر . شك الراوى ) اسمه إسحاق بن عبد الله، أى شك هل سمع الابل أو البقر ، والمرجح الابل لكونه اقتصر عليها فى قوله « فاعطى ناقة عشراء » ويؤيده الاقتصار فى الاقرع علي البقر لاغير فتعين الابل للابرص . كذا قيل ، لكن فى رواية للبخارى فى أبواب بنى اسراءيل هو شك فى ذلك أن الابرص والاقرع قال أحدها الابل وقال الآخر البقر اه. وبها يعلم أن الاقتصار فى الاقرع على البقر من الراوى وإلا فالشك فيه كما قبله ، ويؤيد أنها الابل أيضا سؤال الملك له بعيرا وهذا كله بعد الشك ( قال فأعطي ) بالبناء للمفعول ( ناقة عشراء

فقـال : بارَكَ اللهُ لك فيها . فأتى الاقرع فقال : أى شئ أحب اليك؟قال شعرٌ حسن ، ويذهبَ عنى هذا الذى قدقذرني الناس،فمسحه فذهب عنه وأعطى شعراً حسناً .قال: فأى المال أحب اليك ؟قال البقر فأعطِيَ بقرة حاملا ، وقال: بارك الله لك فيها. فأتى الاعمى فقال: أى شئ أحب اليك قال : أن يرد الله الىّ بصرى فأبصِرَ الناس،فمسحه

---

فقال بارك الله ) أي أوقع (لك) البركة وهو يحتمل أن يكون دعاء منه له بذلك ، وأن يكون إخبارا به (فيها)أى فى هذه الناقة (قال فأتى الاقرع ) أى عقب تمام ما يتعلق بالابرص كما تشعر به الفاء ( فقال أى شيء أحب اليك فقال شعر حسن) بالتنوين علي الوصف ( ويذهب عنى هذا ) الداء أى القرع ( الذى قد قذر نى الناس ) أي بسببه ( قال فمسحه ) الملك ، يحتمل أن يكون مسح محل الداء فقط وهو الاقرب ، وان يكون مسح جميع بدنه لتعمه بركته ( فـذهب عنه ) القرع ( واعطي شعرا حسنا قال )الملك له( فأى المال أحب اليك)أى من جميع الاموال ، أى أيها تحب أن يكون لك منها (قال البقر) اسم جنس يقال علي الذكر والانثي وانما دخلته الهاء للفرق بين الوحدة والجمع ، والباقر جماعة البقر مع رعاتها ،واهل اليمن يسمون البقرة باقورا ( فأعطي بقرة حاملا ) لم يقل حاملة لاختصاص هـذا الوصف بالمؤنث كحائض وطالق ،وانما يحتاج اليها للفرق فى نحو قائم وقائمة(وقال بارك الله لك فيها ) أى فى هـذه البقرة ( قال فأتى الاعمى فقال أى شيء أحب اليـك قال أن يرد الله الى بصري ) أي القوة المودعة فى العينين التي بها تدرك المبصرات ( فأبصر ) بضم الهمزة (به الناس ) أى أراهم ببصري أى بعيني رأسي ( قال فمسحه ) أي امر يده علي عينيه ، ويحتمل علي جميع بدنه ،والاول أقرب.

فرد الله اليه بصره. قال فأى المال أحب اليك؟ قال الغنم فأعطى شاة والداً
فأنتج هذان وولّد هذا. فكان لهذا وادٍ من الابل، ولهذا وادٍ من البقر،
ولهذا وادٍ من الغنم (ثم انه أتى الابرص فى صورته

كما تقدم فى نظيره (فرد الله اليه بصره) أى القوة المدركة المذكورة (قال فأى المال
أحب اليك قال الغنم) أى احبه الى، فهو مبتدأ محذوف الخبر أو الاحب الى الغنم
فيكون خبر مبتدا محذوف. وفى الصحاح الغنم اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على
الذكور والاناث واذا صغرتها الحقتها التاء فقلت غنيمة لان اسماء الجموع الى آخر ما
تقدم(١) يقال خمس من الغنم ذكور فيؤنث العدد وإن عنيت الكباش لان العدد يجرى
فى تذكيره وتأنيثه على اللفظ لا على المعنى والابل كالغنم فى جميع ما ذكرناه كذا
نقله عنه الدميرى فى حياة الحيوان (فاعطى) بالبناء للمجهول (شاة) المفعول الثانى
لاعطى ومفعوله الاول نائب الفعل المضمر فى الفاعل (والداً) أى ذات ولد وقيل
حاملا، وفى جامع الاصول هى التي قد عرف منها كثرة الولد والنتاج (فأنتج هذان)
سيأتي انه بالبناء للفاعل لكن فى الصحاح: للعرب احرف لا يتكلمون بها الا على
سبيل المفعول وإن كان بمعنى الفاعل مثل قولهم زهى الرجل وعنى بالامر ونتجت
الناقة والشاة وأشباهها اه. والمشار اليهما صاحبا الابل والبقر (وولد) بتشديد اللام
(هذا) أي صاحب الغنم (فكان لهذا واد) اى ملؤه (من الابل ولهذا وادمن
البقر) من عطف معمولين على معمولى عامل واحد وهو جائز اتفاقا، وقوله من
الابل فى محل الصفة لواد ويجوز أن يكون حالا لتخصيصه بتقدم الخبر (ولهذا واد
من الغنم. قال ثم انه) اى الملك (أتى الابرص) متصورا (فى صورته) اى التى

١) أى عقب قول المصنف (قال الابل) . ع

وَهيئته ) فقال ، رجلٌ مسكينٌ قد انقطعَتْ بي الحبالُ في سفري ، فلا بلاغَ لي اليومَ إلا بالله ثم بك . اسألك بالذي اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن

---

كان عليها ( وهيئته ) من رذالة الملبس وقيل الضمير في صورته وهيئته يرجعان للملك اى جاءه بعد أن صار معافى غنيا فى الصورة التى قد جاءه فيها وهو بضد ذلك فدعا له فذهب عنه ( فقال رجل مسكين ) بكسر الميم من المسكنة الحاجة . خبر مبتدا محذوف اى انا رجل محتاج ( قد انقطعت بى ) الباء للتعدية ( الحبال ) الرواية المشهورة بالمهملة والموحدة كما سيأتى فى الاصل واحده حبل وهو المستطيل من الرمل وقيل الاسباب فى طلب الرزق ، قال القرطبى وهذا اوقع التفسيرين وفى رواية لمسلم « الحيال » بالتحتية من الحيلة ومن رواه بالجيم والموحدة كبعض رواة البخارى ففيه بعد بل قال بعضهم إنه قد صحف ( فى سفرى ) ظرف لغو متعلق بانقطعت او ظرف مستقر حال من الضمير المجرور ( فلا بلاغ لى ) البلاغ ما يتبلغ ويتوصل به الى الشىء المطلوب ، اي لا وصول لى لما اريده ( اليوم الا بالله ) اى ايجاده وتيسيره ( ثم بك ) لكونك مظهرا للخير يجرى على يديك ، وثم هى هنا للترتيب فى التنزل ولم يقل وبك دفعا لايهام التشريك ولذا كان الاتيان بثم هو الادب المتأكد كما يأتى ، وهذا (١) من الملك من المعاريض التى يقصد بها التوصل الى إفهام المقصود من غير ان يراد حقيقتها كما فى قول ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم : هذا ربى ، وهذه اختى ، ( اسألك ) اي اقسم عليك مستعطفا ( با لله الذى اعطاك اللون (٢) الحسن والجلد الحسن ) بفتح المهملتين أى بعد الابتلاء

---

١) أى قوله : رجل مسكين ، الخ
٢) فى نسخة من عليك باللون الخ

والمال ، بعيراً أتبلّغُ به فى سفرى ؛ فقال الحقوقُ كثيره . فقال . كأنى اعرفك الم تكن ابرص يَقْذَرُكَ الناسُ

---

فى اللون والجلد ( والمال ) أى بعد الابتلاء بالفقر ( بعيرا ) هو اسم يقع على الذكر والانثى ، وهو من الابل بمنزلة الانسان من الناس ، والجمل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة والقعود بمنزلة الفتى ، والقلوص بمنزلة الجارية ، وإنما يقال له بعير اذا أجذع والجمع أبعرة وأباعر وبعران ( أتبلغ ) بتشديد اللام أى من البلغة وهى الكفاية ( به ) كذا رواية الكشميهنى فى البخارى وعند غيره فيه « عليه » أى بعيرا أكتفى به أو حال كونى عليه ( فى سفرى فقال ) الابرص ( الحقوق كثيرة ) أى على فلا فاضل عن الحاجة لاعطيك اياه فانظر غيرى (فقال) الملك (إنه) أى الشأن ( كأنى ) بتشديد النون ( أعرفك ) الظاهر أن كأن فيه للتحقيق وهو معنى أثبته الكوفيون وذكره ابن هشام فى المغنى ، قال العلوى وهو التحقيق وانشدوا عليه :

وأصبح بطن مكة مقشعرا كان الارض ليس ليس بها هشام

أى لان الارض ، وقال ابن السيد فى شرح شواهد الجمل : جرت عادة النحويين ان يجعلوا كأن للتشبيه حيث وقعت وليس ذلك بصحيح إنما تكون تشبيها محضا إذا وقع فى الخبر اسم ممثل به اسمها ويكون الخبر أرفع من الاسم أو أحط منه نحو كان زيدا ملك أو كأن عمرا حمار ، أما إذا كان خبرها فعلا اوظرفا اومجرورا أو صفة من صفات اسمها فانها يدخلها حينئذ معنى الظن والحسبان نحو كان زيدا قائم أوفى الدار ، فلست تشبه زيدا بشىء هاهنا وإنما تظن أنه قائم أوفى الدار انتهى بلفظه ، لكن الذى صححه ابن مالك وابو حيان والرضى وغيرهما ما ذهب اليه الجمهور من أن التشبيه لايفارقها وأن ما أوهم خلافه مؤول (ألم) استفهام تقريري ( تكن ابرص تقذرك ) بفتح الذال المعجمة أى تكرهك ( الناس ) أى فما فاك الله

فقيراً فأعطاك الله؟ فقال إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر . فقال

---

( فقيرا ) أى محتاجا (فاعطاك الله فقال انما ورثت ) بتشديد الراء مبنى للمفعول وبتخفيفهامبنى للفاعل ( هذا المال كابرا عن كابر ) أى كبيرا عن كبير فى العز والشرف أى ورثته عن ابي وجدى ، وحاصله إنكار تلك الحال ودعوي أنه نشأفى تلك الاحوال فهى غير متجددة عليه وهذامن انكارالنعم وكفر المنعم حمله عليه البخل وحق العبد ألا يزال لنعم مولاه شاكرا ولاحواله التى كان عليها وآل اليها ذاكرا ، وفى الحوض المورود للشيخ عبد الوهاب الشعراني : أخذ علينا العهود اذا حصل لنا ضخامة وقيام ناموس بين الناس ألا ننسى صفتنا التي كنا عليها قبل من الثياب الخلقة وخدمة الناس وضيق المعيشة ونحو ذلك ، وذلك لنعرف الله بالنعم فان من نسى حاله ايام صغره قل شكره ، وربما قال : نحن بحمد الله نشأنا فى الضخامة أبا عن جد ايوهم من لم يعرفه أن حاله لم يزل كذلك ؛ وقد دخل شخص على معن بن زائدة فقال له :

اتذكر إذ قميصك جلد شاة    وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال معن: أذكر والحمد لله رب العالمين . فقال :

فقد جل الذي أعطاك ملكا    وعلمك الجلوس على السرير

فقال : جل ربى وعز . فقال:

فجدلى يابن ناقصة بمال    فانى قد عزمت على المسير

فأمر له بمال جزيل وشكر له تذكيره الحالة التى لعله نسيها اهـ . وقال القرطبي حمل هذا القائل بخله علي نسيان منة الله تعالى وجحد نعمه و علي الكذب ثم أورثه ذلك سخطه الدائم وذلك بشؤم البخل ، واعتبر بحال الاعمى لما اعترف بشكر النعم وسخت نفسه بما ثبتها الله عليه وشكر فعله رضى عنه كما يأتي ( فقال )

ن كنتَ كاذبا فصيّرك الله إلى ما كنتَ (واتي الاقرع فى صورته وهيئته) فقال له مثلَ ماقال لهذا ورد عليه مثل مارد هذا. فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت (واتى الاعمى فى صورته وهيئته) فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك، أسألك بالذى رد عليك

---

الملك (ان كنت كاذبا فى دعواك) وأتى بان الموضوعة للشك فى الشرط مع أنه جازم به مماشاة ومساجلة أوأن إن فيه بمعنى إذ (فصيرك الله) بتشديد الياء التحتية (الى ما كنت قال واتى الاقرع فى صورته) التي يقذرها الناس (وهيئته) التى يحقرونها لرثاثتها وسقطت هذه المعطوفة عند صاحب المشكاة فى روايته المعزوة للصحيحين، قال شارحها ابن حجر: لم يقل هنا وهيئته اختصارا اوإشارة الى شدة لؤم الابرص وغباوته فانه مع كونه أتى له فى صورته وهيئته التى أتاه عليها اولا وحصل له منه ما حصل من الشفاء والغنى انكر معرفته وتجاهل به وتفاخر عليه بأنه إنما جاءه المال من أبيه فضم إلى كذبه قبائح تنبيء عن أنه انتهي فى اللؤم والحمق الى غاية لم يصلها غيره (فقال له) الملك (مثل ما قال لهذا) الابرص (ورد) الاقرع (عليه مثل مارد هذا) الابرص (فقال) الملك (ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ماكنت) عليه من القرع والفقر (قال وأتى الاعمى) متشكلا (فى صورته) أى فى صورة آدمي اعمى (وهيئته فقال) الملك (رجل) أى صورة إذ الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا انوثة (مسكين وابن سبيل) أي مسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق، ويحتمل انه اراد أنه ضيف وسمي به لان السبيل تظهر به (انقطعت بى الحبال فى سفرى، فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذى رد عليك

بصرك شاةً اتبلَّغُ بهافى سفرى فقال . قد كنتُ اعمى فرد الله إلىَّ بصرى،فخذماشئتَ ودع ماشئت، فوالله لااجهَدُك اليوم بشئ، اخذته لله عز وجل فقال امسك مالك فانما ابتُليتم فقد رضى الله عنك وسخِط على صاحبيك » متفق عليه . و ( الناقة العشراء)بضم العين وفتح الشين وبالمدهى الحـامل .

---

بصرك ) أى القوة الباصرة المدرك بها المبصرات( شاة أتبلغ بها فى سفري فقال ) ذلك الرجل متذكرا نعم الله تعالى عليه وحسن حاله بعد بؤسه ( قد كنت اعمى فرد الله الى ) بتشديد الياء وفى نسخة على( بصري فخذماشئت) أى من المال(ودع ما شئت ) منه ( فوالله لا اجهدك )بفتح الهاء وهذه رواية مسلم ( اليوم بشيء )أى فى رد شيء ( اخذته لله ) علة لعدم الاجهاد اى لا اشق عليك لله اوللاخذ وشتان ما بين هذا وقول ذينك « الحقوق ـ اى الموانع من الاعطاء ـ كثيرة فلا يمكن أن اعطيك شيئا وإن قل » (فقال) الملك ( امسك مالك فانما ابتليتم ) اى امتحنتم أى عاملكم الله العالم بجميع الامور معاملة المبتلى المختبر ليرتب على عملكم أثره :اذ الجزاء انما جعله الله مرتبا على مايبدو فى عالم الشهادة لاعلى ماسبق فى علمه ( فقد رضى عنك وسخط ) بالبنا للمجهول ( علي صاحبيك )والرضاوالسخط المراد بهما فى حقه تعالى لازمهما مجازا مرسلا إما عن ارادة الاثابة والتعذيب فيكونان صفتي ذات ، أو التعذيب والاثابة نفسهما فيكونان صفتي فعل ( متفق عليه ) وانفرد به الشيخان عن باقي أصحاب الكتب الستة ( والناقة العشراء بضم العين ) المهملة ( وفتح الشين ) المعجمة ( وبالمدهى الحامل ) كذا أطلقه وهو قول ، وقيل الحامل التي اتى عليها من حملها عشرة اشهر من يوم طرقها الفحل وهى من انفس الابل ،

قوله (أنتج وفى رواية.فنتج )معناه تولى نتاجها و (الناتج )للناقة كالقابلة للمرأة وقوله ( ولد هذا ) هو بتشديد اللام أى تولى ولادتها وهو بمعني أنتج فى الناقة . فالمولد والناتج والقابلة بمعني،لـكن هذا للحيوان وذاك لغيره:قوله(انقطعت بي الحبال هو بالحاء المهملة والباء الموحدة أى الاسباب وقوله ( لاأجهدك ) معناه لا أشق عليك فى رد شيء تأخذه او تطلبه من مالى . وفى

---

وفى مختصر القاموس العشراء من النوق التي مضى لحملها عشرة اشهر أو ثمانية وهي كالنفساء من النساء جمعه عشراوات وعشار ا ه . ( قوله انتج بالبناء للفاعل)هو شاذ قليل لانه لم يسمع من هذه المادة الا نتج مبنى للمفعول،والنتاج الاولاد والنتج والانتاج تولى الولادة(وفى رواية فنتج) بالبناء للفاعل كذلك ( ومعناه تولى نتاجها ) الاقرب أن معناه ولد الابل والبقر ومعنى ولد الغنم أى صيرها والدة أى منسوبة للولادة نحو فسقت الرجل نسبته للفسق ( والناتج للناقة كالقابلة للمرأة . قوله : ولد هذا هو بتشديد اللام أى تولى ولادتها وهو بمعنى نتج فى الناقة فالمولد والناتج والقابلة بمعنى ) وهي المتولية للولادة ( لـكن ) فى عرف الاستعمال (خص هذا) أى الناتج ( الحيوان) هو الابل والبقر ( وذاك ) اى المولد (لغيره ) أى الغنم والقابلة لبنى آدم ( قوله : انقطعت بى الحبال . هو بالحاء المهملة والباء الموحدة اي الاسباب ،قوله: لا أجهدك بالجيم والهاء ) وهى رواية مسلم ( معناه لااشق عليك فى رد شيء ) فهو علي حذف مضاف ( تأخذه)بأن أنزعه منك ( اوتطلبه من مالى) بان امنعه قال القرطبي قال صاحب الافعال جهدته واجهدته . بالغت فى مشقته.وقيل معنى أجهدك لااقال لك فيما تأخذه . والجهد ما يعيش به المقل ومنه «والذين لايجدون الا جهدهم»(وفى

رواية البخاري ( لا احمدك ) بالحاء المهملة والميم ومعناه لا احمدك بترك شيء تحتاج اليه ، كما قالوا « ليس على طول الحياة ندم » اى على فوات طولها

السابع عن ابي يعلى شداد بن اوس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

رواية البخاري ) وهى عند ابن ماهان كما قال القرطبي ( لا احمدك بالحاء ) المهملة ( والميم ) وبلا النافية ( ومعناه لا احمدك بترك شيء تحتاج اليه ) فهو على تقدير المضاف وذلك لطيب نفسى بما تأخذه ( كما قال ) أى الشاعر ( ليس على طول الحياة ندم اى على فوات طولها ) وقال الشاعر

اتوب اليك يا مولاى مما    على به تواترت الذنوب
وأماعن هوى ليلى وتركى    زيارتها فانى لا اتوب

أي وعدم تركى زيارتها . قال الكرماني فى شرح البخارى : او انه من قولهم فلان يتحمد اى يمتن . يقال من انفق ماله على نفسه فلا يتحمد به على الناس ، قال وروى «لأحمدك» باللام فقط قبل المضارع من الحمد

( السابع عن ابى يعلى ) بفتح التحتية وسكون المهملة ( شداد بن اوس ) بفتح الشين المعجمة وتشديد الدال الأولى ( رضى الله عنه ) وأوس بفتح الهمزة وسكون الواو آخره سين مهملة ابن ثابت ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد ابن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الانصارى وهو ابن اخى حسان ابن ثابت الجامع بين العلم والعمل والحلم مات بفلسطين سنة ثمان وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة وقال المصنف فى التهذيب مات ببيت المقدس وقبره بظاهر باب الرحمة باق الى الآن اه. روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسون حديثا أخرجا له حديثين انفرد بأحدهما البخارى وبالآخر مسلم (عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال « الكَيِّس من دان نفسَه وعمِل لما بعدَ الموت ، والعاجز من أتْبع نفسه هواها وتمنى على الله » رواه الترمذي ، وقال حديث حسن قال ، الترمذي وغيره من العلماء معني ( دان نفسه ) حاسبها

---

قال الكيس ) العاقل ( من دان نفسه ) اى حاسبها ومنعها مستلذاتها وشهواتها التى فيها هلاك دينها ( وعمل لما بعد الموت ) من القبر وما بعده صالح العمل المؤنس له فى الوحدة والوحشة ، وما أحسن ما قيل :

بالله يانفس اسمعي واعقلى      مقالة قد قالها ناصح

لا ينفع الانسان فى قبره      الا التقي والعمل الصالح

( والعاجز ) التارك لما يجب فعله بالتسويف ( من أتبع ) باسكان الفوقية ( نفسه هواها ) اى جعلها تابعة لما تهواه مؤثرة لشهواتها معرضة عن صالح الاعمال لكونه على خلاف ما تدعو اليه النفس ( وتمنى على الله ) الفوز فى الآخرة ، فالحاصل ان الحزم الاتيان بواجب العبودية من اداء الخدمة ، ومحاسبة النفس حذر مجاوزة الحدود وعدم الالتفات إلى ذلك بالقلب والركون اليه بل يكون اعتماده مع ذلك على فضل مولاه سبحانه وأما ترك أداء مقام العبودية فذلك من رعونات النفس الخفية لاسيما إن أوقعها فى ميدان شهواتها الذى فيه هلكها ومحقها ( رواه الترمذى ) وكذا رواه احمد وابن ماجه والحاكم ( وقال ) الترمذى ( حديث حسن ) ورواه البيهقى من حديث أنس ذكره فى الجامع الصغير ( قال الترمذي وغيره ) من العلماء ( معنى دان نفسه حاسبها ) حكاه فى النهاية بقيل وفسره هو بقوله أى أذلها واستعبدها والحساب من جملة معانى الدين ذكره فى القاموس . وفى الكشاف فى قوله تعالى إنا لمدينون أو معناه (١)

---

١) قوله ( أو معناه الخ ) عطف على كلام سابق فى الكشاف .

الثامن عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مِنْ حُسن إسلام المرء تركه مالا يَعنيه »

---

لمسوسون أى مربوبون من الدين بمعنى السياسة ومنه حديث الكيس من دان نفسه اه.

(الثامن عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حسن اسلام المرء) من فيه تبعيضية او ابتدائية وتقديم الخبر لكون التركيب من قبيل على التمرة مثلها زبدآ، وحسن الاسلام عبارة عن كماله وهو أن تستقيم نفسه فى الاذعان لامر الله تعالى والاستسلام لاحكامه وهو علامة شرح الصدر بنور الرب (تركه مالا يعنيه) أى مالا يريده ولا يحتاج اليه ولا ضرورة اليه فيه ولا ينفعه بكون عيشه بدونه ممكنا وذلك يشمل الافعال الزائدة والاقوال الفاضلة (١) فينبغي ألا يشتغل إلا بما فيه صلاحه معاشا ومعادا بتحصيل مالا بد منه فى قوام البدن وبقاء النوع الانسانى ثم بالسعى فى الكمالات العلميه والفضائل العليه ، التى هى وسيلة لنيل السعادة الابديه ، والفوز بالنعم السرمديه وان يعرض عما عدا ذلك ، وذلك إنما يكون بالمراقبة ومعرفة أنه فيما يأتيه بمرأى ومسمع من الله سبحانه وتعالى وأنه لا يخفى عليه شيء من شأنه قال معروف : علامة مقت الله للعبد أن تراه مشتغلا بمالا يعنيه فان من اشتغل بمالا يعنيه فاته مايعنيه ، وقال الغزالى : حد مالا يعنيك فى الكلام أن تتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر حالا ولا مالا قال : فان شغلت بمالا يعنيك فانك مضيع زمانك ومحاسب علي عمل لسانك ، إذ تستبدل الذى هو أدنى بالذي هو خير ، ولو صرفته فى الذكر والدعاء ربما انفتح لك من نفحات الله ما يعظم جدواه ومن قدر علي أن يأخذ كنزا من كنوز الجنة وأخذ بدله بدرة كان خاسرا وما احسن ما قيل

---

١) أي الصادرة فضولا ـ ش

حديث حسن رواه الترمذى وغيره

التاسع عن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يُسأل الرجل فيم ضرب امرأته » رواه ابو داود وغيره .

---

اغتنم ركعتين فى ظلمة الليـ ـل اذا كنت فارغا مستريحا

واذا ماهممت بالخوض فى البا طل فاجعل مكانه تسبيحا

وقول الحافظ ابى اسماعيل البخارى كما عزاه اليه الحاكم فى تاريخه

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع فعسى ان يكون موتك بغته

كم صحيح تراه من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلته

وقلت فى المعنى

واغتنم فى الحياة حسب اقتدار طاعة الله كى تفوز بقربه

لا تسوف الى غد كم صحيح مات فى الحال من تقلب قلبه

( حديث حسن رواه الترمذى وغيره ) فرواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والقضاعى فى مسند الشهاب، وعن ابى داود قال : أقمت بطرسوس فاجتهدت فى المسند فاذا هو أربعة آلاف حديث ثم نظرت فاذا مدارها على أربعة وذكر هذا منها اهـ .

( التاسع عن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يسأل ) بالبناء للمجهول ( الرجل فيم ) بحذف الف ما الاستفهامية لجرها بفى أى بأى سبب ( ضرب امرأته ) لاحتمال أن يكون السبب مما يستحيا من ذكره كالامتناع من التمكين بل يترك ذلك اليه وإلى مراقبته لمولاه إلا إن احتاج الامر إلى جريان الاحكام والرفع الى الحكام فتبيين الامور ( رواه ابو داود وغيره ) فرواه الامام أحمد ، والحديث صحيح كما صرح به ابن حجر الهيثمى فى كتابه تنبيه الاخيار

(باب فى التقوى)

ولما كانت نتيجة مراقبة العبد لمولاه فى سائر الاحوال وأنه بمرأى منه لا يخفى عليه شىء من شأنه امتثال الاوامر واجتناب النواهي وذلك هو التقوى، عقبها بها فقال :

# (باب التقوى)

اصلها « وقوى » بكسر أوله وقد يفتح من الوقاية أبدلت تاء كتراث وتخمة وهى ما يستر الراس فهي اتخاذ وقاية تقيك مما تخافه وتحذره ، فتقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين ما يخشاه وقاية تقيه منه ،وهى امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور به وترك كل منهى عنه حسب الطاقة ،فمن فعل ذلك فهو من المتقين الذين شرفهم الله تعالى فى كتابه بالمدح والثناء « وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » وبالحفظ من الاعداء « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » وبالتأييد والنصرة « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » وبالنجاة من الشدائد والرزق من الحلال « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » قال أبو ذر : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال « يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم » وباصلاح العمل وغفران الذنب « اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم » وبكفلين من الرحمة والنور « اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به » وبالقبول « إنما يتقبل الله من المتقين » وبالاكرام والاعزاز عند الله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وبالنجاة من النار « ثم ننجى الذين اتقوا »

وبالخلود فى الجنة « اعدت للمتقين » وبغاية ذلك القصوى وهي محبة الله تعالى وموالاته وانتفاء الخوف والحزن وحصول البشارة فى الدنيا والآخرة والفوز العظيم « ان الله يحب المتقين » « ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » ولو لم يكن فى التقوى سوي هذه الخصلة لكفت ،وفى أوائل تفسير البيضاوى : للتقوى ثلاث مراتب « الاولى » التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى : وألزمهم كلمة التقوى « والثانية » التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتي الصغائر عند قوم،وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع وهو المعني بقوله تعالى : ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا « والثالثة » أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره ،وهو التقي الحقيقي المطلوب بقوله تعالى : اتقوا الله حق تقاته . ثم قال فى قوله تعالى « اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » نبه به على أن التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شيء سوى الله تعالى اه فحمله علي المقام الاكمل من مراتبها .وفى كتاب التقوى لابن أبي الدنيا والحلية وغيرهما انه قيل لابى الدرداء إنه ليس أحد له بيت فى الانصار الا وقد قال شعراً فقال : وانا قد قلت فاسمعوه

يريد المرء ان يعطى مناه ويأبى الله إلا ماأرادا
يقول المرء فائدتى ومالى وتقوى الله أولى ما استفادا

ه. وقلت فى شرف التقوى:

عليك بالتقوى لرب الورى فخير أمر المرء تقواه
واله عن المال ففيه الاذى ولست والرحمن تقواه

قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تُقاته » وقال الله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » وهذه الآية مبينة للمراد من الاولى

---

(قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) سبق الكلام فيها فى باب الصدق — (وقال تعالى اتقوا الله حق تقاته) بأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، خرجه الحاكم مرفوعا، وعن انس : لا يتقى الله العبد حق تقاته حتى يخزن من لسانه

(وقال تعالى : فاتقوا الله ما استطعتم، وهذه الآية) المقيد فيها أمر التقوى بالاستطاعة (مبينة للمراد من) الآية (الاولى) الخالية من ذلك التقييد، وذلك بأن يقال المراد أن يطاع فلا يعصى بحسب الاستطاعة وكذا ما بعده، وقال ابن الجوزى قال ابن عقيل ليست منسوخة لان قوله ما استطعتم بيان لحق تقاته وأنه بحسب الطاقة فمن سمى بيان المراد نسخا فقد أخطأ وهذا فى تحقيق الفقهاء تفسير مجمل وبيان مشكل، وذلك أن القوم ظنوا أن ذلك تكليف ما لا يطاق فأزال الله إشكالهم وبين انى لم ارد بحق تقاته ما ليس فى الطاقة اه. وقيل انها منسوخة بهذه، قال السيوطى فى تفسيره وفى الاكليل بعد أن ذكر تفسيرها بما سبق : فقالوا يا رسول الله فمن يقوى على هذا . فنسخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم اه . قال بعض المحققين. وينبغى أن لا نسخ اذ لا يصار اليه الا بشروط لم توجد كما يعلم من محله وقال ابن الجوزى فى عمدة العالم الراسخ فى المنسوخ والناسخ : فى الآية قولان «أحدهما» أنها منسوخة ثم نقل فى ذلك آثاراً وقال بعده والى هذا ذهب الربيع بن أنس وابن زيد ومقاتل بن سليمان، ومن نصر هذا القول قال حق تقاته هو القيام له بجميع ما يستحقه من طاعته واجتناب معصيته، قال وهذا أمر يعجز الخلائق فكيف بالواحد، فوجب ان تكون منسوخة وأن يعلق الامر

وقال تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً »

والآيات فى الامر بالتقوى كثيرة معلومة

وقال تعالى « ومن يَتّق الله يجعلْ له مَخرجاً

---

بالاستطاعة . « والقول الثاني » انها محكمة . ومن نصر هذا القول قال حق تقاته هو اجتناب ما نهى عنه وامتثال ما أمر به ولم ينه عن شيء ولا أمر به الا وهو داخل تحت الطاقة . فقد فهم الاولون من الآية تكليف ما لا يطاق فحكموا بالنسخ . وقد رد عليهم قوله تعالى « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » واما قوله « حق تقاته » فالحق بمعنى الحقيقة اهـ . وفى شرح الاربعين لابن حجر الهيثمي إنما يتم هذا أى كون هذه الآية تفسيراً لتلك على تفسير حق تقاته بامتثال أمره واجتناب نهيه ، أما على المشهور من تفسيره بأن يذكر فلا ينسى الخ فالاوجه النسخ ، فأن هذه لما نزلت تحرجت الصحابة منها فقالوا أينا يطيق ذلك فنزلت تلك اهـ . وبقولى «وذلك بأن يقال الخ » (١) اندفع ماقاله من أن الاوجه النسخ ، ونزولها عقب تحرجهم من تلك لا يستلزم النسخ فتأمل ، ولذا جرى هو فى مكان على موافقة المصنف وترجيح ما قاله من غير تقييد بما ذكر ، وكأن وجهه ان يقيد ما فى تفسيرها المشهور بحسب الطاقة

( وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ) صوابا ( يصلح لكم أعمالكم ) يتقبلها أو يوفقكم للاعمال الصالحة ( ويغفر لكم ذنوبكم ) يجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل ( والآيات فى الامر بالتقوى كثيرة معلومة ) ( وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ) من كرب الدنيا والآخرة

---

(١) اى عقب قول المصنف (مبينة للمراد من الاولى) ع

ويرزقه من حيث لا يحتسب »

وقال تعالى « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّرْ عنكم سيّئاتكم ويغفرْ لكم . والله ذو الفضل العظيم » والآيات فى الباب كثيرة معلومة:

واما الاحاديث: (فالاول) عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قيلَ « يا رسول الله من اكرم الناس ؟ »

---

( ويرزقه من حيث لا يحتسب ) يخطر بباله . فى تفسير البيضاوى يروى أن سالم بن عوف بن مالك الاشجعي أسره العدو فشكا أبوه الى رسول صلى الله عليه وسلم فقال « اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله » ففعل فبينا هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنه العدو فاستاقها ، وفى رواية : إذ رجع ومعه غنيمات ومتاع ، قلت روي الثعلبي الثانى وفيه أنه جاء باربعة آلاف شاة . والبيهقى فى الدلائل الاول . قال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف وأخرج الحاكم عن جابر قال : نزلت هذه الآية فى رجل من أشجع كان فقيرا خفيف ذات اليد كثير العيال ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقال له اتق الله واصبر . فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ابن عم له بغنم كان العدو أصابوه فذكر نحو حديث عوف السابق مختصرا وفى سنده من تكلم فيه . ا هـ .

( وقال الله تعالى إن تتقوا الله ) بالامانة وغيرها ( يجعل لكم فرقانا ) بينكم وبين ما تخافون فتنجون ( ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم ) ذنوبكم (والآيات فى الباب كثيرة معلومة ) وقد سبق جملة منها أول الباب

( واما الاحاديث ) النبوية ( فـ ) الحديث ( الاول ) منها ( عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله من أكرم الناس ) قال المصنف فى شرح

قال «اتقاهم» فقالوا «ليس عن هذا نسألك» قال «فيوسفُ نبيُّ الله ابنُ نبي الله ابنِ نبي الله ابنِ خليل الله» قالوا «ليس عن هذا نسألك» قال «فعن معادن العرب تسألوني؟ خِيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الاسلام اذا فقُهوا»

---

مسلم: أصل الكرم كثرة الخير فلما سئل صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم أخبر بأكمل الكرم وأعمه (فقال: أتقاهم) لله فان من كان متقيا كان كثير الخير في الدنيا صاحب الدرجات العليا في الآخرة اهـ. وقال بعضهم: الكريم هو المتقى لله وهو المنقطع عن الاكوان (فقالوا ليس عن هذا) الكرم (نسألك قال ف) أكرم الناس (يوسف) بتثليث السين مع الهمز وتركه فانه جمع خيرى الدارين وشرفهما فانه مع كونه (نبي الله ابن نبي الله) يعقوب (ابن نبي الله) إسحاق (ابن خليل الله) ابراهيم انضم اليه شرف علم الرؤيا وتمكنه فيه ورياسة الدنيا وملكها بالسيرة الجميلة وإحاطته للرعية وعموم نفعه إياهم وشفقته عليهم، وما ذكر من تكرير ابن نبي الله مرتين هو كذلك في بعض روايات البخارى وهو الاصل، ووقع في رواية مسلم وبعض روايات البخارى «نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله» وهذه الرواية مختصرة من تلك الرواية اذ هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم (فقالوا ليس عن هذا) أيضا (نسألك) ففهم حينئذ ان مرادهم قبائل العرب (فقال فعن معادن العرب تسألوني) قالوا نعم وسكت عنه لدلالة السياق عليه فقال (خيارهم) بكسر الخاء المعجمة (في الجاهلية) ما قبل الاسلام سموا بذلك لكثرة جهالاتهم (خيارهم في الاسلام) أي ان أصحاب المروءات ومكارم الاخلاق في الجاهلية هم أصحابها في الاسلام وهم الخيار (إذا فقهوا) أي صاروا فقهاء عالمين بالاحكام

متفق عليه و«فقهوا» بضم القاف علي المشهور وحكى كسرها اي علموا احكام الشرع

الثانى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إنّ الدنيا حُلوةٌ خَضِرة،

---

الشرعية الفقهية . قال القاضي عياض : قد تضمن الحديث فى الاجوبة الثلاثة أن الكرم كله عمومه وخصوصه مجمله ومفصله انما هو بالدين من التقوى والنبوة والاعتراف بها والاسلام مع الفقه ( متفق عليه . وفقهوا بضم القاف علي المشهور وحكى كسرها ) يقال فقه بضم القاف إذا صار ذا سجية وبكسرها بمعني فهم وفى شرح مسلم : الفقه فى اللغة بمعنى الفهم يقال فقه يفقه كفرح يفرح . أما الفقه الشرعي فقال صاحب العين والهروي وغيرهما يقال منه فقه بضم القاف وقال ابن دريد بكسرها كالاول وقد روى فقه فى دين الله بالوجهين والمشهور الضم ا هـ . (اى علموا أحكام الشرع ) ظاهره أصولا وفقها وسلوكا ولا شك ان ذلك اكمل الانواع والجامع بين الجميع هو الانسان الكامل

( الحديث الثانى ) من أحاديث الباب ( عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الدنيا حلوة خضرة ) بفتح المعجمة الاولى وكسر الثانية . قال فى النهاية الخضر نوع من البقول ليس من أحرارها وجيدها فشبه الدنيا للرغبة فيها والميل اليها بالفاكهة الحلوة الخضرة: فأن الحلو مرغوب فيه من حيث الذوق والاخضر مرغوب فيه من حيث النظر فاذا اجتمعا زادت الرغبة وفيه إشارة الى عدم بقائها وهو من التشبيه المطوى فيه الاداة قيل والفرق بين هذا النوع والاستعارة أن هذا لا يتغير حسنه إذا ظهرت الاداة فان قولك المال خضرة في الحسن كقولك المال كالخضرة ولا كذلك الاستعارة فأن قولك

وإن اللهَ مستخلِفُكم فيها فينظرُ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء
فانّ اولَ فتنةِ بنى اسراءيل كانت فى النساء » رواه مسلم
الثالث عن ابن مسعود رضى الله عنه ، ان النبى صلى

---

رأيت أسدا يرمى ليس كقولك رأيت رجلا كالأسد ذكره العاقولى (وان الله مستخلفكم فيها) بكسر اللام أى جعلكم خلفا فى الدنيا أي أنتم بمنزلة الوكلاء فيها وقيل معناه جعلكم خلفاء ممن كان قبلكم فأنها لم تصل الى قوم الا بعد آخرين (فينظر) أى فيعلم علم مشاهدة وعيان (كيف تعملون) من انفاقها في مراضيه فتثابون أو في مساخطه فتأثمون : فان الجزاء انما يترتب علي ما يبدو فى عالم الشهادة من الاعمال كما تقدم أو فينظر كيف تعملون أى أتعتبرون بحالهم وتتدبرون فى مآلهم (فاتقوا الدنيا) أى اجتنبوا فتنتها واحذروا ان تميلكم محبتها والاغترار بها عن اوامر الله تعالى واجتناب مناهيه فيها (واتقوا النساء) اى اجتنبوا الافتتان بهن اى ان يمنعكم التمتع بهن لاستيلاء محبتهن عن القيام بأداء حقوق العبودية والتقرب الى مراضى الله تعالى فان بمقدار محبة السوى والركون اليه البعد عن المولى ويدخل فيهن كما قال المصنف الزوجات وهن أكثر فتنة لدوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن (فان اول فتنة بنى إسراءيل كانت فى النساء) اى بسببهن فهو كحديث « عذبت امرأة فى هرة » قال شارح « الانوار السنيه » يحتمل ان يكون اشارة إلى قصة هاروت وماروت لانهما فتنا بسبب امرأة من بنى اسراءيل ويحتمل ان يكون اشارة الى قصة بلعام بن باعوراء لانه إنما هلك بمطاوعة زوجته. وبسببهن هلك كثير من الفضلاء (رواه مسلم)

الحديث (الثالث عن) عبدالله (بن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى

الله عليه وسلم كان يقول «اللهم إني اسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى» رواه مسلم

الرابع عن ابي طَريف عَدِيّ بن حاتِم الطائيّ رضي الله عنه

---

الله عليه وسلم كان يقول : اللهم ) اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم كما تقدم ( إنى اسألك الهدى ) بضم الهاء الرشاد ( والتقوى ) وفى نسخة والتقى ، امتثال الاوامر واجتناب النواهى ( والعفاف ) اى التنزه عما لا يباح والكف عنه ( والغنى ) أى غنى النفس والاغتناء عن الناس وعما فى ايديهم ، والمسئول له صلى الله عليه وسلم زيادة ذلك وفيه شرف هذه الخصال وفيه الخضوع والتجأ للكريم الوهاب فى سائر الاحوال ( رواه مسلم ) ورواه الترمذي وابن ماجه

الحديث ( الرابع عن ابى طريف ) بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين وسكون التحتية بعدها فاء ( عدى ) بفتح اوله فكسر ثانيه المهملين فتشديد الياء ( ابن حاتم ) بالحاء المهملة والفوقية المكسورة ، العلم المضروب به المثل فى الجود ( الطائى ) نسبة إلى طيء بوزن سيد واسمه جاهمة ، وسمي طيئا لانه اول من طوي أى بنى المناهل (١) وقيل لغير ذلك ، وهو ابن عدي بن سعيد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدى بن أخرم بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء بن أدد بن زيد بن يشخب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ كذا فى عجالة المبتدى للحازمي . وفد عدى ( رضى الله عنه ) علي النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع فى شعبان ، وقيل سنة عشر وكان نصرانيا ، وقيل بل أسر المسلمون اخته سفانة بنت حاتم فأسلمت وعادت إليه فأخبرته ودعته الى رسول الله صلى الله

---

١) أى المنازل للضيفان . ش

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَن حلَف على يمين ثم رأى اتقى لِله منها فليأت التقوى » رواه مسلم

---

عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه . روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وستون حديثا اتفقا علي ثلاثة منها وانفرد مسلم بحديثين ، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم علي الصديق وقت الردة بصدقة قومه وثبت علي الاسلام ولم يرتد وثبت قومه معه ، وكان جوادا شريفا فى قومه معظما عندهم وعند غيرهم روى عنه أنه قال « ما دخل علي وقت صلاة إلا وانا مشتاق اليها » وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه اذا دخل عليه وكان يفت للنمل الخبز ويقول إنهن جارات ولهن حق. وشهد صفين مع علي . توفى سنة سبع وقيل تسع وستين وله مائة وعشرون سنة . قيل مات بالكوفة ايام المختار ، وقيل مات بقرقيسا ، والاول اصح ( قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من حلف على يمين ) الحلف هو اليمين كما تقول حلف يحلف حلفا ، واصلها العقد بالعزم والنية فخالف بين اللفظين وقال حلف علي يمين تأكيدا . وقال القرطبي : اليمين المحلوف عليه . ( ثم رأى أتقى لله منها ) اى من يمينه التي التزمها فى ترك أمر ( فليأت التقوى ) وحاصله أن من حلف على ترك فعل شيء أو فعله ( ١ ) فرأى غيره خيرا من التمادى على اليمين وأتقى لله كأن حلف ليتركن الصلاة أو ليشربن المسكر وجب عليه الحنث والاتيان بما هو التقوى من فعل المأمور به وترك المنهي عنه فان حلف علي ترك مندوب او فعل منهى عنه نهى كراهة ندب له الحنث ، ومثله حديث مسلم أيضا « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه » ( رواه مسلم )

---

١ ) قوله ( ترك شيء ) المراد واجب ، وقوله ( أو فعله ) اى فعل شيء والمراد حرام بقرينة ما يأتى . ع

الخامس عن ابي امامةَ صَدِىّ بن عَجْلانَ الباهليّ رضى الله عنه

( الخامس عن أبى امامة) بضم الهمزة ( صُدَىّ ) بضم الصاد ففتح الدال المهملتين وتشديد الياء ، ويقال الصدى بأل ولم يذكره الحاكم فى كتابه إلا بها (ابن عجلان ) بفتح المهملة وسكون الجيم ابن والبة بالموحدة ابن رياح بكسر الراء ابن الحارث بن معن بن مالك بن اعصر بن سعد بن قيس عيلان بالمهملة ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . قال المصنف فى التهذيب و يقال فى نسبه غير هذا ( الباهلى ) كان ( رضى الله عنه ) من مشهورى الصحابة . روى له عن رسول الله صلي الله عليه وسلم مائتا حديث وخمسون حديثا . روى البخاري خمسة منها ومسلم ثلاثة وخرج عنه أصحاب السنن . سكن مصر ثم حمص وتوفى بها سنة إحدى وقيل سنة ست وثمانين ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشأم وعامة حديثه عند الشاميين «فائدة » نظم بعض المتأخرين آخر من مات من الصحابة فى البلدان المتفرقة فقال :

آخر من مات من الصحابة     أبوالطفيل موته بمكة
سهل بن عبد الله بالمدينة     وأنس بن مالك بالبصرة
ومات بالشام أبو قرصافه     وابن أبى اوفى الحمام وافه
بكوفة واليمن اذكر أيضا     وبخراسان بريدة قضى
لم تتم مائة الا وقد     ماتوا ولم يبق علي الارض أحد
رأي بعينيه النبى المصطفى     فاحفظ لنظمى ذا تنال الشرفا

قلت ويزاد عليه :

وآخر الصحب بحمص ماتا     أبو أمامة وذا قد فاتا (١)

---

١) ووجد بعد نقل ما تقدم عن السيوطى ما نصه.
قلت وعبد . . . بن الحارث     ابن جزا بمصر يامباحث
بسفط مشهور بلا ارتياب     وكنيــة له أبو تراب

قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطُب فى حِجة الوَدَاع فقال « اتقوا الله، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وادوا زكاة اموالكم ، واطيعوا امراءكم ، تدخلوا

---

وفى كتاب اليواقيت الفاخرة ان آخر من مات بالمدينة السائب بن يزيد يعرف بابن أخت النمر . ادرك النبي صلى الله عليه وسلم صغيرا وروى عنه وتوفى سنة احدى وتسعين وهو ابن ثمان وثمانين اه . وكذا فى التقريب للحافظ أن السائب آخر من مات من الصحابة بالمدينة ( قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فى حجة الوداع ) بكسر الحاء علي الافصح وفتح الواو اسم مصدر من التوديع وبكسرها مصدر وادع سميت بذلك لانه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها . وفيه جواز تسميتها بذلك من غير كراهة ( فقال اتقوا الله ) بدأ به لانه الاساس لتناوله فعل سائر المأمورات وترك سائر المناهى وعطف عليه ما بعده من عطف الخاص على العام اهتماما به واعتناء بشأنه. ويحتمل أن عطف قوله « وأطيعوا امراءكم » من عطف المغاير من حيث إن أظهر مقاصد التقوي انتظار الامور الاخروية ( وصلوا خمسكم ) أى الفروض الخمسة ( وصوموا شهركم ) أى شهر رمضان واضيف للامة لما يسبغ عليهم فيه من الفيوض الالهية من عتق الرقاب وجزيل الثواب ، وفى الحديث « رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر الامة » ( وأدوا زكاة اموالكم ) فى الخلافيات وأدوا زكاتكم طيبة بها انفوسكم وحجوا بيت ربكم ( وأطيعوا أمراءكم ) وفى رواية « ذا امركم » فيما ليس فيه معصية الله تعالى وفى ذلك انتظام الاحوال المتوصل به الى قوام المعاش والاستعداد للمعاد ( تدخلوا ) بالجزم فى

جنة ربكم » رواه الترمذى فى آخر كتاب الصلاة ، وقال حديث حسن صحيح

---

جواب الامر ( جنة ربكم . رواه الترمذى فى آخر كتاب الصلاة وقال حديث حسن صحيح ) ورواه ابن حبان والحاكم ،

ولما كان من ثمرات التقوي العرفان الذى به تنجلى الامور ، والنور الذى تنشرح به الصدور ، ومن انشرح صدره واستنار قلبه بشهود التوحيد وانه لا شريك له فى ملكه ولا فى شيء من افعاله ، تيقن ان لا حول له ولا قوة وانه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فخرج عما فى نفسه من التدابير ، والقى نفسه مع جرى المقادير ، ففاز كما جاء فى الحديث الشريف « لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة » وظهر بهذا ان التوكل واليقين من ثمرات التقوى فلذا عقبها بهما فقال:

تم الجزء الاول — ويليه الجزء الثانى وأوله (باب اليقين والتوكل)

# فهرس

صفحة

صفحة